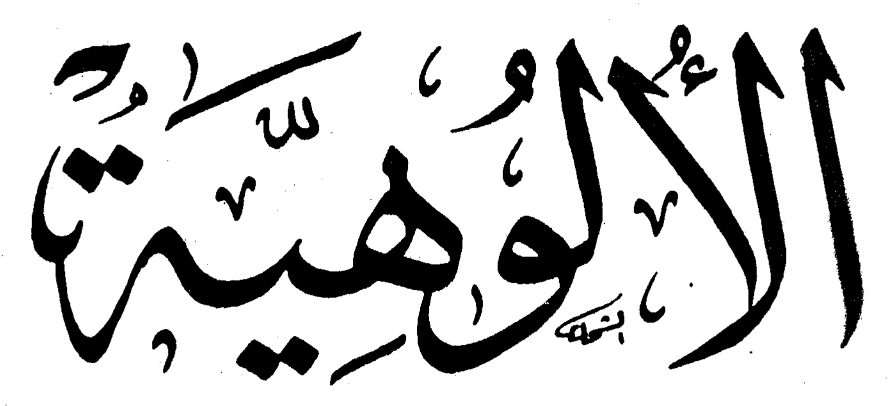
عبد السلام البسيوني



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
أسكندرية ت : ٥٤٥٧٧٦٩



الألوهية

في العقائد الشعبية

على ضوء الكتاب والسنة

عبد السلام البسيوني

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل

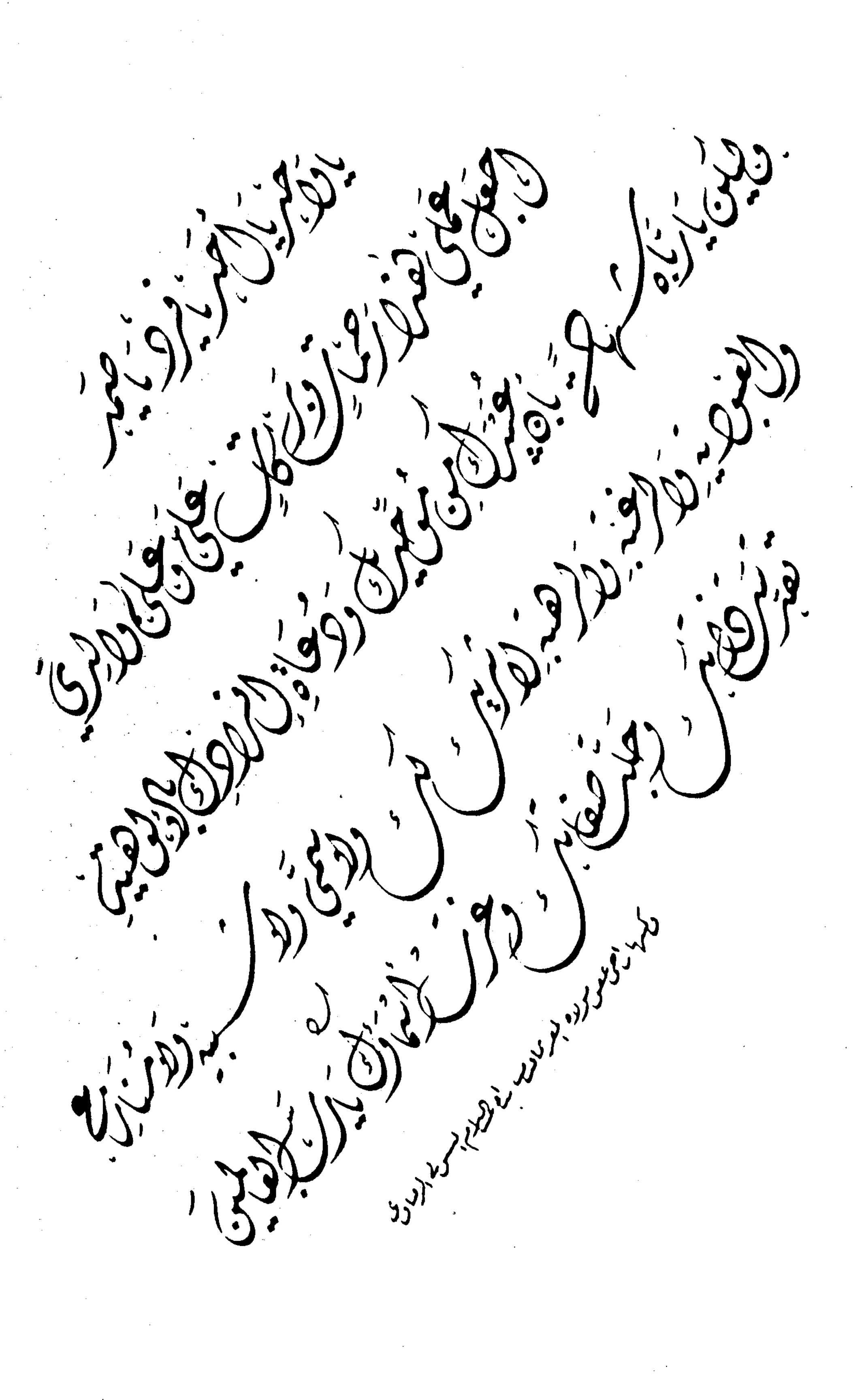
أسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

يطبع بإذن من المؤلف

خالص الشكر للأخت الكريمة السيدة سيدة قنديل خليل التي تولت أمر الجمع التصويري لهذا الكتاب وما سبقه من كتبي بكثير من الصبر والعناية وللأخ جمال مرسي الذي نفذ الماكيت بمهارة واقتدار.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

- **لا أخفي أنني أزعم - مع الزاعمين - أن المسلمين يحتاجون دائمًا إلى تجديد مناهجهم ووسائلهم في عرض الإسلام العظيم وتقديمه للعالمين.**
- **ولا أخفي أنني أزعم - مع الزاعمين - أن كثيرين منا يعتمدون وسائل غير مؤثرة في الدعوة** إما من خلال منهج منفّر، أو كتاب غير عملي، لكونه رديء الأسلوب، أو لأنه يتبنى منهج طرحٍ لا يصلح لهذا الزمان، وإن كان ما فيه حقًّا لا غبار عليه، فإذا كان اللؤلؤ يحتاج إلى غواص لا إلى حفّار، فكذا الدعوة تحتاج إلى أن نحدث الناس بما يفهمونه كما صحت بذلك السنة.
- **ولا أخفي أنني أزعم - مع الزاعمين - أننا متأخرون عن مواكبة التحديات الشيطانية التي** تواجه ديننا الحق، رغم كَلَبِ الأعداء، وجَلَدِ المبطلين، علم منا من علم، وجهل من جهل.

ربما لا يجدي الزعم، وربما تكون وجهة النظر هذه متسرعة وقاصرة، ولكن لا يعفيني هذا من ضرب المثل، والتدليل على وجوب مواكبة عقليات الناس وتصوراتهم، إذا أراد الداعية نجاحًا في مسعاه، كما كان حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم؛ لنوفَّق في مساعينا كما نجحوا في دعواتهم:

اجتهد فقهاؤنا - رحمهم الله أجمعين - في استقراء ألفاظ إيقاع الطلاق فوجدوها صريحة وكنائية، مثل أن يقول الرجل شيئًا من ألفاظ **الطلاق والفراق والسراح**، ومثل قوله: **أنت بائن**، **أو**: **أنت عليّ حرام**، **أو**: **حبلك على غاربك**، **أو**: **فارقتك**، **أو**: **اذهبي لأهلك**، أو ما شابه.

ومال الظاهرية إلى اعتبار الألفاظ الثلاثة الأولى وحدها ـ للنص عليها في القرآن الحكيم ويتم التدريس ـ في كل مكان ـ طبق ذلك، وهذا صحيح وجيد، وليس لمثلي الاعتراض عليه

لكن ربما لم ينتبه كثير منا إلى أن هناك ألفاظًا جديدة تمامًا ظهرت ـ صريحة وكنائية ـ ويتداولها الناس على ألسنتهم، في حين لا يقف أحد من أبناء زماننا قائلًا لامرأته **سرّحتك، أو أنت سراح، أو: حبلك على غاربك**؛ لسبب قريبٍ جدًا، وهو أن الناس ـ جلّهم ـ لا يحسنون العربية، ولا يريدون ذلك

فكان حتمًا على الفقيه ـ ولو اضطرارًا ـ أن ينظر في الألفاظ التي يستعملها العامة مثل **روحي انت طالق، أو: عليّ الطلاق** ـ في موضعي نية التطليق أو بية الحلف ـ و: **الله ما انتي بايتة فيها، و: امشي اخفي في ستين داهية** ـ وما شابه ـ ليستخرج منها ومن أمثالها ما هو صريح وما هو كنائي، ويلحق الأشباه بالأشباه، ويقيس اللفظ على نظيره، ليجيب عن أسئلة الناس ويحل مشاكلهم .

فإن لم يفعل ـ ولو مؤقتًا ـ كان دافنًا رأسه في الرمال، ومشجعًا الناس أن ينفضّوا عنه وعن دعوته.

والحال هو هو في جانب تصحيح العقيدة، فإن الملاحظ أن أمهات الكتب العظيمة كتبت في قرون ماضية، فلا يحسن العامي قراءتها والنظر فيها إن أراد، أو هي شروح لكتب قديمة، بنفس الأسلوب والمنهج، بينما **يحتاج المعاصرون إلى لغة أكثر وضوحًا، ومنهج عرض أكثر جدة وتأثيرًا، وإلا فسيظل دعاة التوحيد يدعون، ويظل الناس يعرضون، وتظل الأباطيل الخرافية والفتن العقيدية تطل بقرونها بين الساعة والساعة**، ليس في مكان بعينه من بلاد المسلمين ولكن في أنحاء العالم كله

فالكاتب يكتب مؤلفاته ويدون علمه للناس جميعًا، وليس له أن يزعم أنه ينتقي جمهوره، وما ينبغي له، وما يستطيع .

إن هناك كتبًا عظيمة وثمينة ألفت لمعالجة مشكلات الانحرافات عن العقيدة السوية الحنيفة مثل **الطحاوية، أو الإيمان** لابن تيمية، أو **فتح المجيد، أو تيسير العزيز الحميد**، أو ما شابه. وهي ـ على جلالتها ـ ثقيلٌ على العامة أن يقرأوها، بل يصعب أن يتعامل معها حتى بعض خريجي الجامعات من حملة «شهادة الزور المكتوبة بماء الذهب» كما كان يقول شيخنا العلامة **محمد المختار الشنقيطي** عليه رحمات الله .

من هنا حاول بعض الأفاضل أن يكتبوا ويجمعوا أفكارًا جديدة، كما فعل الشيخ **خالد الحاج في كتابه القيم. مصرع الشرك والخرافة**، وكما كتب الشيخ **عبد المجيد الزنداني** كتاب التوحيد

ومن هنا جاءت هذه المحاولة للكتابة في العقيدة وفق نظرة فيها شيء من الجدة، أتمنى أن تكون صائبة، وأدعو ربي عز وجل أن يتقبلها مني وأن يعينني على إتمامها.

ولقد توجهت في هذه المحاولة - في المقام الأول - إلى كتب **علم الاجتماع والمأثور الشعبي**، التي رصدت أنفاس الناس، وأحصت عليهم الكثير من أعمالهم وأقوالهم ومعتقداتهم، لأجد جوانب منحرفة عقيديًا قد تورم بها جسد الأمة كالسرطان الخبيث الذي يفتك بالجسد ويطلبه حثيثًا، ولا يوليه كثير منا ما يستحق من الاهتمام، بينما يَنْصَبُ آخرون في تقسيم الصفات إلى ما لا يفهم الناس، ويخوضون في الروح والقدر، ويجادلون في الجبر والاختيار، ويتأولون المغيبات، ويظنون أنهم يعرضون التوحيد غضًا طريًا كما جاء به محمد ﷺ !!

وقد يغضب أحدنا إذا سمع أحدًا يحلف بالنبي ﷺ - وحقّ له - ويرغي ويزبد، ويغلظ ويقسو، بينما الألسنة - ألسنة العامة - ترشح بألفاظٍ هي أشد من ذلك كثيرًا، ولا يحس بها أحد، ولا يغضب لها أحد، لأنها - ببساطة - لم تدرج ضمن كتب تصحيح العقيدة، فلم يأبه لها آبهٌ، ولم يحمرّ لها أنف.

والحق أن اقتحام باب السلوك الشعبي، وتأمله، ولفت الأنظار إليه - من وجهة النظر الشرعية - أمر جديد فيما أظن، فلم أعثر رغم اطلاعي على نحو مائة كتاب وأكثر من مائتي بحث في إحدى المكتبات المتخصصة، لم أعثر على باحث تناول الجوانب العقيدية الشعبية من المنظور الإسلامي، اللهم غير كتاب صغير الحجم كتب عن الأمثال الدارجة، أما سائر الكتابات والدراسات فهي مكتوبة: إما من زاوية علمانية بحت، لا يهمها دين ولا توحيد، وإما من زاوية الجمع والتدوين والرصد فقط، وإما بإنكار سطحي عاطفي عابر، عارٍ عن الدليل الشرعي والحجة الداحضة - وهذا قليل -

والحق - أيضًا - أن الموضوع لا يصلح لتغطيته شخص واحد، ولا أدعي أن عملي هذا مغنٍ عن التعميق والزيادة وبذل الجهد؛ إنْ في جمع المواد والشواهد، وإن في الاستدلال، لكنه جهد المقل الذي أسأل الله أن يحفّه بالإخلاص والقبول.

وهذا الكتاب هو جزء أول من سلسلة : **طروحات جديدة لتصحيح العقيدة، كانت** نواتها **محاضرة ألقيت بالمركز الإسلامي للدعوة والإرشاد** بالدوحة قبل نحو عامين، وأتناول فيه **نظرة العامة للألوهية والربوبية،** مركزًا على الاستدلال من كتب علوم الاجتماع والمأثور الشعبي بشيء من التوسع في الاحتجاج ـ مع إثبات تحفظنا على مناهجهم ـ ثم بعد ذلك أبين الحكم الحكم الشرعي في القضية من كتب السلف الصالح ومَنْ على طريقتهم في الاعتقاد والنظر، لأنهم في يقيننا أعلم وأسلم وأحكم.

وأسأل الله تعالى أن يعينني على إخراج الجزء الثاني عن النبوات وبقية أركان الإيمان في عقائد العامة، وكذا **الجزء الثالث عن عقائد المثقفين الشائعة** فيما بينهم، والتي استنسخوها عن الشرق أو الغرب كالإنسانية والأرواحية والإرجاء وما شابه .

ولا شك أنه توفيق من ربنا الكريم المنان أن يعين مثلي على الكتابة في أمر جليل كالعقيدة، فاللهم رضاك ورضوانك .

وأدعو الله تعالى ـ ضارعًا ـ أن يتقبل مني هذه المحاولة، وأن يبارك فيها لتقع في نفس القارىء المسلم موقع الرضا والتأثير والإقناع، وأن يتجاوز سبحانه عن تقصيري فيها، وأن يحفظها لي ثوابًا وبركة في قبري ويوم العرض، إن ربي سميع قريب مجيب.

وأسأل قارئي الكريم، إن وجد تقصيراً أن ينبهني إليه ـ وهو لا شك واجد ـ وإن وجد خيراً أن يدعو الله تعالى لي بالستر والمغفرة، ولوالدي بالرحمة والقبول.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

عبد السلام البسيوني

الدوحة ضحى ٢٩ من صفر ١٤١٣هـ

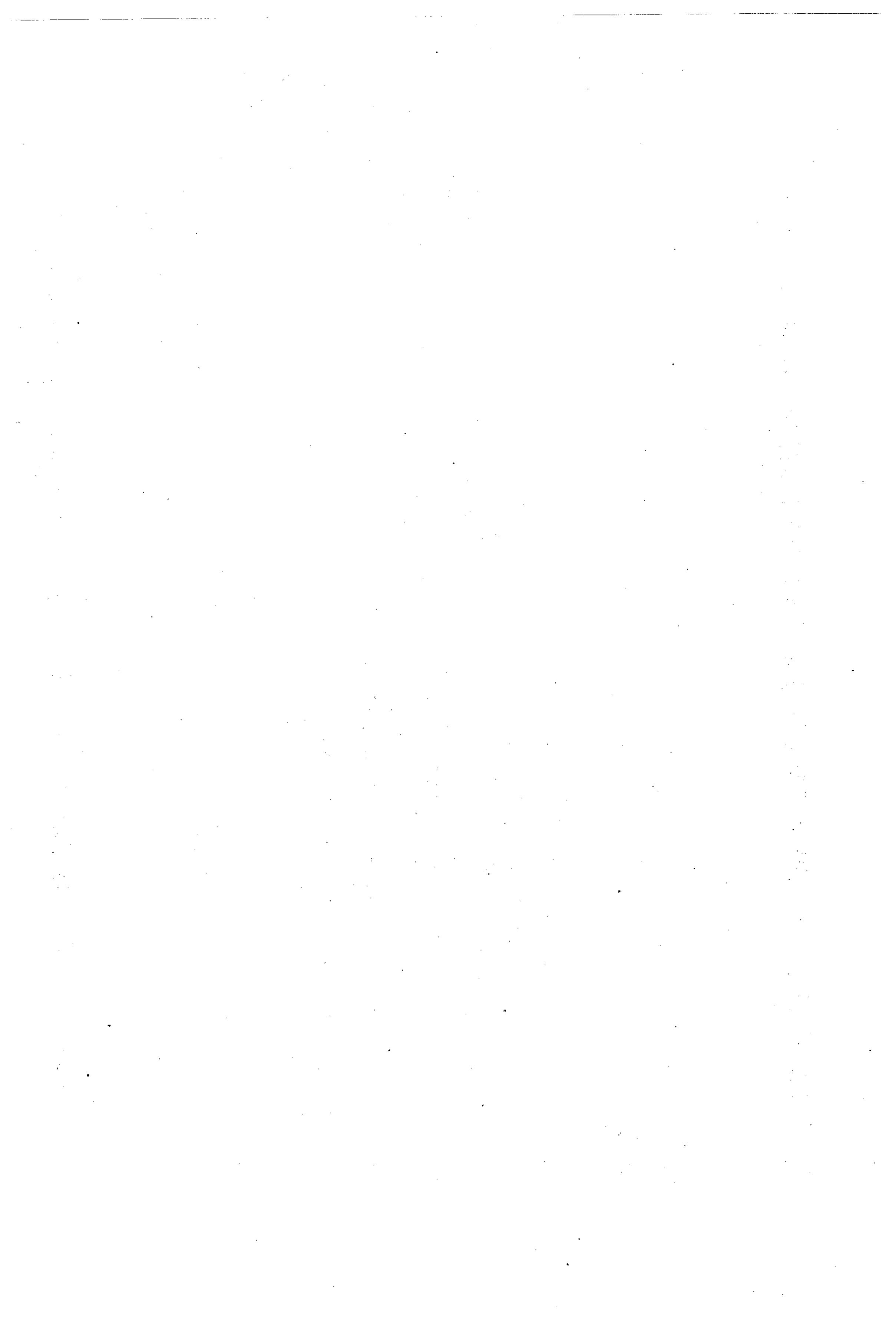
الموافـــق ٢٧ من أغسطس ١٩٩٢م

الباب الأول

الفصل الأول

الأولياء ملاذ العامة

- مدخل
- من هم الأولياء؟
- سكنى الأولياء
- ازدواج الأولياء
- قدرات الأولياء
- الشارع الشعبي : معمل تفريخ الأولياء
- الأولياء وتفاوت القوى
- على هامش الولاية : الغناء الديني
- ثمرات الغلو في المنسوبين للولاية
- الولاية والكرامة في منظور الشرع
- النذور : قرابين البخلاء
- النذر في الإسلام



مدخل

- كيف ينظر الوجدان الشعبي إلى الله سبحانه وتعالى ؟
- كيف يرى العامة الخالق عز وجل، وكيف يحسون بآثاره؟ وكيف يتعاملون مع النواميس التي خلقها؟
- هل يخلص لهم توحيدُهم ربَّهم سبحانه، أم إن به شوائب وبقعًا وخروقًا لا تحجب سراب الجهل والخرافة والشرك؟

تعالوا نتحسس طريقنا في هذه القضية الخطرة:

في كتابه الجامع: **الأدب الشعبي** يقول **أحمد رشدي صالح**[1]:

أخذ الوجدان الشعبي بسلسلة من الأفكار تُظهر الكائن البشري مدفوعًا دفعًا ـ في أصغر أموره وأخصّها ـ وهي: **القدر والحظ والدهر والبين والمقدّر والمكتوب والدنيا**.

فالذي يتحكم في عملية الإخصاب وفي النماء، أو في العقم والقصور ليس هو الله ـ سبحانه ـ الذي خلق الإنسان وبيده إكثار جنسه أو إفناؤه، وليس هو الذي منح الإنسان عقلًا، وأرسل إليه النُّذر والرسل، ورتب الثواب والعقاب، بل يمكن أن تتحكم في ذلك كله قوىً خفية جانحة تقرر مصيره إن سعودًا وإن نحوسًا.

والأدب الشعبي يضيف إلى هذه القوي الخفية الظلم والتغرّض، بل غالبًا ما يقرنها بذوي السلطة الروحية أو الزمنية، وينسب إليها الظلم الملاحق للمغمورين، فأنت تسمع هذه الأمثال:

- **خلق ناس وتَخَفْهُمْ . . وكبّب ناس وحَدَفْهُمْ**
- **وادّى الحلق للي بلا ودان**
- **وابكي على الزمان . . اللي عمل القصرية شمعدان .**

فتحس نقد القدر ولومه بأنه ظالم .

---

١ ـ ص: ١٥٦

وتسمع مثل هذا الموال:

حكمت يا بين بِخَنْقي .. بحبح الخيَّة
لا أم تبكي .. ولا عَمَّة ولا خيَّة

ومئات على شاكلته فيتبين لك أنه لو لم يخلط الفلاحون المعتقد الديني «الرسمي»[٢] بمعتقدهم الراسخ ذاك، لما نسبوا إلى القوة المتحكمة في الحياة - إلى الله عز وجل - الشر والظلم، ولكنك تدرك كيف تتعدد في معتقدهم القوى الجامحة، وكيف تختلف بين الخير والشر، فكأننا في الواقع بإزاء آلهة متعددة.

وهذا المعتقد يفوح لا شك بنظرة الإنسان الأول الذي كان يحس الضياع بإزاء سطوة الطبيعة، وبإزاء بطش الحيوان الجبار وافتراسه، والذي كان يؤمن بأن تلك الظواهر وذلك الحيوان الباطش، تتحكم في خيره وشره..

ويؤكد في صفحة ١٦٦ - من الكتاب نفسه - فساد التصور الشعبي، وينكر التعلق بالأوهام والتصوفات التي يرفضها العلم، ويدحضها واحدة بعد أخرى.

ويشير **سعد الخادم** إلى قريب من هذا المعنى[٣] حين يقول: **كلما تعقبنا دراسة العادات والتقاليد الشعبية ظهر ارتباطها بديانات قديمة وأساطير كانت سائدة، وتفسر على أنها نوع من الخرافة والشعوذة.**

ويسلّم الدكتور **محمد الجوهري** بأنه كلما ازداد حظ الإنسان من الثقافة الدينية الحقيقية كلما تردد في التسليم بتلك المعتقدات الشعبية[٤]. ويتابعهم كثيرون ممن كتبوا في السلوكيات الخرافية **كالدكتورة نبيلة إبراهيم والدكتورة سامية الساعاتي والدكتور عبد الرحمن عيسوى** وآخرين.

---

٢ - يؤسفني تسلل هذا التعبير وأمثاله على ألسنة دارسي الفلكلور الذين يدينون بالإسلام لأن لكلمة «رسمي» ظلالها التي لا تناسب قداسة الدين وحتمية الإيمان بالله تعالى.

٣ - الفن الشعبي والمعتقدات السحرية - ص: ٣٢

٤ - علم الفلكلور - ج: ٢، ط المعارف - ص:

ويعمم الـدكتور **هاني العمد** ـ وكثيرون غيره ـ في إثبات التشابه بين العوائد والخرافات والأمثال في الأمة العربية إلى حد كبير، ويرى أنه يمكن اكتشاف هذا التشابه من كتب الأمثال والعقائد الشعبية فيقول :

تمثل الجوانب الملحمية والقصصية والأسطورية أصدق جانب من جوانب الثقافة المشتركة، وقد نشأت أنواع من الروابط الاجتماعية في أنحاء الوطن العربي كله، وقد جاءت هذه الروابط على شكل عادات وأعراف وتقاليد، وتغور بعض هذه العادات والتقاليد إلى أعماق النفسية العـربية، وتسري في الأشعـار والأمثال والأغاني والأزياء، وشتى صنوف التعبير عن الآلام والآمال والأفراح والأحزان[٥].

لذا كتب بعضهم دراسات مقارنة للأمثال والعادات والتقاليد والعقائد الشعبية، كما فعل **عبد الكريم الحشاش عن الأسرة في المثل الشعبي الفلسطيني والعربي**، وكما كتب **حسن الباش ومحمد توفيق السهلي عن المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، وكما كتبت **سامية عطا الله: الأمثال الشعبية العربية وغيرهم**.

لماذا أقول ذلك ؟

إن الحكم على الشعب أمر حساس وشائك، وإن **حرص دارسي العقائد والعلوم الإسلامية على تصحيح عقائد الناس عرّضهم كثيراً لأن يتهموا بأنهم وهابيون أو سلفيون أو حشويون، أو بكونهم لا يحبون الرسول ﷺ وآل البيت والأولياء، أو يتعجلون الحكم على الناس دون تثبت**.

لذلـك فقـد بدأنـا بطلب الـدليل من علماء الاجتماع ودارسي الأنثروبولوجيا . . لنؤخر الاستدلال على سقوط كثير من العقائد السائدة بين العامة من النصوص الشرعية وكلام علماء الإسـلام لكي لا يكـون للنـاس علينـا حجـة، وهو ـ في الوقت نفسه ـ استدلال بالأرقام والإحصاءات والاستبانات . . .

---

٥ ـ التراث الشعبي ، ع: ١٩٧٤/٦، ص : ١١ وما بعدها بتصرف .

فليس لأحد أن يتكلم أو يشكك .

ولنلج الباب «**من غير إحم ولا دستور**»[٦] فالأمر لا يستأهل أن نستأذن أحدًا من الجنة ولا الناس، بل نحتاج إلى أن نستعين بالله تعالى وحده ربِّ كل شيء ومليكه .

لماذا يعوذ بعض الناس بالجن أو بالأولياء؟ أو يتبركون بحجر أو قوقعة أو خيط؟ ولماذا يتشاءمون إذا سمعوا نهيق حمار مثلاً؟

إنه الشيطان أولاً،
وعدم تنقية القلب من الشرك وتطهيره بالتوحيد ثانيًا،
والعقلية التي تقبل الخرافة وتقتنع بها ثالثًا،
وضعف أو غياب المنهج الصحيح لتقويم العقائد رابعًا،
ومساهمة كثير من وسائل التثقيف (!!) في نشر الخرافة خامسًا.
وهذه ظاهرة عالمية لا محلية، وتقع فيها أكثر المجتمعات ثقافة وتحضرًا ماديًّا، كما تقع فيها الشعوب البدائية الوثنية . . وبالاستدلال يتضح المقال.

تقول **كريستينا هول**: بينما ينكر غالبية الناس ـ في أوروبا وأمريكا ـ إيمانهم بالسحر نراهم يلجأون إليه بطقوس تجلب الحظ، أو بتمائم وتعاويذ تدرأ عنهم النحس وسوء الطالع .

وتؤكد **هول** أن الخرافات قد زادت عما كانت عليه في الأزمنة السابقة، ولم تعد وقفًا على الجهلة والحمقى. وقد قام بعض الدارسين بإحدى الكليات الأمريكية ببحث مستفيض خرجوا منه بالآتي:

٤٠٪ من الرجال، ٦٦٪ من النساء يؤمنون بالأثر الإيجابي للتعاويذ .

٦١٪ من النسبة الباقية كانوا يؤمنون بها .

وفي سلسلة أبحاث وجهات النظر التي قام بها بعض طلبة علم النفس البريطانيين سنة **١٩٦٠** اتضح أن عددًا كبيرًا من الناس يستنكرون قبولهم للخرافات، ولكن عند مواجهتهم

---

٦ ـ اقرأ الحديث هذه الخرافة في كلامنا عن الأمثال والكنايات المختلفة للعقيدة .

بسؤالٍ ما وجدناهم يقرعون الخشب أو يؤدون بعض الطقوس السريعة[7] !!

ونشرت جريدة الأهرام المصرية في **١٩٨١/٦/٩** في باب مواقف : **لقد زاد عدد الأمريكان الذين يحملون الأحجبة في جيوبهم أو التعاويذ !!** وهذه الزيادة ليست مقصورة على سكان المدن أو المتعلمين أو رجال الأعمال .

وإنما ٩٩٪ من رواد الفضاء يفعلون ذلك[8] .

ويؤكد د . **كمال نشأت**[9] أن الخرافات والإيمان بقوي غيبية ـ غير الله سبحانه وتعالى ـ هي ترجمة عن حاجة إنسانية عامة تشارك المصريين فيها شعوب كثيرة . ويعترف أن كثيراً من غير البسطاء ـ **بل من أصحاب الشهادات العلمية العالية** ـ لا يزالون يؤمنون بالخرافات ، فهناك جمعيات لتحضير الأرواح ، وهناك دراويش من هؤلاء . ويرى أن **بعض من يعملون في ميدان العلوم الطبيعية يكونون على درجة كبيرة من السذاجة الفكرية** عندما يتعرضون للمواقف التي تنطوي على مشكلات خارجة عن حدود تخصصاتهم .

- **وفي الأردن** ـ وكمظهر من مظاهر قبول الخرافة الموقعة في محاذير عقيدية ـ نرى منازل المشعوذين في كثير من الحالات تكون غاصّة بالناس ـ خاصة النساء منهم ـ حتى إن بعضهم يصرف بطاقات مرقمة للحضور، كي لا يأخذ أحد دور الآخر في الدخول[10] .
- **وفي الجزائر** أجريت استبانة ظهر منها أن ٥٥,٣٪ يتأثرون بالظواهر السحرية ويمارسونها[11] .
- **وفي مصر جمع المركز القومي للبحوث الاجتماعية** أغلب الأمثال الشعبية السائرة على ألسنة المصريين، وقام بتحليلها وتحويلها إلى أرقام فكان ٢٠,١٪ منها **يدعو للتصديق بالخرافات**[12] .

---

٧ ـ السحر والقوى الخارقة في الإنسان ، ص : ٢٠ ـ ٢١
٨ ـ السحر والمجتمع، د. سامية الساعاتي ، ص: ٧
٩ ـ الخرافات الشعبية ، التراث الشعبي ع ١٢/١٩٧٤، ص : ٥٥
١٠ ـ سليمان عبيدات، ص: ٢٨٠
١١ ـ نور الدين طوالبي ، ٢٦٦
١٢ ـ سامية عطا الله ، ص : ١١١ وما بعدها

ويؤكد د. إبراهيم بدران أن أعدادًا كبيرة من المتعلمين الذين يشغلون مناصب قيادية كبيرة في أجهزة الدولة لا يزال تفسيرهم للأحداث بعيدًا عن العلمية[١٣].

وفي استبانة أجراها د. عبد الرحمن عيسوى - مقارنة بين عينتين مصرية ولبنانية - توصل إلى إيمان نسبة عالية من العينتين اللتين أجابتا عن الاستبانة بالخرافات والشركيات وكانت النسب كما يلي[١٤] :

الخرافة	العينة المصرية	العينة اللبنانية
الأحجبة تحمي من الأذى	٢٠٪	٣٨٪
الأحجبة تساعد في قضاء الحاجات	١٠٪	٢٦٪
التمائم والأحجبة تدفع الحسد	٢١٪	٤١٪
الزار يعالج بعض الأمراض المستعصية	٢٠٪	١٥٪
أصدّق الفلكيين ونبواءتهم	٣٦٪	٤٦٪
أصدق قراءة الكف	١٥٪	١٧٪
أصدق فقرة البخت في الصحف	١١٪	٢٥٪
أصدق العرافات وضاربات الودع	٨٪	١٣٪
أتفاءل وأتشاءم ببعض الأرقام	٢٣٪	٢٢٪
المندل يكشف عن المسروقات	٣٥٪	٣٤٪
تأثير السحر في الحب والزواج	٣٥٪	٣٠٪
تأثير السحر في الكره والطلاق	٤١٪	٢٩٪
حدوة الحصان تمنع الشر	١٢٪	؟

١٣ - دراسات في العقلية العربية - الخرافة - ط، دار الحقيقة - بيروت ١٩٧٤

١٤ - سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، ص : ٢٣٥

ولو تغلغلنا أكثر لنسأل الناس عن عقائدهم في رسول الله ﷺ، وفي الملائكة، وفي القوى الخفية التي يعتقدون أنها تشارك الله - تعالى وعز وجل عن الشرك - في التصرف في الكون كالأولياء والجن والكواكب والمشعوذين وبعض الجمادات ذات التأثير الخارق - في أنظار العامة - كالآبار والأشجار المقدسة والقواقع والملح والأحجبة والتعاويذ . .

لو تغلغنا واستطعنا أن نترجم هذا إلى أرقام - وهو صعب عسير - لصدمنا صدمة هائلة، وأدركنا أن المسلمين في حاجة إلى جهود جهات كثيرة - غير الدعاة والعلماء - للتركيز على عقليات العامة لتطهيرها من الخرافات والشعوذات والبدع، ومظاهر الإشراك التي تحولت إلى ركائز يعيش عليها الناس، ويمارسون حياتهم من خلالها، ويستفيد منها فئات مختلفة ومتعددة تحرص كل الحرص على استمرارها وتماديها لما فيها من المنافع .

وإذا كان لي في المدخل أن أستشهد بكلام أحد من العلماء في قضية الخرافات والشركيات والممارسات الشعبية التائهة بين آلهة مختلفين، فلأستشهد بكلام الشيخ **محمد الغزالي** - وهو ليس وهابيًا ولا نصوصيًا، وله مصداقيته الشعبية والرسمية - فاقرأ كلامه المعجب هذا والذي عنون له بعنوان : **توحيد العامة وما يعلوه من غبار**:[١٥]

لسنا ممن يحب تصيّد التهم للناس، ورميهم بالشرك جزافًا، واستباحة حقوقهم ظلمًا وعدوانًا. ولا نحب أن نوارب في الكشف عن العلة؛ فإن أي خلل في دعائم التوحيد معناه الخبل الذي يدرك موطن القيادة الفكرية في هذا الدين الحنيف .

ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد عنها أدنى انحراف .

> **لقد اهتمت حكومة انجلترا - في سبيل مكافحة الشيوعية - بالحالة الدينية في مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا ذلك العام (!)**

والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لديّ، فطالما أوفدت رسميًا لوعظهم فكنت أشهد من

---

١٥ - عقيدة المسلم، ص : ٦٣، ٦٤، ط. دار ابن القيم بدمشق بتصرف يسير .

أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، ولو دعوا لواجب ديني صحيح لفروا نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار .

وينبه الشيخ في موضع آخر على لزوم التعلق بالله وحده، ونبذ كل ما سواه مما تعظمه القلوب وتأله النفوس، فيقول في صرامة وحسم، منددًا بخطر الشرك وشؤمه :

إذا رأيت المرء يحب غير الله أكثر مما يحب الله، ويخاف العبد أكثر مما يخاف الرب، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويصدر عمله ابتغاء رضاهم أكثر مما يطلب ثواب الآخرة .

فإذا نزلت به نكبة كان تفكيره في فلان قبل تفكيره في الله تعالى!

وإذا أصابه خير كان حمده لفلان أسبق من شكره لله تعالى!

فاعلم أن هذا الشخص قد أشرك .

ولئن كان بعض العلماء يقول: إن الشرك في العمل غير الشرك في الاعتقاد، وأن هذا شرك أصغر وذاك شرك أكبر .

فالحقيقة أن المسألة أصعب مما يتصورون . .

وذاك شرك أكبر .

فالشرك عين حمئة قذرة، إذا انفجرت في قلب وبدأت تسيل قطرات راشحة توشك أن تتحول سيلاً كاسحًا، ويومئذٍ لا يبقى في القلب إيمان حق، ويتحول ما يسمونه شركًا أصغر إلى عين الشرك الذي يعده الإسلام أقبح الكبائر :

إن الأمور صغيرها   مما يهيج له الحليم

والإسلام يوم حارب اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لم يحاربها لذواتها، ولم تكن بينه وبينها عداوة شخصية، إنما كان يحاربها لأنها احتلت من قلوب الملتفين بها مكانة السيد المتصرف من عبيده الأذلين .

فكل ما يصرف القلوب مثلها عن الله فهو صنم .

وكل من تكون في قلبه منزلة لشيء ما غير الله، مثل منزلة هذه الأصنام في قلوب المشركين القدامى، فهو ـ ولا كرامة ـ مثلهم، يحسب منهم، ويحشر معهم .

الأولياء .. ملاذ العامة

عرفت الـديانات الوثنية كلها تعدد الآلهة، واختلاف قدراتهم، وتنوع تأثيرهم، فإذا ما فكـرت في التعـرف على آلهة اليونان، أو الرومان، أو الهنود، أو الوثنيين في أعماق الغابات الاستوائية، لوجدت لديهم آلهةً للحب والخمر والفن والحرب والنار والريح والظلام والنور والحياة والموت وغيرها . . ولوجدت هذه آلهةً تافهة تحيا وتموت، وتغار وتتخابث، وتحب وتكره، وتخدع وتظلم، وتمارس الدياثة، ويزني الذكور منهم بالإناث.

كذلك كان عند العرب هبل ومناة والعزى واللات، وعشرات حول الكعبة، أو في البيوت يتقرب إليها أهل الجاهلية متوسلين مستعينين راغبين راهبين.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية تقوم على التوحيد ونبذ الشركاء والأنداد، فإن الشيطان لم يقنط من تحبيب الشرك إلى كثير من الناس، وتزيينه في قلوبهم، وكرّه إليهم إفراد الله تعالى بالألوهية فصار منهم من **يعبدون الجن ويطيعونهم**

ومن يصدقون المشعوذين والدجاجلة

ومن يمرغون وجوههم على أعتاب المقبورين

ومن يثقون بتميمة أو تعويذة أكثر من ثقتهم بالله تعالى وسننه

ومن يعتقدون في قدرة حجر أو خيط على جلب النفع ودفع الضر .

ومن أكثر «الآلهة» انتشارًا في أوساط العامة ـ في العالم الإسلامي كله، حتى جزيرة العرب ـ الأولياء، على اختلاف أنواعهم ومراتبهم وبلدانهم وحضورهم التاريخي في الأذهان .

●● فمن هم الأولياء ؟

الولي اسم من الوليْ وهو الدنوّ والقرب .

والوليّ لفظة تطلق على معانٍ منها : النصير والمطيع والمحب . . والولاية مصدر . . ووليّ الله تعالى من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته ، وتقرب إليه بها أمر به من طاعات .

والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد ، وقيل إن الولي سمي وليًّا من موالاته للطاعات أي متابعته لها ، والأول أولى[1] هذا المعنى اللغوي ،

لكن : من هم الأولياء في أذهان العامة ؟

الأولياء عند العامة قوم من الصالحين - حقيقةً أو زعمًا - من الأموات أو الأحياء ، يعتقد الناس فيهم الكمال ، والقدرة على النفع والضر ، وفعل المخاريق والكرامات ، وإن تستروا بستارٍ من الفقر أو البلاهة أو ترك الشريعة ظاهرًا .

كما أن العامة قد ينسبون الولاية والقدسية إلى أثر من آثار بعض الصالحين - حقيقة أو زعمًا - كحذاء أو عمامة أو دابّة أو ما شابه ، فكم في بلاد المسلمين من حجارة تعظم بدعوى أنها من آثار الأولياء .

وقد حُدِّثْتُ عن حمير وكلاب يطاف حولها ، ورأيت بنفسي في بنجلاديش - دكا - مزارًا لكلب يدعوه العامة هنالك «كُتّه شاه» ، وهنالك أيضًا ضبٌّ وتمساح وسلحفاة تعد من الأولياء ؟!

وقد يحصر العامة أمر الولاية في الأموات أكثر مما يسبغونها على الأحياء ، وينسبون إليهم من

---

١ - المعجم الوسيط - ولي - ج:٢ ، ص : ١٠٥٨ ، ورسالة الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن لابن تيمية - ص: ٦٥٤ من مجموعة التوحيد .

المستحيلات كل عجيب ، يقول الأستاذ **أحمد رشدي صالح**[٢] :

> ليس من المغالاة القول بأن المعتقد الشعبي يؤدي إلى الاعتراف للأولياء بسلطان فعلي خارق لا يدانيه سلطان، **لا تعزب عن قدرتهم** معضلة، ولا يشذ عن حَوْلهم شيء في الطبيعة أو الحياة، **وهذا يذكرنا بالتعدد في القوى المسيطرة الخفية، ويدلنا على أن هذه الناحية من معتقدهم لم تزل تفوح بالوثنية** .
>
> إن المأثورات الأدبية تجعل للأولياء من الصفات المذهلة والخوارق المعجزة ما لا يختلف كثيراً عما نسبه الفراعنة إلى آلهتهم المتعددة، أو ما أضفاه الإغريق على آلهتهم ، فأغاني زيارة الأضرحة **وتخمير الموالد*** تقول بأن الأولياء يسكنون قمم الجبال، ويأكلون ما لا يطيقه البشر، ويلتزمون بواجبات ثقيلة، وذلك كله منطقي يتناسب مع قوتهم المدعاة.

ويثبت الدكتور **محمد الجوهري** - ج : ٢ ، ص : ٤٧ - قائمة بأشهر الكرامات التي يعتقدها العامة في الأولياء - بعد تحفظه عليها وإثباته تعارضها مع أصول العقيدة وقواعد المنطق وحقائق الحياة، وبعد مقدمة من فتاوى الشيخ **شلتوت** تدفع نظرة العامة في الأولياء - وهذه الكرامات هي :

١ - إحياء الموتى . . والقدرة على التحدث إليهم .

٢ - تجفيف البحر ، والمشي على الماء ، وقطع المسافات البعيدة في لمح البصر .

---

٢ - الأدب الشعبي - ص : ١٤٢

* - المخمرون طائفة من الدراويش يجلسون بعد حلقات الذكر يتسابقون إلى القول بأنهم (يهود - نصارى - مجوس) والدراويش يصيحون : اكفر . . اكفر . . ويتبارون في إنشاء أزجال أو أشعار يزعمون أنها إلهام ساعتهم ، ويقول أحدهم عن الأقطاب : ساعة يجونا عرب ،

ساعة يجونا اعجام

ساعة يجونا نصارى لابسين زنار ،

ساعة يجونا سكارى من حدا الخمار

انظر هذه هي الصوفية : ١٧٦ هامش (١)

٣ - الظهور في أكثر من مكان في الوقت نفسه .

٤ - القدرة على التحكم في الأشياء الطبيعية .

٥ - شفاء الأمراض بمختلف الوسائل .

٦ - تلبية دعوة من يلوذ به من الناس في أي أمر من الأمور .

٧ - احتمال الجوع والعطش أيامًا طويلة .

٨ - مخاطبة الحيوانات والأشجار وغيرها من عناصر الطبيعة .

٩ - توقيف الوقت .

١٠ - التنبؤ بالغيب وبالكوارث .

١١ - إخضاع الحيوانات المتوحشة .

١٢ - القدرة على تحويل شكله وهيئته .

١٣ - القدرة على تحويل الأشياء كجعل العسل ماء ، وتناول كميات كبيرة من الطعام واحتمال الجوع والعطش أيامًا طويلة .

١٤ - التمتع بالعناية الإلهية ومعاقبة الله تعالى من يهين الولي أو يعتدي عليه .

ومن دراسة ميدانية أجراها الدكتور عيسوي على **٤٣٥** شخصًا أمكنه حصر عدد من الخرافات والأباطيل ، ومنها أن التقرب من الأولياء يجلب الخير والمصالح ، وأن النذر لهم نافع ، وعدمه ضار ، وأن زيارتهم توصف للمرأة العاقر كي تحبل[٣] .

●● أولياء متخلفون عقليًّا :

وقد جرت عادة كثير من الناس على اعتبار بعض المتخلفين عقليًّا من الأولياء المقربين ، رغم أن الشرع لم يكلف إلا عاقلاً بالغًا ، **وحاشا لله سبحانه أن يتولى المجانين الذاهلين ذاهبي العقول ممن يبولون في ثيابهم ، أو ترعى الهوام أبدانهم ، إلا بما يتولى به عموم الناس في جهة الرزق والإحياء والإماتة .**

---

٣ - ص : ١٢٧

وقد لفتت قضية الأولياء المتخلفين عقليًا نظر المستشرق الإنجليزي وليم لين فكتب عنها بأسىً وامتعاض قائلاً:[٤]

إن المصريين يظهرون التقديس لأقل الناس استحقاقًا له، فيعتبرون الأبله أو المجنون مخلوقًا عقله في السماء وجسده يختلط بالبشر، ويعدونه لذلك وليًا!! ومهما ارتكب هذا الولي من الخطايا ـ وكثير منهم يخالفون الدين جهرة ـ فهي لا تؤثر على قداسته، إذ تعتبر نتيجة لتجرد عقله من الأشياء الدنيوية، فروحه أو قواه العقلية كلها مستغرقة في التقوى، ولذلك تترك شهواته بلا رقيب.

وليست هذه القضية «مصرية» فقط ـ كما ذكر لين ـ بل هي منتشرة في بلاد العالم الإسلامي، وليس هذا غريبًا، فالعالم الإسلامي يشبه الأواني المستطرقة يفضي بعضها إلى بعض، وتنتقل الجراثيم إلى عقول الشعوب به كما تنتقل الجراثيم في أجزاء الجسد الواحد.

وأذكر أنني كنت كتبت قصة قصيرة بمجلة الأمة ـ يولية **١٩٨٦** ـ عن ولي متخلف عقليًا ـ ابن سنية ـ وعن اعتقاد العامة به، فحدثني نفر من أهل السودان وفلسطين والهند وباكستان وبنجلاديش ممن قرأوا هذا الكلام أنني كنت أحكي واقعًا في بلادهم فالظاهرة موجودة حتى الآن. ولا يزال في مدينتنا بمصر ثلاثة أو أربعة من هؤلاء يطوفون الشوارع، ويترضّاهم العامة من جلاس المقاهي مقدمين لهم الشاي والسجائر والطعام، لأنهم في نظرهم «**بركة، وعندهم لطف**».

ويفلسف **ابن عربي** أمر **الأولياء البله** فيقول[٥]:

من الناس من يكون وارده أعظم من القوة التي تكون في نفسه عليها، فيحكم الوارد عليه، فينقلب عليه الحال فيكون بحكمه يصرّفه الحال، ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال. فإن استمر عليه إلى آخر عمره فذلك المسمى **بالمجنون**.

---

٤ ـ المصريون المحدثون ـ ص: **٢٠١** عن الجوهري ـ ص: **٥٩**، ج: ٢

٥ ـ مصرع الشرك والخرافة ـ **٥٥٧** نقلا عن الفتوحات المكية وعوارف المعارف.

ومنهم من يمسك عقله هناك، ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبر ولا روية، فهؤلاء يسمون **عقلاء المجانين** لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات،

أما **المجذوب** فهو الذي يبادئه الحق بآيات اليقين، ويرفع عن قلبه شيئًا من الحجاب، ولا يؤاخذ في طريق السلوك والمعاملة، وهذا لا يؤهل للمشيخة .

وما أحسن ما جاء في شرح ـ الطحاوية ـ ص ٥٧٣ ـ في إبطال دعوى ولاية المعتوهين:

من اعتقد في بعض البله أو المولعين ـ مع تركه لمتابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ـ أنه من أولياء الله، ويفضله على متبعي طريقة الرسول ﷺ فهو ضال مبتدع، مخطىء في اعتقاده. فإن ذلك الأبله إما أن يكون **شيطانًا زنديقًا أو متحيلاً أو مجنونًا معذورًا**، فكيف يفضل على من هو من أولياء الله المتبعين لرسوله ﷺ أو يساوى بهم ؟!

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله»** فلا يصح عن رسول الله ﷺ ولا ينبغي نسبته إليه . . وكذا قول الشاعر الصوفي:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا ... السياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين إلا أن سر جنونهم ... عزيز على أبوابه يسجد العقل

فأما الحديث ففيه مصعب بن ماهان وهو كثير الخطأ كما في التقريب، وفيه أحمد بن عيسى الخشاب وله مناكير . . وضعفه الألباني حفظه الله[6].

وأما الشِّعر فهو ساقط سقوط القائل له، لأن التكليف الشرعي لا يكون إلا للعقلاء «وإن الجنة خلقت للذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

٦ ـ انظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير للدكتور فهد الرومي ـ ص: ٤١، ٤٢ وكذا تخريجه تفصيلاً في الطحاوية ص: ٥٠٨

الآخر. وقد ذكر الله تعالى أهل الجنة بأوصافهم في كتابه الكريم فلم يذكر في أوصافهم البله - الذي هو ضعف العقل - وإنما قال ﷺ :

[**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**][7] ولم يقل البله . . فتأمل.

●● سكنى الأولياء :

يُسكن الوجدان الشعبي الأولياء في أماكن كثيرة، ويسمح لهم أيضًا بالتنقل من رقعة إلى رقعة، بل من قارة إلى قارة في لمح البصر؛ لأنهم - ببساطة - على كل شيء قديرون، إذ تكسبهم الولاية قدرات خارقة تجعلهم يكسرون حواجز الزمان والمكان، ويذيبون الفوارق بين المحيا والممات، وحياة مَنْ على سطح الأرض ومَنْ تحت الثرى . .

●● ومواطنهم عديدة

- **فربما استتر الولي داخل بئر أو خلف لحاء شجرة أو فوهة تلة أو في خربة، أو تقمص جسد حيوان!!**
- إن من أشهر مساكنهم ينابيع المياه - وعلى الخصوص في فلسطين والأردن. ففي مصر يسكنون **بئر يوسف** في القاهرة، أما في **فلسطين** فقد عدّ **نمر سرحان** ما يزيد على **٥٨٣** بئرًا مقدسة في دراسته للينابيع المسكونة[8].
- كما يسكنون **الكهوف والمغاور**، ومثال ذلك الكهف الموجود على جبل الزيتون الذي يقدسه المسلمون باسم «**الربيعة**»[9].
- كما يسكنون **قمم الجبال**[10].
- وأهم مكان يسكن فيه كبار الأولياء هو غار حراء الذي ينعقد به **الديوان الباطني**، وقد

---

٧ - متفق عليه - مصرع الشرك والخرافة - ٥٥٨

٨ - التراث الشعبي، ع : ١٩٧٣/٩م

٩ - المأثورات الشعبية، إبريل ١٩٩٢

١٠ - أحمد رشدي صالح : ١٤٢

سجل المستشرق الإنجليزي **إدوارد لين** ذلك فقال :

ويعتقد أن **سطح الكعبة مركز القطب الرئيسي**، ويفضل مركزًا آخر بباب القاهرة المسمى **باب زويلة**، ويسمى العامة باب زويلة **«باب المتولي»** لاعتقادهم أنه مركز ذلك الكائن المجهول . ومن وراء مصراعي الباب العظيم ـ الذي لا يقفل أبدًا ـ فضاء صغير يقال إنه مكان القطب. وللقطب في مصر مراكز أخرى أقل شهرة **أحدها في قبر السيد البدوي، والآخر في مدينة المحلة**[١١] .

● ومقارهم المشهورة بعد ذلك في **الأضرحة والمقامات** التي تعرف بأسمائهم في كل الأرياف والمدن الصغيرة والكبيرة بالعالم الإسلامي .

والـلافت للنظر أن قبور الولي الواحد ـ كالحسين رضي الله عنه ـ قد تتعدد، ويفتتح لها مريدوه وخـدّامـه «فروعًا» في أماكن كثيرة، تمامًا كشركات القطاع العام والمحلات الكبرى الناجحة . . **والتجارة شطارة** .

ففي ريف مصر عشرات القرى التي ظهر فيها الحسين لأشخاص عاديين، وطلب منهم إقامة ضريح له فيها[١٢] .

كما أن له ـ رضي الله عنه ـ أضرحة كبيرة ومشهورة في مصر والعراق وسوريا والسودان .

وقد أشار **جولد تسيهر** إلى عديد من مقامات الأولياء ـ المكررة ـ ومنها قبة منشأة بالقرب من باب زويلة بالقاهرة تكريمًا للست **رقية بنت علي بن أبي طالب** ـ رضي الله عنهما ـ ويذكر أيضًا تفصيلات ومعلومات عن مقام لعبد القادر الجيلاني في إدفو، وقبره الحقيقي في بغداد[١٣] .

وأزعم أن قبر **عبد القادر** منتشر في بقاع كثيرة من بلاد العرب والعجم، كما أن **«سيدي الأربعين»** منتشر في بقاع كثيرة ـ وهو كثيراً ما يكون **شجرة جميز ضخمة** عتيقة ـ وكذلك **أولاد عنان** فهم ملء الأرض.

وقـد يكون الولي الحي **«متوحشًا»** يؤاخي الذؤبان في الفلوات ويسكن **«كوادي الحلفا» والخرائب** كما سيأتي . . فتأمل .

---

١١ ـ لين ـ المصريون المحدثون ، ص: ١٦٣ عن هذه هي الصوفية، ص: ١٣١

١٢ ـ الجوهري : ص : ٥٩

١٣ ـ السابق

قبل سنين زارني بعض الإخوة الهنود من الغُير على العقيدة والتوحيد ـ من أهل كيرلا ـ ومعهم صورة لوليٍّ من الهندوس عباد البقر يطوف المسلمون هنالك بقبره، ويتبركون به، ويدعونه من دون الله، فلم أتعجب كثيرًا، لأن العقلية العامية استباحت الطواف حول **حمار سيدي عبد العال**، والتبرك بضريح قبر ميتٍ بالصعيد[١٤]، ورأيت بعيني قبر «**كته شاه**» الكلب البنغالي ـ دفين دكّا ـ كما رأيت المسلمين في بعض المناسبات يرسمون الصليب على جباه المحسودين أو المرضى، ويذهبون إلى الكنيسة ليستخرج لهم القسيس جنيًّا استعبد أحدهم

بل وأكثر من ذلك فعندنا قبر «**أبي حصيرة**» ذلك الولي اليهودي الذي انكشف انتماؤه لليهودية ـ فقط ـ بعد أن بدأ اليهود يترددون على قبره في عمق الدلتا !!

فهناك ـ إذًا ـ **ازدواجية في تصور العامة للولاية**، فقد يكون الولي أحيانًا رمّة حيوان .. وقد يكون على غير ملة الإسلام !! ومع ذلك فهو ولي مبارك «**سره باتع**» وكراماته بيِّنةٌ يتناقلها الصغير والكبير .

«ويلاحظ اشتراك جميع أتباع الديانات ـ **في فلسطين** ـ في تقديس العديد من الأولياء والأنبياء، ومثال ذلك الكهف الموجود على جبل الزيتون الذي يقدسه المسلمون باسم **الربيعة**، وهو في الوقت نفسه يلقى احترام النصارى حيث رجمت **بلاجيا** بسبب زناها .

كما يتداوى الوسط الشعبي من كل الطوائف ـ **في مزار الخضر، ومعابد السامريين اليهود، وعند أطباء شعبيين نصارى**»[١٥].

ويقدس المسلمون في فلسطين **بئر عونة** ـ وفيها ستنا مريم ـ وكذا **عين كارم**.

ومن الأولياء الذين يعظمهم المسلمون والنصارى في فلسطين **الخضر ـ أو مار جريس** كما

---

١٤ ـ سمعت هذا قبل نحو أربع عشرة سنة من الشيخ عبد القادر شيبة الحمد المدرس بالجامعة الإسلامية وبالحرم النبوي الشريف .

١٥ ـ المأثورات الشعبية ، إبريل ١٩٩٢ ، نمر سرحان واقرأ أيضًا مقالته في عدد سابق من المأثورات عن الأعمال الكاملة للدكتور توفيق كنعان .

يسميه النصارى - ويرونه حيًا خالدًا بعد أن شرب من عين الحياة «**ماء المحاياة**» وهو في الوجدان الشعبي المصري حيٌّ أيضًا لم يمت منذ كان مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام يتحاوران !!

ولا يزالون في الأردن يتوسلون به لتسهيل ولادة المرأة قائلين:

(**يالله يا سيدي الخضر - يالله يا سيدي أبو العباس - يالله تفرجها**)[16].

ولعل من المناسب هنا الإشارة إلى أن العقيدة الشعبية في الخضر مدفوعة مدحوضة، لا تعتمد - ككثير من عقائد العامة - على عقل أو نقل .

فالخضر مخلوق من البشر لا يمكن أن يخلد، وهو الآن: **ذو نسب في الهالكين عريق**.

سأل إبراهيم الحربي **أحمد بن حنبل** - رحمه الله - عن تعمير الخضر وإلياس وأنهما باقيان يُريان ويروى عنهما، فقال:

من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان.

وسئل **البخاري** - رحمه الله - عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ: [**لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحدٌ**] ؟!

وقال **ابن الجوزي** - رحمه الله - ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ فاستدل رحمه الله بالآية على إبطال ذلك الزعم .

وقد أفاض **ابن القيم** - رحمه الله - في هذه المسألة، وهي من المسائل التي أفردت بالتصنيف، وأجمع ما فيها كتاب : **الزهر النضر في خبر الخضر للحافظ ابن حجر** رحمه الله[17].

- وفي مصر يقصد المصريون - المسلمون والنصارى على السواء - **كنيسة سانتا تريزا بشبرا**، للتبرك وقضاء الحاجات .

وتبرر د. **سامية الساعاتي** ذهاب المسلمين للتبرك بقديسين نصارى بأن الإسلام يعترف

---

١٦ - عبيدات، ص: ٢٣٥

١٧ - التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث . د. بكر بن عبد الله زيد .

بالديانتين السابقتين عليه ـ اليهودية والنصرانية ـ وفقًا لقوله تعالى : **﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾**[١٨].

ونحن لا نسلم لها بهذا التعليل بل إن العلة في رأينا ـ أولاً وآخرًا ـ هي الخلط في مفهوم الألوهية، وعدم العلم بعقيدة التوحيد على وجهها الصحيح، وإلا فإن التبرك حتى بالأولياء الموتى ـ من المسلمين ـ لا يجوز. **فكيف بسانتنا تريزا؟!**

وربما تنازع المسلمون والنصارى الولي فضمّه هؤلاء لدينهم وهؤلاء لدينهم، فهو مسلم أحيانًا وقبطي أحيانًا، أو قل هو موضع التقدير الأسطوري من الفلاحين أقباطًا ومسلمين.

وهذه المسألة سنلقاها مرة أخرى في السحر، حيث يختلط أسلوب العمل السحري في الجانب القبطي ـ بما فيه من نصوص إنجيلية ـ بالجانب الإسلامي ـ بما فيه من آيات قرآنية ـ وحيث يستعين المسلمون بقسيس في كتابة عمل السحر، أو يستعين النصارى بشيخ مسلم ليقوم بذلك.

وهذه أغنية يؤديها زائرو أبي سيفين ـ القديس القبطي[١٩] ـ وغالبًا ما يكونون مسلمين وذات الأمر نلقاه مع زائري «**العجايبي**» القديس القبطي بمنطقة المنيا، ومع زائري مار جرجس.

بل أكثر من هذا نجد **نفس العادات في الزيارة تتبع الاختلاف إلى أصنام فرعونية قديمة مثل «أبو ناعون»** بإحدى قرى المنيا، وهو صنم منحوت بالقرب من مغارات بني حسن الأثرية:

جبـة أبـو سيفين بعيدة جستني	(قست قبة أبي سيفين ـ مزاره ـ عليّ لبعدها).
وان وفّـج الله بالخير ندعي الزمتي	(تحوير لكلمة لزيمي بمعنى سيدي).
جبـة أبـو سيفـين بعيـدة ملفّة	(الطريق إليها متعرجة).

---

١٨ ـ د. سامية الساعاتي ، ص: ٢٠٣

١٩ ـ لأبي سيفين كنيسة باسمه في مدينتي بالدلتا ويقال إن رفاته بها، وقد رأيته وأنا طفل، وله بالصعيد وغيرها كنائس ومزارات !!

وإن وفّج الله بالخير نروح لو بزفّة

جبة أبو سيفين بعيدة وجيِّل (أمضي إليها من الصباح حتى وقت القيلولة لبعدها).

وإن وفق الله بالخير ندعو المزيِّن (ندعو الحلاق ليحلق الرأس بالضريح تبركًا).

ولهم القدرة على ترويض الوحوش :

القول على رجال كوادي الحلفا متواهم

السبع والضبع والتعبان وياهم

دافْ أول الليل يتجلوا لمولاهم

وف آخر الليل صلى البدر وياهم

وهم يغيثون من يستغيث بهم :

لازم أسير ع المدد واتبع إلى الجدين

وإن كنت منضام أناديلك يابو العباس

أنظر ألاقي الفرج جاني من الجدين[21]

طرف من قدرات الأولياء في عقائد العامة:[20]

يرى المعتقد الشعبي أن الأولياء ذوو قدرات خارقة وإمكانات لا يملكها ولا يقدر عليها «المساكين» من غيرهم، فأحدهم يسافر ألوف الأميال في لحظة - من طنطا إلى مكة مثلاً - وبعضهم يغيث الملهوفين، فإذا كانوا في ضائقة فاستغاثوا: **يا سيدي يا بدوي ، أو يا سيدي علي**، وجدوه حاضرًا يفك كربتهم، ويجيب سؤلهم. وبعضهم يعتقد فيهم إمكان التدخل في قدر الله، ويظنون أن منهم من يُحبل العقيم، ويشفي المريض، ويُنجح التلميذ، ويحبب المقلية لزوجها.

---

٢٠ - سأستعرض في هذه الورقات العقائد الشعبية فقط، أما ما يقال عن التصوف - وله - من اتهامات ودفوع «أكاديمية» فهذا يقع ضمن جزء تالٍ من الكتاب إن شاء الله تعالى.

٢١ - النصوص من . الأدب الشعبي، أحمد رشدي صالح: ٢٠٤ - ٣٣٢ وما بعدها.

وهم ذوو قدرة على التشكُل والانتقال ومعايشة الوحوش، فاقرأ هذه المأثورة الشعبية وتأمل

عجبي على رجال لا كدبوا ولا ضلّوا
فرطوا خيامهم في وسط البحر لم بلّوا
وجاهم الطياب ف نص الليل وحلوا
وفي الفجر عند النبي المصطفى صلوا

ومثلها قولهم:

واللي نظرلو النبي . . النور عليه يبان
ترك المواطن وقال : الملك للديان
قلع الحرير ورماه، ولبس الخيش يا إخوان
سكن الجبال يا حبيبي مع الوحش والغيلان
دا ف أول الليل يوحد كريم حنان
وف آخر الليل يصلي في حرم النبي العدنان

وقد يتخذ بعض العامة طرقًا «رسمية» في الاتصال بالولي الذي يسألونه كشف كربة وتفريج هم، فعن طريق هيئة البريد يرسلون له رسائل على عنوان ضريحه، وقد ظهر سنة **١٩٦٥** كتاب في مصر بعنوان: **رسائل إلى الإمام الشافعي** جمعه الدكتور **سيد عويس**، وفيها يشكون سوء الحال والمتاعب والظلم، أو يطلبون معروفًا من الإمام، وفي حالات كثيرة يصرون على حل معين لمشكلتهم.

وترسل الرسائل لكل ولي بحسب تخصصه، فهذا لعلاج الصرع، وذاك للأمراض العقلية، وذلك لعلاج العقم . . وغالبية الرسائل تأتي من مناطق ريفية بمصر كلها، وتكتب الرسائل إلى الإمام الشافعي ـ البطل الشهيد ـ **إلحأ** ـ أي أدرك وأغث ـ طالب المدد ـ أي الغوث والمعونة، **وأن يتصرف** ـ هو والأولياء ـ في حل كربتهم ـ وأنهم **«في عرضه»** ويحبون أن يريهم في خصمهم يومًا ـ **وريني فيه يوم**[٢٢] ـ وقد يطلبون إلحاق الأذى بأحد.

---

٢٢ ـ انظر Open letters to the dead. Sami Hanna المأثورات الشعبية، يناير ١٩٩١

لا شك أن قضية الأولياء ـ على مستوى العالم الإسلامي كله ـ قضية لا نهاية لها، فهم في ازدياد كل يوم . . فكما كان أهل الجاهلية الأولى يستحسنون الحجر فيلتقطونه ويتقربون به إلى الله زلفى، فإن المعاصرين، إذا استحسنوا أحدًا ـ أو حُسِّن إلى نفوسهم ـ ادعوا له الولاية والكرامة، وأسبغوا عليه من الخوارق ما لم يعطه رسول الله ﷺ، سواء كان ميتًا أو حيًّا، ذكرًا أم أنثى، عاقلًا أم مجنونًا، جاهلًا أم عالمًا ـ وهم غالبًا من الأميين والجهال ـ ملتزمًا بدينه أو غير ملتزم !!

ولو حاولنا أن نتلمس أسبابًا مقنعة وراء تنامي ظاهرة الأولياء وتضخم عدد أضرحتهم[٢٣] فإننا سنجد عددًا لا بأس به من الأسباب :

١ ـ السبب الأول هو **ادعاء الولاية والكذب على العامة** واستغلال عاطفتهم وميلهم للغلو في هذا الجانب . ودليلنا على ذلك ما لاحظه د. زكي مبارك أن الشعراني ذكر في مؤلفاته ـ أكثر من خمسين مرة ـ جملة : **العاقل من عرف زمانه** . فهل معنى ذلك أن الشعراني قد عرف عقلية معاصريه فبلغ من ذكائه أن قدم إليهم ما يرضيهم ؟!

ولعل ما يفسر الكثير من هذه الخرافات ـ المدعاة للأولياء ـ قوله في موضع آخر: **أُخذ علينا العهود أن ندور مع أهل زماننا، وننخدع لهم كما ينخدعون لنا، ونتلون لهم كما يتلونون لنا، فنأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف داروا**[٢٤] .

٢ ـ **الإقطاع الريفي والطبقات المتعاونة والمتحالفة معه**، وكذلك بعض الطرق الصوفية لعبوا ـ ولا يزالون ـ دورًا بارزًا في تفريخ أولياء جدد، وفي تدعيم هذه الممارسة الشعبية والتمكين لها بين الناس[٢٥] .

---

٢٣ ـ كنت أسكن بشارع به، وبحواشيه، نحو ثمانية أضرحة !!

٢٤ ـ مصطفى نبيل: هكذا تكلم الإمام الشعراني، الهلال، عدد مايو ١٩٩٢

٢٥ ـ د. محمد الجوهري ، ص: ٥٩ وما بعدها .

ونفرع عن هذا دعاوى طوائف من المتنفعين من سدنة الأضرحة، الذي يزعم أحدهم أنه رأى الولي الفلاني في منامه فأمره أن يبني ضريحًا للشيخ ويكسوه ويوقد عليه السُّرُج، وتبدأ سلسلة من الارتزاق والمخادعة.

٣ - **الأدب الشعبي يقوم بدور الداعية والمجند في هذا الجانب**، وليس من المستبعد أن يكون الأدباء الشعبيون - المداحون - هم الذين نسجوا الخوارق، أو - على الأقل - كانوا هم العامل الضخم في تخليدها قصصًا وأساطير وموروثات[٢٦].

٤ - **بعض المتنفعين من وعاظ المتصوفة ممن يحيكون الأساطير والكرامات ويسبغونها على الأولياء.**

ولا مراء أن أرباب الفرق ورجالها - والعامة - على السواء، قد أنشأوا ذلك الفنّ من الشعر الصوفي الشعبي الذي مازجوا فيه بين الغزل الإلهي - **ودائمًا في أنثى** كما سيأتي !! - وبين النظر الأسطوري، وأداروه أعظم ما أداروه على عنصر الخوارق[٢٧].

وترجع الدكتورة نبيلة إبراهيم[٢٨] القضية إلى عهود مبكرة لعب خلالها الوعاظ دورًا كبيرًا في العمل على إثراء التراث الشعبي بالقصص الديني المشبع بعنصر الخيال، ولما كان الخلفاء الراشدون مدركين تمامًا لخطورة هذا الأمر، لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأذن لرجل أن يجلس للناس في مسجد الرسول ﷺ يحدثهم الأحاديث دون أن يكون على علم تام بالثقافة الدينية. كما نجد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يطرد القصاص من مسجد البصرة، ولم يأذن إلا للحسن البصري العالم الجليل الفقيه.

والواقع أن الوعظ - أسلوب القصاص والمذكرين - فتح مجالاً طريفًا لرواية الحكايات الخيالية،

على أن «الشعب» الذي أغرم بالقصص والروايات منذ القدم لم يعد يقتصر على سماع الحكايات الدينية الرمزية وغير الرمزية، بل أصبح القصاصون - في كل مكان - يلعبون

---

٢٦ - أحمد رشدي صالح: ١٤٤

٢٧ - السابق: ١٥

٢٨ - ص: ١٠٩ باختصار.

دورًا كبيرًا في «إمتاع» الناس بحكاياتهم .

وقد أثبت عدد من العلماء دور المذكرين والقصاص في التزيد على الثوابت الشرعية، وانتحال القصص الزائفة ونسبتها للدين ـ بدعوى حبّه، أو كيدًا له ـ ومنهم الإمام **ابن الجوزي** الذي كتب عن : «**القصاص والمذكرين**» ، وأشار إليهم أيضًا في كتابه عن **تلبيس إبليس** ، **والسيوطي** الذي كتب: **تحذير الخواص من أكاذيب القصاص**، وكتب عنهم **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ **أحاديث القصاص**، والحافظ العراقي : **الباعث على الخلاص من أحاديث القصاص** وغيرهم كثير .

ولقد اتخذ القصاص الآن شكلاً من أشكال ما يسمونه **الغناء الديني** ، فعمد بعضهم إلى تأليف قصص، ثم غنائها على الربابة أو مع تخت كامل من الآلات، وقد تكون القصة عن النبي ﷺ أو عن الخلفاء والصحابة أو عن صالح من الصالحين أو ولي من الأولياء .

٥ ـ من أهم أسباب تنامي عدد الأولياء والاحتفاء بالمضروحين وتشجيع الخرافات :
ستر الفساد السياسي، والإسهام فيه، والتخاذل أمام هجمات الأعداء، وكذا ضرب مسيرة الإسلام الصحيح، حتى إن المستعمرين استغلوا السذاجة التي شاعت، وانغماس الناس في الدجل والدروشة فشجعوا هذا الاتجاه، وشاركوا فيه، ليستقر لهم زمام الأمور .
وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري اجتمع زعماء الصوفية لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء .

> ويذكر المؤرخون أن **نابليون كان يحضر حفلات المولد، ويشهد حلقات الذكر مع المتصوفة، وفعل مثل هذا ـ فيما بعد ـ المندوب السامي البريطاني** .
> يقول الدكتور **فروخ**: ومن أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا **المستعمرين يغدقون الجاه والمال على الصوفية، فربّ مفوضٍ سامٍ لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقة من وجوه البلاد، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر، ويقضي هنالك زيارة**

سياسية تستغرق الساعات. أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم ؟!»[٢٩]

٦ ـ **هناك جوانب تجارية وترويحية وفنية واقتصادية للموالد والاحتفال بالأولياء، إذ تنشط** تجارة الأشياء السريعة والخفيفة، كما ينشط الحواة والراقصات ولاعبو الورق والتياترو الشعبي وغيرها.

كما أن لها جوانب انحرافية كانتشار البغاء ـ رسميًّا حين كان مصرحًا به، وبصورة غير رسمية إلى الآن ـ بالإضافة إلى ترويج المخدرات بأنواعها، حيث تنتشر غرز الحشيش في كل مولد، وتنشط حركة الاتجار فيه، إضافة إلى النشل والسرقة والتسول والنصب[٣٠].

الأولياء وتفاوت القوى:

يعتقد العامة في الولي دفين الريف أقل مما يعتقدونه في دفين المدينة، ويعتقدون في أسماء بعينها أكثر مما يعتقدون في غيرها. فالعدد كبير جدًّا، ومن غير المعقول أن يستوي ولي محلي بآخر عالمي الشهرة كالجيلاني أو البدوي أو الحسين أو غيرهم. فأحدهم يُكتفى له بشمعة أو بفاتحة عند ضريحه، وآخر يستحق شدّ الرحال إليه، والذبح عنده، والطواف حوله، وتهيئة الزاد قبل الرحيل بمدة كافية.

«ولقد اعتادت العامة مثلاً النذر لأحمد البدوي، وتسمين عجول تسمى «عجول السيد» تربي بعناية بالغة، وينزلها الفلاحون منزلة تقرب

٢٩ ـ د. السيد رزق الطويل، التصوف في مصر، الهلال، مايو ١٩٩٢، ص: ٢٢

٣٠ ـ د. محمد الجوهري، ص: ١٠٢

من التقديس، ويحجون بها إلى طنطا ليذبحوها أمام ضريحه» [٣١]

كما اعتادوا شد الرحال إلى الحسين أو السيدة ـ رضي الله عنهما ـ أو الدسوقي أو القنائي أو غيرهم.

ومن العامة من يخلع نعليه عند اقترابه من حرم المسجد الذي شد رحاله إليه ـ وقد يكون حرم المسجد في اعتقادهم أكثر من ثلاثين كيلو مترًا فيما أعلم ـ

ومنهم من يظن ـ إذا حج البيت ـ أن حجته لن تكون مبرورة ولا تامة إلا إذا زار بعد عودته «السيد» ـ أو غيره ـ فإذا فعل اطمأن إلى أنه نال لقب الحاج عن جدارة واستحقاق.

يقول الشيخ **عبد الرحمن الوكيل** عليه رحمة الله ـ ص: **١٧٥** ـ تأمل الحجاج قبل الحج وبعده ترهم يطوفون حول الأضرحة في مصر، كأنما يريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد مقيمون، بل تأمل الأسطورة التي يبتدعها سدنة كل صنم، **إذ يزعمون أن من زار هذا الوثن أو ذاك سبع مرات ماشيًا كتب له ثواب حجة**، زعموا هذا للبدوي في طنطا، وللدسوقي في دسوق، ولشبل في الشهداء ا. هـ.

أقول: وهذا موجود في بلاد أخرى غير مصر كالهند وباكستان وبنجلاديش ـ كما أخبرني مسلمون من هذه البلاد ـ وكثير من دول أفريقيا..

وعلى غرار ما يزعم الصوفية فإن العامة يعتقدون أن هناك أقطابًا وأبدالاً وأوتادًا لكن ليس بالتحديد الصارم الذي يحدده المتمرسون والمحترفون من الصوفية ـ وسنتكلم عن ذلك بأمر الله تعالى فيما بعد ـ

كما أن منهم من يتخصص في مهام معينة ينتدبه العامة لها، كإحبال عاقر، أو إنجاح ولد، أو إبراء مصروع، أو تحبيب زوج في زوجة.. وغير ذلك.

---

٣١ ـ د. علي عبد الواحد وافي، ص ٧٩ وما بعدها، والسيد البدوي هو أحمد البدوي المولود بزقاق الحجر بمدينة فاس نحو عام ٥٩٦هـ، وسمي بالبدوي لأنه كان يتلثم على عادة بدو أفريقيا، وأطلق عليه لقب مهارس الحرب أو العطّاب، كناية عن فروسيته، وقد كان كان في شبابه مشهورا بالفتوة، ولقب أيضا بالقدسي وأبي الفرج والصامت. عاش زمن الظاهر بيبرس، ومات بطنطا عام ٦٧٥هـ بعد أن أقام بها إحدى وأربعين سنة، وكانت له مسالك مثيرة جعلت الباحثين ينظرون إليه نظرات متباينة بين الادعاء والخرافة والجاسوسية أو العلم والولاية انظر، فنون الأدب الشعبي، ج٢، ص ١٣٣ والهلال، مايو ١٩٩٢، ص ١٦

لعله من حسن التوجه ما فعله بعض الشباب من استخراج بعض الأناشيد الإسلامية ذات المعاني الصحيحة في الجهاد أو مكارم الأخلاق أو غير ذلك من المقاصد، والتغني بها بديلاً عن اتجاهين متطرفين :

الأول : **الاتجاه الانحلالي الذي لا يتحدث إلا عن القدود والخدود، والوصال والهجر، والشوق واللهف، والرغبة في الانتهاك** واقتراف الفاحشة صراحة. والأمثلة كثيرة لا نحتاج لإيرادها.

الثاني : **اتجاه انحرافي يسمونه الغناء الديني يقوم على الأساطير والغلو في الأولياء والمدائح** «المتطرفة» والموسيقى الصاخبة، ويمتلىء بالاستغاثات والتوسلات والشركيات. وقد ازداد انتشار هذا اللون مع دخول الكاسيت كل بيت، وانتهاكه عذرية الريف وبراءة أهله، وانتشرت الليالي - **لأهل الله** - وفيها يظل الغناء «الديني» مجلجلا حتى الفجر لينتشي الفقراء والأميون بخوارق سيدي علي وسيدي أبي شرف الدين وسيدي السيد وغيرهم من السادة الذين يُزعم أنهم لا يعجزهم شيء في السموات ولا في الأرض

وللأغاني الدينية مناسبات تؤدى فيها، كمناسبات الحج والاحتفال بميلاد النبي ﷺ وموالد الأولياء الصالحين التي يعتقد الناس في أهميتها، وتؤدى هذه الأغاني حول الأضرحة[٣٣].

٣٢ - انظر كتابنا : التلفزيون السم اللذيذ - الموسيقى الدينية، ص : ٣٧

٣٣ - د أحمد مرسي، ندوة التخطيط لجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية، ص : ٣٠، ج ٣

وحتى شعراء الملاحم والبطولات الشعبية، ساهموا في بذر الخرافات اللابسة ثوب الإسلام، وألبسوا قصصهم وملاحمهم ألبسة دينية في كثير من الأحيان.

فقد ساهم شعراء الهلالية في إحكام الإطار الديني حول سيرهم الشعبية بنسبة الأبطال لآل بيت الرسول ﷺ من جانب، وظهور بعض الشخصيات الدينية لإنقاذ البطل، كسيدي الخضر من جانب آخر.

كذلك البدء بقصائد المديح والتوسل بالنبي ﷺ المطعمة بكثير من الكرامات، وبعث الميثولوجيا الدينية تفسيراً وقراءة.

فمهمة الشاعر الشعبي - كما يفترض الأستاذ **الأبنودي** تتجاوز سرد التاريخ إلى استلهام العبرة والحث على الإيمان (ولو بالقصص المزورة والغلو في الصالحين).

وهو هنا ينافس خطيب المسجد في هيبة منصبه وضرورية وظيفته، بل إن الشاعر نفسه يطلق على تخت الغناء كلمة «**الممبر**» أي المنبر.

وما استعمال الفصحى المهمشة إلا لتأكيد ذلك، فالشاعر لا يستخدمها إلا في قصائد المديح[٣٤].

ويكفي أن أسوق بعض النماذج التي تشير إلى أنماط هذا الغناء الديني **لتستغرب كيف تختلط آيات القرآن الكريم بالأحاديث النبوية الشريفة** - الملحونة والملحنة - **بالأساطير والخرافات، بتوقيع العيدان والطبول في موسيقى صاخبة عنيفة**.

فمن المغنين من يطوع ألحان الأغاني الشهيرة لكبار المطربين، ويركّب عليها كلمات توافق الاتجاه الانحرافي: فتجده يزعم إن إحدى زوجات النبي ﷺ تقول له: **انظر يا جميل .. يا حلو ملكش مسيل (مثيل)** أو تقول: **خدني لحنانك خدني عن الذنوب وابعدني**، ويخاطب أحدهم رب العزة قائلاً: - وأستغفر الله -:

«**ما خطرتش على بالك يوم تصفح عني ... يا ناسيني وانت في العالي**»

---

٣٤ - عبد الرحمن الأبنودي، ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، ج ١، ص: ١٧٤

وقد سمعت بنفسي شريطًا عليه آيات من سورة الفاتحة على أنغام موسيقى ديسكو لُحن في أمريكا ويغنيه دراويش من الأمريكان !!

وهذه إحدى أغاني ضريح أبي الحجاج تذكر أن شعرة واحدة سقطت من لحيته فغطت ألفا وثلاثمائة شخص - شعرة واحدة ! - وأن السيد البدوي مدّ يده من مصر فحرر خضرة الشريفة التي كانت أسيرة بالمغرب !! (وهي من مقطوعة عنوانها : خضرة الشريفة وما جرى لها في بلاد الكفرة، يلقيها (المداحون) :

يا بو الحجاج يا حلو السمية	القلب.
وبنوك اليوم جدعان خيرية	أخيار.
وجاب المسك بيسرح في دجنو	
وجعت شعرة على ألف وتلتمية	
السيد اللي م الشباك مد يدّو	
وجاب المسلسل من بلاد الكفر بحد يدّو	المسلسل هي خضرة الشريفة

ويضع السيد البدوي في إبريقه قهوة تكفي كل المشايخ والفقراء :

فقام عمل من توفيقه
قهوة ملاها ف أبريقه
سقى الجميع من أبريقه
كل المشايخ والفقراء ![٣٥]

ولاحظ معي الغلو العامي في قدرات البدوي وإعطائه ما لم يعط رسول الله ﷺ، الذي لم يفعل شيئا غير تكثير الطعام !! أما هذا فمد يده إلى المغرب - من طنطا - وسقطت شعرة من لحيته فغطت ألفا وثلاثمائة، وصنع في إبريقه قهوة تكفي كل الأحباب والمريدين !

٣٥ - ساق أحمد رشدي صالح نماذج من أغاني العامة في الفرح والحزن وزيارة الأضرحة، وغير ذلك، فارجع إليها في الأدب الشعبي، ١٤٤ وما بعدها وكذا في آخر الكتاب

لا ينكر منكر - في ظني - ما للاعتقاد في الأولياء من أثر على العامة - في كل مكان - وما لشيوخ الفرق وسدنة الأضرحة من حضور في النفوس .

«فأرباب الطرق الصوفية هم أكبر الأثر على الريف، وتأثير عميق على تشكيل الوجدان العام، حتى يكاد التصوف يترك أثرًا على كل فرد وعلى كل قيمة. ولا يمكن القيام بأي دراسة اجتماعية - ولا عقيدية - بدون معرفة التصوف الذي لا تزال رموزه قائمة على طول البلاد في أضرحة الأولياء التي لا تخلو منها قرية أو نجع»[٣٦].

ولأنني هنا لا أبحث في الصوفية بحثًا معمقًا فإنني أمر مر الكرام على كثير من الإشكالات المتعلقة بهم . .

ولكنني - حتى لا أفهم خطأ - أقول إن هناك اتفاقًا على أن هذه الخزعبلات والخرافات ما هي إلا من عمل الشيطان، بل إن كثيرًا من الصوفية يحاولون التبرؤ منها، كما أن كثيرًا من العلماء يرون أن الصوفية فرقتان أو منحيان :

●● الفرقة الأولى من **الخرافيين** - الذين ذكرنا طرفًا من عقائدهم - وهم **قوم منكرون**. وقد سئل الإمام **أبو بكر الطرطوشي** رحمه الله - وهو ممن يعدهم الصوفية من أوليائهم : ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية، وأن يجتمع جماعة من الرجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيًا عليه، ويحضرون شيئًا يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا مأجورين، وهذا القول الذي يذكرونه :

---

٣٦ - الهلال هكذا تكلم الإمام الشعراني، عدد مايو ١٩٩٢، ص : ٣٥

يا شيخ كفَّ عن الذنوب	قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحًا	ما دام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى	ومشيبُ رأسك قد نزل

فأجاب رحمه الله : مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسدًا له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعبّاد العجل .

وأما القضيب ـ ومثله العود والناي والكمان وما شابه في أيامنا ـ فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى .

وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من حضور المساجد وغيرها . ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق[٣٧] .

● ● الفرقه الثانية على الحق ـ وإن كنا **لا نستريح لإطلاق مسمى التصوف عليهم لأنه طارىء حادث** ـ وقد أفتى بذلك عدد من الفضلاء القدامى والمعاصرين كالإمامين **ابن تيمية وابن القيم** ، وكالعلامة **الشنقيطي** رحمه الله وكالأستاذ الدكتور **القرضاوي** وغيرهم . . وإليك ما قاله **الشنقيطي في أضوائه**[٣٨] :

قدمنا في سورة مريم ما يدل على أن بعض الصوفية على الحق، ولا شك أن منهم من هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وبذلك **عالجوا أمراض قلوبهم وحرسوها، وراقبوها وعرفوا أحوالها، وتكلموا عن أحوال القلوب كلامًا مفصلاً** كعبد

٣٧ ـ أضواء البيان للعلامه الشنقيطي رحمه الله . ج ٤، ص ٥٠٢

٣٨ ـ السابق

الرحمن ابن عطية أو ابن أحمد بن عطية أو ابن عسكر ـ أعني أبا سليمان الداراني ـ وعون بن عبد الله الذي كان يقال له حكيم الأمة، وكسهل بن عبد الله الشتري، وأبي طالب المكي، وأبي عثمان النيسابوري، ويحيى بن معاذ الرازي، والجنيد بن محمد، ومن سار على منوالهم، لأنهم **عالجوا أمراض أنفسهم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ولا يحيدون عن العمل بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع** . . إلخ كلامه رحمه الله .

نعود إلى الكلام عن ثمرات الغلو في ادعاء الولاية وفيما يزعم للأولياء الأدعياء من كرامات هي فتن واستدراجات وتكفير للمسلمين في الواقع .

والحقيقة أن تأثير شيوخ التصوف ـ مع أواخر القرن التاسع عشر ـ قد عظم ودخله فساد كبير وتكاثرت سلبياته ـ **لاحظ ارتباط ذلك بحالة الانهيار الحضاري التي أصابت الخلافة وبلاد المسلمين قاطبة، وارتباطها بدخول القوى الاستعمارية بلاد المسلمين** ـ مما أساء إلى العقيدة، وأشاع الفساد الاجتماعي والضلال الفكري، وعظم سلطان الدجل والخرافة .

والقارىء **للطبقات الكبرى للشعراني** يجد صورًا بالغة السوء لسلطان المتصوفة وما كان يحدث منهم من رذائل وكبائر تحت شعار الكرامات، حتى إن الناس فقدوا كرامتهم معهم .

ويتحدث **الشعراني** ـ وهو من الغلاة المنحرفين المحرفين ـ عن الصوفية الذين تحرروا من أوامر الدين ونواهيه في العصرين المملوكي والعثماني، **فالخواص والمتبولي والدشطوطي كانوا لا يقيمون الصلاة أبدًا** . وغيرهم **كان يفعل الفاحشة على ملأ من الناس**، وكانت فرق الأحمدية والبرهامية والقادرية وما إليها لا تلتزم أوامر الدين فتهمل الصلاة وترتكب الفاحشة . كما يعرض **الشعراني في طبقاته**[٣٩] صورة مزرية لنفوذ المتصوفة الكبار على المريدين والأتباع بعد أن فرضوه على السلاطين أنفسهم، **فخضعوا لأصحاب الولاية المزعومة** وآمنوا بدجلهم واستحالوا في أيديهم أداة هدم بصورة يعوزها العقل وينقضها الحس والذوق السليم .

ويرصد الدكتور **السيد رزق الطويل** بعض ما نتج عن الاعتقاد في الأولياء الأحياء ـ المتصوفة ـ من النتائج الوخيمة، وكان منها الوقوع في التدين الفاسد :

٣٩ ـ انظر : الهلال ، مايو ٩٢، ص : ١٨ وما بعدها ففيها كلام كثير للدكتور السيد رزق الطويل .

أ ـ كحلقات الذكر التي يلحدون فيها في أسماء الله تعالى، ويحولونها إلى صورة لاهية عابثة. ويصبح الذكر ـ وهو عبادة كريمة ـ رقصات على دقات الطبول وأنغام المزامير، ليصدق فيهم قوله تعالى: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ الأعراف: ٥١

ب ـ كان وراء المظاهر الشركية التي تكاثرت حول قبور الأولياء كالطواف حولها، وتقبيل أعتابها، والذبح عندها، والاستغاثة بالمضروحين بها.

كما شجعوا النهج الضال الذي سنه الفاطميون وهو بناء المساجد على القبور، فكان كل شيخ يموت منهم يقيم مريدوه مسجدًا على قبره مخالفين بذلك النهي النبوي الصريح.

ج ـ هم وراء الموالد التي شملت أكثر أيام العام وما يقع فيها من مفاسد وضلالات وانحرافات[٤٠] (انظر كلامنا عن العبادات الجنسية).

ويسوؤنا أن كثيراً من الموالد تقع على مرمى حجر من معاقل العلم في مصر كمولد الحسين ـ رضي الله عنه ـ الملاصق لجامعة الأزهر، ومولد البدوي القريب من المعهد «الأحمدي» نسبة للبدوي ـ وهو معهد مشهور خرّج عددًا من العلماء الكبار كالشيخ الشعراوي والقرضاوي وغيرهما.

ومع ذلك يضعف صوت المصححين لخرافات العامة ولمهازل الموالد حتى بات الناس يقبلون بها وكأنها من شعائر الله التي لهم فيها خير وتقرب وزلفى.

---

٤٠ ـ المرجع السابق.

الولاية والكرامة في مفهوم السلفيين:

استشهادي بالسلفيين هنا لن يكون بابن تيمية أو ابن القيم رحمهما الله ، ولا من قبلهما من الأئمة الأعلام كالبخاري ومسلم وكمالك والشافعي مثلاً - رحم الله الجميع - ولن يكون بمتأخرين عن هذا الجيل كابن عبد الوهاب - رحمه الله - ذلك الرجل الذي بارك الله في دعوته حتى امتدت إلى بلاد إسلامية كثيرة ، وطهّر الله تعالى بها قلوب كثيرين من دنس الخرافة ووحل الشرك، رغم أن كثيرًا من الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي يرون إبليس خيرًا منه - رحمه الله - وسبة الدهر عندهم أن تصم إنسانًا بأنه «وهابي» !![41].

ولن أستشهد بالشيخ ابن باز أو ابن عثيمين، ولا بأساطين أنصار السنة كعبد الرحمن الوكيل وحامد الفقي وأحمد شاكر وخليل هراس - رحمهم الله - ولكن استشهادي هنا سيكون بالشيخ الغزالي الذي حرص في كتاباته غير مرة أن يقول إنه سلفي، والذي لا يتهم بتشدد ولا تزمت ولا وهابية.

ودعوا قلم الشيخ[42] يفصل لنا هذه العقيدة دون تدخل مني إلا بالاختصار في الأدلة أحيانًا، وانتقاء العبارات من إطنابه البليغ :

لقد شهدت من أعمال زائري الضريح ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام . .

وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح - السيد البدوي - للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء.

ولمن النذور ؟

ولمن الدعاء ؟

---

٤١ - حكى لي بعض المسلمين الهنود أن أحد الدهاة من التجار أراد أن يكيد لتاجر آخر هندوسي من عباد البقر فأشاع أنه وهابي، فكان أن انفض الناس عنه !!

٤٢ - عقيدة المسلم : ٦٥ وما بعدها.

إنه أول الأمر للسيد

فإذا جادلت القوم قالوا إنه لله عن طريق السيد البدوي !

وأكثر أولئك **المغفلين لغطًا يقول لك** : نحن نعرف الله جيدًا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، **فهم** أطهر منا نفسًا وأعلى درجة.

وهذا الكلام ـ على فرض مطابقته لواقع القوم ـ غلط في الإسلام . **فإن الله تعالى لم يطلب منا أن نجيء معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا أو ليستغفروا لنا زلاتنا** : **﴿أم هم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾** الشورى : **٢١** بل المعروف من بديهيات الإسلام الأولى أن الطلب ووسيلته يجب أن يكونا من الله تعالى : **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**.

أليس من المضحك أن نستنجد بقوم يطلبون لأنفسهم النجدة، وأن نتوسل بمن يطلب هو كل وسيلة ليستفيد خيرًا أو يستدفع شرًّا :

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ الإسراء : **٥٧**

غير أن البشر سفهوا أنفسهم، **فالمعابد التي أقاموها على قبور الصالحين قدسوها، وسلكوها مسلك الأصنام في الشرك** .

فلما جاء الإسلام أعلن على هذين المظهرين ـ الأصنام والقبور ـ من مظاهر الوثنية حربًا شعواء، وشدد تشديدًا ظاهرًا في محق هذه المساخر المنافقة .

وقد رأينا كيف أن النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وأمره أن يسوي بالأرض كل قبر، وأن يهدم كل صنم .

فجعل الأضرحة العالية والأصنام المنصوبة سواء في الضلالة .

ومع كثرة الدلائل التي انتصبت في الإسلام دون الوقوع في هذا المحظور، فقد أقبل المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين، وتنافسوا في تشييد الأضرحة، **حتى أصبحت تبنى على أسماء لا مسميات لها .. بل قد بنيت على ألواح الخشب .. وجثث الحيوانات !!**

ومع ذلك فهي مزارات مشهورة معمورة، تقصد لتفريج الكروب، وشفاء المرضى، وتهوين الصعاب !

لماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك مع أن الرسول ﷺ وصف المرائين به فقال: (الرياء شرك).

إن واجب العالم المسلم أن يرمق هذه التوسلات النابية باستنكار، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق لا أن يفرغ وسعه في التمحل والاعتذار،

ولست ممن يحب تكفير الناس، ولكن حرام أن ندع الجهل يفتك بالعقائد ونحن شهود

إذا كان المقبورون هم أصنام العصر الحديث الذي يتوسل بهم المتوسلون فقد كفرنا بهم وآمنا بالله وحده

إن الحسين لم يدفع عن نفسه وهو حي، فكيف يدفع عن غيره وهو ميت ؟!

وإذا كان بعض الناس يحكي أمورًا عن مجيئه للرسول ﷺ في قبره وأنه سلم فسمع الرد ثم حظي بتقبيل اليد فهو بين حالتين:

إما أن يكون كاذبًا فلا قيمة لكلامه .

وإما أن يكون مجذوبًا تخيل فخال ـ ولا قيمة لكلامه كذلك ـ ونحن لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لهذه الحكايات .

سيقول بعض الناس إن القدماء كانوا يعبدون، أما عوام اليوم فهم يدعون ويسألون فقط، وشتان بين عبادة الجاهليين وتوسل المحدثين بأولياء الله .

ونقول هذه مغالطة، فالسؤال والدعاء بنص القرآن والسنة عبادة محضة:

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وفي الحديث: **[الدعاء هو العبادة]**.

فلماذا نتوجه إلى البشر بما هو من خصائص الألوهية ؟

وإذا وقع الجهال في تلك الخطايا بغباوتهم فلماذا لا نسارع إلى إنقاذهم منها بدل تزوير الفتوى ؟!

هذا كلام الشيخ محمد الغزالي وهو يخفف من عبارته كثيراً ويستخدم بلاغة العبارات أكثر مما يستحدم دقة المصطلحات، واقرأ المزيد في الكتب التي كتبها غيره كشروح كتاب التوحيد. أو الطحاوية، أو غير ذلك من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهما ولنا عودة للموضوع إذا وفقنا الله تعالى.

النذور قرابين البخلاء:

ندرٍ عليّ إن الولد نجح لاعمل ليلة لأهل الله.
ندرٍ عليّ إن جبت ولد لادبح عجل للسيد.
ندرٍ عليّ إن ربنا عوّض على بنتي لاقيد دستة شمع ف سيدي الحسين.
ندرٍ عليّ إن راحت القضية فاشوش لا ....

ندور تنتزع انتزاعا مں الناس بسببٍ من الرَّغب أو الرهب، ولاستدفاع أذىً أو طلب تحقق مصلحة إنها علاقة نفعية في المقام الأول، أو قل هي عقود معلقة تتم بين الناذر والمنذور له. وهي عادةٌ واسعة الانتشار، وطقس يعتقد فاعلوه أنهم إذا لم يفوا به - رغم حرمته - فإنهم سيتعرضون لغضب الولي ذي الجبروت .. ومن يقدر على إغضابه ؟!.

لقد اعتاد الناس تقديم القرابين - ونذر النذور - لنوعيات مختلفة استقرأها **الدكتور وافي**[1] فكانت كما يلي

- **الآلهة** على اختلاف أنواعها.
- **القـديسـون والأوليـاء**: وقد انتشر التقرب إليهم في أمم كثيرة، ولا تزال العامة ببلادنا ينذرون الضحايا ويقدمون الذبائح لمختلف الأولياء.
- **أرواح الموتى**: وكثير مں العوام والخواص في عصرنا الحاضر يرون من الضروري أن تذبح ضحية أو ضحايا مں العجول والخراف - أو كليهما - تحت نعش الميت عقب خروجه من منزله إلى حيث يوارى التراب

---

١ - ص ٧٩ وما بعدها

وهذه العادة المرفوضة ـ شرعًا ـ تعيش بين الناس مترسبة من الماضي السحيق حين كان تقديم القرابين لآلهة الموت يتم مع دفن الجثة[٢].

وكثير من المصريين وغيرهم، عوامهم وخواصهم ـ لا يزالون يقدمون على قبور الموتى الصدقات من لحوم الحيوان والكعك والفطائر !!

● الملوك والزعماء السياسيون والدينيون في بعض الشعوب البدائية على الأخص **وعادة ما ينذر العوام النذر معلقًا، كأن يقولوا: إذا شفى الله ابني من المرض فللسيد البدوي خروف، وإذا قضيت لي حاجة فللسيد عشرة جنيهات، ثم هم يوفون بنذرهم خوفًا من السيد أن ينتقم منهم إذا لم يفوا[٣].**

على أن هناك فرقًا بين النذر للأولياء والنذر للجان في أذهان العامة. فالهدايا التي تقدم ـ من الذبح والبلح وقص الشعر وسائر النذور ـ تقدم تقربيًا لاسترضاء الجان، وإن كان الالتزام بها أظهر ما يكون في الدلالة على الخوف من الشر. وهو هنا أثقل، فالعادة أن النذور للولي يتم باختيار الناذر، أما الهدية أو الذبيحة المقدمة للجن فتفرض على مقدمها فرضًا، وطبقًا لمواصفات معينة[٤].

وإذا أردنا أن نجول قليلاً في بلادنا لرأينا تشابهًا كبيرًا تخفف منه بعض الخصائص المحلية لكل قطر أو منطقة.

ففي **العراق** ـ كما في غيره ـ يعتقد الناذر اعتقادًا راسخًا أن النذر قادر على رد القضاء أو منع حصول المقدور، أو تحقيق أمنية أو هدف، لذلك فإن الناذر عادة يعلق نذره بتحقق هدفه.

وقد تعرضت النذور هنالك لانعطافات خالطتها الأوهام والخرافات. وهي تقدم أكثر ما تقدم لغرض من الأغراض الآتية:

- **حالات طلب الشفاء من مرض**
- **استعادة غائب.**
- **طلب العمل**
- **البراءة من المحكمة.**

---

٢ ـ أحمد رشدي صالح: ٢٦٩
٣ ـ أحمد أمين: ٣٩٦
٤ ـ أحمد رشدي صالح: ١٦٣

- طلب مولود
- أن يعيش الولد
- تحبيب المرأة لزوجها

- طلب مولود ذكر .
- خطبة العانس .
- نجاح الولد

وحالات أخرى كثيرة غير هذه .

ولا بد للناذرة هنالك من أن تعقد خيطًا أو خرقة بشباك أحد الأئمة ، فإذا بلغت أربها حلّته ، وأوفت بنذرها الذي قطعته على نفسها .

ومن أساليبهم في النذر أن المرأة التي لا يعيش لها مولود تنذر حين يبلغ رضيعها ثلاثة أيام أن ترتدي ملابس رثة قذرة، وتستجدي من سبعة بيوت تطرق أبوابها دونما حياء، وتشتري بما تحصل عليه من نقودٍ ما يستقيم عشاء تأكله تلك الليلة، وتحمد الله على سلامة ابنها (!!)
وأحيانًا تنذر أن ترتدي عباءة وملابس وجوارب بادية الرثة والقذارة، وتستجدي ثلاثة أشخاص من جلاس المقاهي ربما يمنّون عليها ببعض النقود تشتري بها قطعة قماش كسوة لطفلها .

ومن غرائب النـذر أيضًا نذر الدبكة - وهي نوع من الرقص !! - ونذر الحناء للإمام، وكذلك نذر الراية وهي قطعة قماش خضراء أو بيضاء - نحو ثلاثة أذرع - تنذر للولي، ويبدو أنها بمجرد نذرها تصير مباركة وتكمن بها خصائص عجيبة وخارقة ، فيوزعها سادن القبر بعد تقطيعها أشرطة صغيرة لأغراض كثيرة منها :

- لتخفيف الألم عن المريض، وتعلق على صدره .
- لمن به مس من الجنون، وتعلق على صدره أو قميصه .
- للمرأة العاقر وللحامل حفظًا لها ولجنينها .
- لأي إنسان للحفظ من الأخطار[٥] .

٥ - التراث الشعبي ، ع ١٩٧٥/٨ موضوع النذور في الموصل لعبد الباري نجم - وج١٩٦٩/٢ موضوع النذور لعزيز جاسم الحجية - والمأثورات الشعبية ، يناير ١٩٨٧م .

وفي فلسطين تقدم هدايا للأرواح حارسة المياه ـ الينابيع المقدسة ـ وتؤدى صلوات وأدعية ويحرق بخور عند بعض الينابيع كما هو الحال عند نبع جفنا، وحمام ستنا مريم[٦].

وأما في مصر فكثيراً ما نسمع بأن فلانًا محسوب للولي الفلاني ـ أي خادم له وتابع ـ وكثيراً ما تكون هذه الصلة قائمة أصلاً على اعتراف التابع للولي بالسيادة التي لا تدانيها سيادة، ومن ثم فتقديم النذور ـ وعلى الأخص نحر الذبائح ـ يفوح برائحة وثنية، إذ أن ترتيبها يلزم التابع بتقديمها نظير معاونة في مسألة يريد أو غاية يستهدف[٧].

وتتمثل النذور المصرية في تقديم الشموع، وذبح الذبائح، عند الضريح، وتقديم المال والذهب، وبلّ الفول ـ النابت ـ وعمل ليلة لأهل الله .

ويراد بالليلة سهرة طويلة تمتد حتى الفجر ـ عادة ـ يجتمع لها الأحباب وأهل المنطقة، ويحييها واحد من المداحين يظل ليلته بطولها ـ يمتدح النبي ﷺ ومشاهير الأولياء مع التركيز على الولي صاحب الليلة الذي ينال قسطًا وفيراً من الثناء على بركته، وسرد أمجاده وكراماته .

وقد ساعدت مكبرات الصوت، والكهرباء على انتشار هذا الطقس انتشارًا زائدًا بالأرياف والمدن الصغيرة .

ومما ينذر أيضًا قص الشعر في الضريح تبركًا، وشد الرحال إلى صاحب الضريح التماسًا لبركاته وتعرضًا لنفحاته .

وتأتي أغاني زيارة الأضرحة فتجعل من تقديم النذور نقطة المحور .

والأغنية التالية من الصعيد، تصور لنا ركب زائرين ألموا بالضريح ـ ضريح أبي الحجاج ـ فوجدوا بأطرافه مقابر لأولياء ذوي مكانة ثانوية منهم الشيخ أمين الذي نفهم أنه كان من مريدي وتابعي أبي الحجاج، لذلك فإن الزائرين ينذرون لهذا الشيخ ذبيحة تنحر على أعتاب قبره، وأن يقصوا شعر ابنهم بالضريح .

---

٦ ـ نمر سرحان، التراث الشعبي، ع ٩/١٩٧٣.
٧ ـ أحمد رشدي صالح : ١٦١

وهذا الاحتفال ـ كما يقول الأستاذ **أحمد رشدي صالح**[8] ـ من الاحتفالات العائلية الموسومة بالروح الأسطوري ـ لعله يقصد **الخرافي البدعي الذي لا أصل له من دين ولا شرع ولا توحيد**

دستور يا مدركين الوادي
وأبو الحجاج دا جدّنا وجديدنا
والمجشجش دا منجد المداجي
يا شيخ أمين الفاتحة قدامك
وان وفجّ الله فوق عتابك ندبحو
ونزين الغالي على ديوانك
يابو الحجاج يالي بترجم بالضربجي
وان وفجّ الله فوق عتابك ندبحو
ونخش الضريح ونزين الغندوري

ـ وهي طويلة ـ

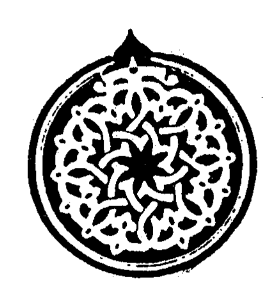
والقصيدة تحوي معاني كثيرة مرفوضة لمخالفتها صريح التوحيد. **فهي تبدأ باستئذان مدركي الوادي** أي الذين يتداركونه ببركتهم وسلطانهم، **وتثني على أبي الحجاج أصلهم السامي المشرّف**، منقذ المأزوم وفاكّ كربة المكروب، **ويسوقون الفاتحة للشيخ أمين الذي نذروا له** ذبيحة يراق دمها على عتبة مقامه، **ثم يقصون شعر ابنهم الغالي بالضريح تبركًا ـ لعله تشبهٌ بما يفعله الحجاج على المروة بعد تمام العمرة ـ وينذرون النذر نفسه لأبي الحجاج صاحب الصوت الهادر داخل الضريح** . .

وترتبط أغاني قص شعر البطن ـ **في الصعيد** ـ بأغاني زيارة الأضرحة، **فالعادة أن يقص شعر الطفل في ضريح ولي** ـ أو حوله كما يحصل عند السيد البدوي ـ **وعندئذٍ تقدم النذور وتطعم** الأطعمة . . ومن الأغاني المتعلقة بقص شعر البطن ـ بادرة الرجولة ـ هذه الأغنية الطقوسية :

٨ ـ السابق.

الشيـخ شيـع وجـال هاتـوا البـدايـة
يزّيـن ويـعـيش في حمايـة
الشيـخ شيـع وجـال هاتـوا ولـدنـا
يزيّـن ويـعـيش في جبـالـنـا[9] إلـخ

ومعناها: أن الولي أرسل طالبًا منهم المجيء بابنهم البكري، ليُقص شعرُ بطنه في ضريحه، وينعم بحماية وبركة الشيخ الذي يعتبر ابنهم «ولده» أي تحت رعايته «وفيها شبه من نذر الولد للضريح وصاحبه، كما نذرت مريم عليها السلام ما في بطنها محررًا لله رب العالمين . . فتأمل».



٩ - أحمد رشدي صالح : ٢٥٠ وما بعدها .

لقد صرح الرسول ﷺ أن النذر لغير الله تعالى شرك تحبط به الأعمال، لأنه شكر على النعمة فهو - إذًا - طاعة وعبادة، فكيف يوجه الإنسان الطاعة والعبادة لغير الله عز وجل ؟! فالأموال والهدايا والذبائح والأطعمة التي تحمل إلى أضرحة المشايخ بقصد الوفاء بالنذر هي عمل باطل، وفيه معصية لله تعالى لأن النبي ﷺ يقول: [**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**] رواه البخاري .

والنذر لا يغير من قدر الله شيئًا، وقد ذكر ﷺ أنه [**لا يقدم شيئًا ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل**] رواه البخاري .

وإن من يقدم النذور لغير الله تعالى يعتقد - وإن كابر - أن الموتى الذين يحمل لهم النذر يملكون رد القضاء ويستطيعون تبديل الأشياء والتصرف في أمور الأحياء.

وكثير من الناس يحملون النذور لأصحاب الأضرحة، ويقفون الأراضي والعقارات باسم الموتى، وكم من العقارات والأراضي والمحاصيل والثمار والمساكن والأنعام موقوفة باسم البدوي أو باسم الحسين أو عبد القادر أو غيرهم .

وهذا شبيه بما كان يفعله أهل الجاهلية الأولى مما ذكره الله تعالى: ﴿**ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقناهم، تالله لتسألن عما كنتم تفترون**﴾ النحل : ٥٦ .

وإذا كان بعضهم يزعم أن الذبائح والأطعمة والهدايا والنذور المحمولة إلى الأضرحة لا يأخذها الولي أو الشيخ وإنما يأخذها الفقراء والمحتاجون، فإن الشرع نهى أن تحمل النذور إلى مكان فيه وثنٌ يعبد، أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية، فقد روى أبو داود **أن رجلًا نذر** - في عهد رسول الله ﷺ - **أن يذبح إبلًا ببوانة، فسأله النبي** ﷺ : [**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية؟**] **قالوا: لا، قال: [هل كان فيها عيد من أعيادهم؟] قالوا: لا، فقال** ﷺ: [**أوف بنذرك، إنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**].

فالرسول ﷺ لم يبح للناذر أن يوفي بنذره - مع أنه خالص لله تعالى - إلا بعد أن تأكد أن بوانة لم يكن بها وثن، ولم يقم بها مولد أو عيد من أعياد الجاهلية.

والنذور التي تحمل إلى الأضرحة لا يأخذها كلها الفقراء والمحتاجون - كما زعم - بل يأخذها شيوخ المساجد وخدّامها وسدنة الأضرحة.

والناذر حين ينذر للشيخ إنما يريد إرضاء الشيخ لا إرضاء الله تعالى، فهو يذهب إلى ضريحه حاملاً النذر، ليدفع عن نفسه ما رسخ في اعتقاده من أن الشيخ أو الولي سيصيبه بمكروه في نفسه أو ماله أو أهله إذا لم يوف بنذره.

والنذر لغير الله تعالى - على ما فيه من الشرك والوثنية، لأنه عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى وحده - هو مسخ للدماغ وإهانة للعقل، وذلك بسبب الاعتقاد بأن الميت الذي لا يستطيع أن ينفع حتى نفسه يلجأ إليه ضعاف العقول فيطلبون منه الشفاء، وقضاء الحاجات، ورد الغائب، وما شاكل، وتلك أنواع من العبادات لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، ومن صرفها لأحد من البشر أو الملائكة، أو الأنبياء - **كائنًا من كان** - فقد أشرك بالله تعالى، فضلاً عن كون هؤلاء - مجتمعين - لا يقدرون على قضائها أو تحقيقها لطالبيها، لأنها من خصائص الألوهية المحضة[10].

> إن العامة عندما يشدون الرحال إلى قبور تضم رفات بعض الناس، وعندما يهرعون بالنذور والحاجات والأدعية إلى من يظنونهم أبوابًا لله إنما يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة. ومهما قلبنا عملهم هذا من جميع وجوهه فلن نجد فيه ما يطمئن إليه ضمير المؤمن أبدًا[11] (!!).



---

١٠ - ملخصة عن مصرع الشرك والخرافة، ص : ٢١٨ وما بعدها.
١١ - عقيدة المسلم : ٦٧

الفصل الثاني

الجن في المعتقد الشعبي

- تمهيد
- جنة العرب قبل الإسلام
- التعامل مع الجن
- الزواج من الجن
- من طقوس تعظيم العامة للجن
- إحصاءات ودلالات
- الإسلام والجن

الجن في المعتقد الشعبي

لا يستطيع نفر غير قليلين منا أن ينكروا أنهم جرعوا جرعة هائلة من الخرافات حول الجان والعفاريت وهم صغار، وإن أنس لا أنس ما كان يتكرر كل ليلة ـ وأنا صبي مميز ـ حين كانت جارتنا أم محمد تجمع أبناء الحارة القريبين بعد غياب الشمس، والشوارع مظلمة والظلام شديد، لأن حارتنا لم تكن مضاءة آنئذٍ بالكهرباء ، وتظل هذه المرأة ـ ذات الذاكرة العجيبة والرصيد الهائل من قصص الجن ـ تحكي لنا خرافةً تجعلنا مسمرين إلى الأرض بمزيج من الرغبة الغامضة في الاستماع ، والرهبة المرعبة من التمادي بسبب فظاعة ما يحكى وثقله على خيالنا الصغير . . وبعد أن تنتهي أم محمد من وجبتها كنا نعود إلى بيوتنا راكضين ـ والمسافة بين البيوت أمتار قليلة ـ يفزعنا الظلام والسكون وجو حكايات السعالي والغيلان وأم شوشة وأبي رجل مسلوخة .

وفي المنام كانت تهجم عليّ المردة ذات العيون الوحيدة المشقوقة عموديًّا ، والتي يخرج منها شرر حقيقي كالذي يتطاير عن آلة اللحام بالأكسجين، وربما داعبتني أم شوشة أو أبو رجل مسلوخة أو الغول مداعبة ثقيلة فأظل أرزح تحت كابوس ثقيل لا يزيحه عني إلا أذان الفجر، فإن أم محمد كانت تخبرنا أن المردة والشياطين حين تسمع الأذان[1] تولي مدحورة مقهورة .

وبات الجن في الخيال الشعبي مخلوقات ذات قدرات متعددة، فهو ينفع بعض الناس ويضر آخرين، وهو يعيش بين الناس ـ في الأماكن المظلمة ، أو الخربة غالبًا، أو في الكنف والزّرائب وما شابه ـ وربما تعثر أحدنا في جني متنكر بجانب زير، أو على هيئة قط أسود، وربما مر على

---

١ ـ لهذا أصل صحيح في السنة، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، حتى إذا ثوِّب بالصلاة أدبر . . الحديث ـ انظر : مختصر الألباني بصحيح مسلم، ص : ٦٠

حية من حيات المنزل، فاستأذنها في المرور فمالت إلى جانبٍ ليمر من جانبها بهدوء، وقد حصل هذا غير مرة في بيتنا، وشاهدته عيانًا، وفعلته بنفسي، وهو صحيح ثابت في عوامر المدينة كما جاء في مسلم.

كما أن الجن يتخذ في الخيال الشعبي أشكالاً، أبغضها المردة ذوات العيون المشقوقة، وهي مخلوقات ضخمة تسد الأفق ـ أحيانًا من الجهات الأربع ـ تستطيع أن تفعل بالصغار أشياء كثيرة مؤذية ومزعجة، وهناك الغيلان وهي مخلوقات بشعة ـ كما يفهم من اسمها ـ قبيحة الوجوه ضخمة الأجرام، محبة للأذى، تكنّ العداوة للآدميين وتكيد لهم، وهناك أم شوشة وهي مخلوقة برمائية تسكن النيل، تتمتع بشكل جميل وصوت حسن يجذب المارة الذين تغريهم بالنزول للماء ليغرقوا، أو ربما لتتزوج من أحدهم، وهناك أبو رجل مسلوخة . . وترهات كثيرة لا يخلو منها ميراث أمة، ولا تاريخ شعب .

فأما الشعوب البدائية كلها فتؤمن بالجن إيمانًا يشبه ما عرضناه سابقًا . . بل أردأ بكثير منه لأنهم يظنون أن الجِنة آلهة تتصرف في الكون، وتتحكم في مصير الآدميين به .
ولما كان السحر قرين الدين البدائي فقد اعتمد الكلمة وسيلته الأولى، وشاع المعتقد أن الرقية أو التعزيمة أو القسم يجبر القوى الخفية على أن تطيع الإنسان أيًّا كان موطنه .
فهذا فرجيل يقول إنه من المستطاع أن نلقي بتعزيمة على القمر فنجبره على أن ينزل من السماء .
وفي أسطورة فاوست الجرمانية تسيطر جملة معينة على الشيطان مفستوفل .
وفي مسرحيات شكسبير يبدو الاعتقاد الشعبي في مقدرة وسلطان الكلام على القوى الخفية .

وفي معتقدنا الشعبي أن الإنسان يستطيع بالدعاء أو الرقية وسواها أن يسخر قوة غير منظورة تربط أعداءه، أو يربط الشر بها[٢] .

---

٢ ـ أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي ، ص : ١٦٨

ولعل أثر الكلمة يتضح أيضًا في الأدبيات العربية التي كانت تستخرج الجني - المارد - من مصباح علاء الدين بمجرد كلمة، وتفتح باب المغارة الحجري الثقيل بعبارة مثل : افتح يا سمسم .

ولا تزال الشعوب البدائية والمتحضرة حتى يومنا هذا تقدم للجن قرابين - عن وعي أو غير وعي - في محاولة لاسترضائهم واتقاء شرورهم، وهناك مواسم ومواعيد سنوية، يقدم فيها الناس الذبائح أو الطعام في أماكن محددة يزعمون أن الجن بها .

وينثر اليابانيون الأرز للآلهة والقوى الخفية في المعابد، أو يرمونه بالماء حتى يومنا هذا .

«ونثر الأرز وما يشبهه من التمر أو الفواكه أو النقود، مصدره الرغبة في تهدئة الأرواح الشريرة ومنعها من الإضرار بالعروسين - في الزواج - اعتقادًا من البدائيين بأنها تكون حاضرة دائمًا أثناء الزفاف، ولذا يقدم الطعام لإرضائها»[٣] .

ولا يزال النوبيون يلقون الطعام ويوقدون الشموع **للدجرى** جِنة النيل . . حتى يومنا هذا في طقوس زائدة تنم عن الإجلال والتهيب والخوف والرجاء . . **ويعتقد أهل النوبة أن «الدجري» أولئك كائناتٌ خيرة تحمي من الأمراض، وتحفظ الأطفال من الغرق في النيل، وتقي من العقم**، ومقابل ذلك يدفع لها الطعام بصورة ثابتة ودائمة . . ففي الزواج والولادة والسبوع والختان وغيرها يتوجه الناس إلى النيل حاملين معهم الثريد، وربما تذبح ذبيحة لهذا الغرض . . ويضعون الطعام في شيء شبيه بالزورق من سعف النخيل، مع شيء من الزيت، وفتيل من القطن مشتعل، ويتركون هذا كله على سطح الماء . . وسط الأغاني والاحتفالات، وربما قذف بعضهم الطعام قذفًا في الماء أو رمى بالعطور والحناء، ويأخذون قليلاً من ماء النيل ليمسحوا جسد الصبي تبركًا، وكذا المرأة العقيم[٤] .

فهي طقوس تجمع بين **الرؤية الوثنية، وعبادة الجن، والتعميد بالماء كما يفعل النصارى، مع خلط ذلك كله بلمسة من الأدعية الإسلامية** ، ليخرج مزيج غريب من المعتقدات غير السوية .

---

٣ - العنتيل : ٣٨٩

٤ - المأثورات الشعبية ، يوليو: ٩٢، الدجري ، د. السيد أحمد حامد .

«فالنوبي يقيم بين الإسلام وعبادة النيل سبيكة عجيبة، ففي عاشوراء ـ مثلاً ـ يخرج النوبيون نساءً ورجالاً من بيوتهم ومعهم العراجين ـ سباطات البلح ـ المشتعلة حتى يصلوا إلى النهر فيلقون بأجسامهم فيه، ويربطون الزواج بالنيل، وطقوس الموت والولادة والجنائز والختان والأفراح . . إلخ[5].

ويشبه اعتقاد النوبيين في النيل ومخلوقاته الخفية ما يفعله آخرون في مناطق بعيدة، فقد حدثني القاضي الفاضل الشيخ عبد القادر العماري[6] أنه اصطدم ببعض العوائد المحلية الخرافية، حين كان الصيادون في مطلع موسم الصيد يحرصون على أن يكون صيدهم وفيراً وموسمهم عامرًا، لذلك كانوا يلجأون إلى الممارسات الخرافية، فكانوا يأتون بكبش أسود اللون، يدفعونه إلى البحر حتى يتخبط في شباكهم ، ثم يذبحونه من قفاه، ويقطعونه قطعًا صغيرة يلقونها في المناطق التي يصطادون منها، بزعم أن هذا يرضي الجنة في البحر، فيأذنون أن يخرج الصيد وفيراً. واصطدم بآخرين يقربون للأرض وينحرون لها، فكانوا قبل البذر يأتون بكبش يذبحونه ثم يأخذون أمعاءه، ويدفنونها في وسط الحقل، يظنون أن الجنة بذلك سترضى، وأن السنابل ستكون حبلى بالحبوب مكتظة بالخير . . وهذه عادة وثنية ذات جذور قديمة . . فقد كان الإنسان القديم يقدم الفديات للآلهة الخاصة بالإخصاب وخدمة الأرض، وكان تقديم الفديات البشرية أو غيرها ـ من الماشية ـ بذبحها أوإغراقها أو إحراقها لإرضاء آلهة الزراعة .

وقد يكون من بقايا هذا التقليد ما نراه قائمًا حتى اليوم في بعض مناطق الوجه القبلي حيث يراعي المزارعون ـ عند بذر القمح ـ ترك مسافة وسط الحقل على هيئة عروس بدون بذر، ثم تبذر بحب القمح بعد فترة، ولتفاوت موعد الزراعة تظل الرقعة التي تأخر بذرها أقلّ نموًّا مما يحيط بها، بادية في شكل العروس وسط الحقول، إشارة إلى ذلك الإله الذي يزعم «قتلُهُ» عند

٥ ـ إبراهيم شعراوي : الخرافة والأسطورة في بلاد النوبة ، ص : ٢٣ وما بعدها .

٦ ـ وهو قاضي المحكمة الشرعية الكبرى بدولة قطر، ومن أصحاب الأقلام الواعية، وممن يتابعون ما يدور في الدنيا بكثير من اليقظة والبصيرة ولا نزكي على الله أحدًا .

الحصاد، فيظل جاثمًا على الأرض حتي يذبح بالمنجل. ولا شك أن هذه العقيدة ذات طابع سحري وثني[7].

ويؤكد هذا المعنى ما ساقه أحمد رشدي صالح - ص: ٢٤ وما بعدها - من أن «الفراعنة كانـوا يخرجـون إلى الحقـول فرحين بعودة «الإله» حين ينبثق النبات من البذور - ولا يزال المصريون يحيون هذه العادة في شم النسيم بالخروج إلى الحدائق والمزارع بعد أن نسوا أصلها الأسطوري - كما أن تقديس المصريين للنيل الذي كانوا يرونه إلهًا اسمه هابي Hapi يستثيرون قواه بأدعيات، ويؤدون له احتفالات دينية لم تزل بقاياها جارية إلى أيامنا هذه».

ويعتقد السكان الأصليون في أمريكا الوسطى أن الخصوبة التي تصيب أرضهم ترجع إلى أرواح كامنة فيها، فينتهزون فرصة موسم الحصاد لإقامة حفل جماعي تقدم فيه الأضاحي والقرابين، وتقام فيه الصلوت والابتهالات استرضاءً وشكرًا على ما قدمت للجماعة من نعمة الحصاد، وارتبطت الاحتفالات بمواسم الزراعة والأمطار والفيضانات، كما ارتبطت الأعياد بالآلهة التي تتحكم في المحاصيل الزراعية الهامة كالقمح والكروم، واستمر من ذلك شيء كثير لدى بعض الشعوب كعادات تقديس بعض الأشجار كأشجار الجميز، وظهر الفداء الذي يعمـل على تهدئة غضب الآلهة المسؤولة عن الخصوبة، أو الفيضانات، فقد ذهبت بعض العقائد إلى افتراض أن وفرة الفيضانات والمياه ترتبط بتزاوج آلهة الأنهر بالعذارى التي كانت تزف إليها في كل موسم بإغراقها في تلك الأنهار أو البحيرات[8].

فاربط بين هذا، وبـين عقائد النوبيين في النيل، واليمنيين في الذبح للبحر والأرض، وعقائد اليابانيين بنثر الأرز في الماء.

وقل .. لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.

٧ - سعد الخادم: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص: ٣٢-٣٣ بتصرف.
٨ - المأثورات ع ١٩٩٢/٢٨، مدخل لدراسة الدراما الشعبية، د. كمال الدين حسين.

فأما أمة العرب فكانت ترهب الجن. وتتقرب إليهم، وتستعين بهم

● فقد كانوا إذا نزلوا بوادٍ يهابونه استعاذوا بسيده من الجن. يقول الشاعر

قد بت ضيفا لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي

ويقول الحجاج بن علاط السلمي - رضي الله عنه - عندما نزل بوادٍ مخوف موحش في ركبٍ قاصدين مكة

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جني بهذا النقب
حتى أؤوب سالما وركبي[9]

● كما كانوا يستهدون بالجن إذا ضلوا، فكان أحدهم إذا ضل في فلاة قلب قميصه وصفق بيديه - كأنه يومىء إلى إنسان - يهتدي. قال أبو العملّس الطائي

فلو أبصرتني بلوى بطانٍ أصفّق بالبنان على البنان
فأقْلبُ - تارة - خوفا ردائي وأصرخ تارة بأبي فلان
لقلت أبو العملّس قد دعاه من الجنان خالعةً البطان

كما جرت عاداتهم بذبح الذبائح حين الانتقال إلى دار جديدة، وعند زفاف العروس لزوجها طردًا للجن، وقد سموا هذا ذبائح الجان[10]

ويشبه فعلهم هذا ما يمارسه بعض العوام - والخواص أحيانا - إذا بنى دارًا جديدة أو افتتح دكانًا، من الذبح على عتبة الدكان أو البيت، وتلطيخ الأبواب أو الجدران بدم الذبيحة. وقد طوروا هذا في أوروبا عند تدشين طائرة أو سفينة أو مشروع كبير بكسر زجاجة خمر غالية الثمن في الموضع، ويبدو أن شياطينهم هنالك من أصحاب الكيف. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

٩ - المفصل في تاريخ العرب. جواد علي، ص ٢٢٠

١٠ - من صور الميثولوجيا في الأدب العربي - التراث الشعبي، ع ١٠/١٩٧٤

● وكان الرجل إذا أراد دخول قرية خاف وباءها أو جنّها وقف على بابها فنهق كما ينهق الحمار، ثم يعلق عليه كعب أرنب رقيةً من الوباء أو الجن . . يقول **عروة بن الورد** رافضًا هذه العادة الغبية

لعمري لئن عشّرتُ من خيفة الردى   نهاق حمير إنني لجزوعُ
فلا والت تلك النفوسُ ولا أتوا   قُفولاً إلى الأوطان وهي جميعُ
وقالوا: ألا انهقْ لا تضرَّك خيبرٌ   وذلك من فعل اليهود ولوع

ويقال إن رفقته مرضوا ومات بعضهم، ونجا عروة من المرض والموت[11] .

ومنه قول الشاعر
ولا ينفع التعشيرُ إن حمّ واقعٌ   ولا دعدعٌ يغني . . ولا كعب أرنب

ودعدع كلمة تقال عند العثار . . ويقول ثالث :
لا ينجينّك من حمام واقعٍ   كعبٌ تعلّقه ولا تعشير

وقد أشار زيد بن عمرو بن نفيل في شعره إلى الشرك بالجن ومخافتهم والاستعانة بهم فقال :
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم   وأنت إلهي ربنا ورجاؤنا

● التعامل مع الجن :

يتعامل الناس مع الجن - كما مر - لسببين رئيسين : **اتقاء شرورهم وأذاهم، ومحاولة توظيفهم لاستجلاب منفعة** .

● وعادة ما تقدم بين يدي الجن **هدايا** - ذبائح وبلح ونذور مختلفة - **لاسترضائه ورشوته**، والالتزام بها أظهر ما يكون في الدلالة على الخوف من شره، لذا تكون الهدية مفروضة فرضًا، وطبقًا لمواصفات معينة، كثيرًا ما تكون غريبة .

---

١١ - النفرات : جميل الحرباوي، التراث الشعبي العدد ١٩٧٨/٩، والمأثورات الشعبية : أكتوبر ١٩٨٩

● وتظهرنا المأثورة السحرية الأدبية على طقوس معينة لابد منها ومن إتيانها لإتمام الميثاق بين البشر والجن، **فإذا ما أريد اكتساب بعض قوى الجن أو توطيد العلاقة بينهم وبين المريد فلا مفر من إعداد الجسم إعدادًا خاصًا**؛ إن بالصوم أو بتناول أنواع من الطعام وإن في الملبس واستواء الهيئة، بل وفيها يتصل باستباحة أعضاء الإخصاب كما في **الشبشبة وحلب النجوم**. فإذا ما توفرت الشرائط المعينة والطقوس المحدودة انعقد ميثاقٌ قد يكون مؤقتًا ولمصلحة بعينها، أو قد يكون دائمًا، فإذا نقض الإنسان الميثاق فإنه يجر على نفسه انتقام الأرواح الخفية ـ الجن ـ التي لا ترحم ولا تعذر[١٢].

● واعتقاد سيطرة الجن على مقدرات الناس اعتقاد قوي في نفوس بعضهم . . وإلا فما الذي يجعل العامة يستأذنون حين يطأون مواضع يظنونها آهلةً بالجان فلا يصبون الماء الساخن مثلاً في بيت الخلاء قبلما يقولون: **دستوركم يا سيادي !!**

إن ذلك مرتبط بفكرة سيادة القوى الخفية على الإنسان، هذه السيادة التي تقتضيهم تقديم الـذبائح ـ فيذكروننا بالقرابين التي كانت تقدم للآلهة القديمة ـ وتقتضيهم الاحتفال وأداء الطقوس والأغاني والرقصات. ولا شك أنها مطبوعة برواسب أمثالها الخاصة بالمجتمع البشري الأول[١٣].

وإذا كنا نتحدث عن التعامل مع الجن فإن المتعاملين يحرصون على ذلك لاستخدامات كثيرة حصر منها الأستاذ الدكتور الجوهري[١٤].

الإخبار بالمستقبل، والإتيان بالخوارق، وحفظ الإنسان من آثار السحر، وشفاء الأمراض، وتأمين الخائفين، والربط وفك المربوط، والتحبيب، والحماية من شرور الحكام وقطاع الطرق، وكشف الكنوز والحصول على المال .

---

١٢ ـ احمد رشدي صالح : ص : ١٦٣

١٣ ـ السابق : ١٥٩. ونعتذر عن نسبته الوثنية إلى المجتمع الإنساني الأول، لأننا نعتقد اعتقادًا لا يعتوره شك أن المجتمع الإنساني الأول كان مجتمعًا موحدًا لا يؤمن إلا بالله تعالى، لأن مؤسسه كان آدم أبا البشر عليه السلام ومعه أبناؤه . . لكن دخلت الوثنية بعد ذلك مع طول الأمد وقسوة القلوب .

١٤ ـ علم الفولكلور، ج: ٢، ص: ٢٠١ وما بعدها.

● ومن أشكال التعامل مع الجن - غير تقديم النذور والقرابين: **استخدام التحويطة**.

والتحويطة هي حجاب للوقاية يعمل تحرزًا من أي عمل سحري ضار يوجّه للإنسان، وتقوم فكرته على أساس أنه ما دام الإنسان قادرًا على استخدام السحر في إيقاع الضرر بالآخرين فلا بد أن هؤلاء الآخرين - في الوقت نفسه وبالدرجة نفسها - لديهم قدرة على إيقاع الضرر به، لذا وجب عليه التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليه[١٥].

● **ويستخدم بعضهم أنواعًا من الحجارة**، يزعمون أنها ذات قدرة وتأثير خاص على الجن والشياطين .. **فحجر مراد** يجعل الشياطين يتبعون حامله، ويعلمونه بما يريد بينما **حجر المغناطيس** إذا وضع في مكانٍ بطل ما فيه من السحر وهربت منه الشياطين[١٦].

فانظر - أيها الموحد - كيف يعتقد الناس - بعضهم - في الحجارة أنها تجلب النفع وتمنع الضر!

لا إله إلا الله .. لا شريك له .. واحد أحد فرد صمد ..

ولطردهم هناك رقيً كثيرة - بدعية شركية - منها ما تسميه العامة: **رقوة المحسود، ورقوة عاشوراء، ورقوة الابن الوحيد** «يا بو الريش إن شاللا تعيش» **ورقوة المبدول**، والمبدول من يعتقد العامة أن الجن أبدله بغيره، فإذا أريد استرداده من الجن قيل:

(**حد الله بيّنا وبينكم، هاتوا ابننا وخدوا ابنكم**)[١٧].

ومن وسائل التحكم في الجن وتسخيره ما يزعمونه من الاستفادة من أسرار وخدام أسماء الله الحسنى. وسأورد أنموذجًا فيه شيء من التفصيل عن تصور أولئكم لكيفية التحقق بأسرار اسمٍ واحد من الأسماء الحسنى.

يقول صاحب **شموس الأنوار وكنوز الأسرار**:[١٨]

أما الاسم الأعظم (ذو الجلال والإكرام) فإن له تصريفات كثيرة وكلها سريعة الإجابة،

---

١٥ - الجوهري: ٢١٦

١٦ - عجائب المخلوقات للقزويني: ص

١٧ - الفنون الشعبية العدد ٥، ديسمبر ١٩٧٠م

١٨ - ابن الحاج التلمساني المغربي .. ص: ٢٣



بشرط أن يكون الإنسان على طهارة كاملة في خلوة بعيدة عن العمارة ، ولا ينام إلا عن غلبة ، ولا يأكل إلا الحلال ولا يلبس إلا الحلال، ويبخّر كل ليلة جمعة ببخور اللبان الذكر ! ! ويمكث في تلك الخلوة مدة شهر، ولا يأكل ما فيه روح ولا ما يخرج من روح .

فبعد ذلك الاجتهاد يظهر لك نور أحمر قد عمّ الآفاق واخترق السبع الطباق، ثم يذهب عنك ، ويحضر لك عالم الروحانيين في زي عظيم وصفة حسنة من كل لون ، فإذا سلموا عليك فرد عليهم السلام فيقولون لك : ماذا تريد أيها العابد باسم الله الأعظم؟

فقل لهم : مرادي الله ورسوله، فإنهم يذهبون عنك.

ثم تظهر لك الدائرة الأولى من الدوائر السبع ورجالها وهي الدائرة النورانية وحضرتها وما هنالك من الروحانيين ومعهم قطبهم الذي يدورون عليه ـ وهو قطب الدائرة ـ فيسلم عليك هو ورجال تلك الدائرة، فيقولون لك : مرحبًا وأهلاً وسهلاً خديم اسم الله الأعظم.

ثم يقولون لك : تقدم أمامك ، فترى هناك الدائرة الربانية ورجالها وقطبها الذي تدور حوله ـ وهو القطب الرحماني ـ فيسلمون عليك ثم يقولون لك : تقدم أمامك ، فتجد هناك الدائرة الملكوتية ورجالها فيسلمون عليك ثم يقولون لك : تقدم أمامك فتجد هناك الدائرة الصمدانية وحضرتها ورجالها ورئيسها الذي تدور حوله ـ وهو القطب الصمداني ـ فيسلمون عليك

ويقـولـون لك: تقـدم أمامك، فتقدم تجد **الدائرة الجبروتية** وحولها الملائكة الكروبيون[١٩] والرجال الصالحون ورئيسهم وحضرة الجبروت، فيسلمون **عليك فترد** عليهم السلام، فيقولون لك: تقدم أمامك فترى سبعين حجابًا من النور فتخرقها **في** مقدار لمحة البصر، ثم تتقدم فتجد **الحضرة الوحدانية ودائرتها** فتجد هناك **القطب الوحداني** ومعه الأربعة الأوتاد الذي بهم سكنت الخلائق، ورفعت بهم الدنيا على الجهات **الأربع**، ومعهم الحرس والغوث، وهذا عند سدرة المنتهى، وهي المعبر عنها في قوله تعالى: ﴿**في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ فتجد على باب هذه الحضرة هذا الاسم مكتوبًا بالنور الأحمر، وتجده مرقومًا، وأشجاره بساتين تلك الحضرة، وما هنالك إلا الملائكة الذين هم على صفة الطيور الخضر يذكرون هذا الاسم، والنهر الذي بينهم جارٍ، وتسمع لهم ذكرًا بكلام فصيح: ذو الجلال والإكرام، فتسمع الهاتف الرباني بنداؤه من كل جهة: ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾.

فإذا وصل السالك هذا المقام..

فإذا دعا ربه بعد هذه المدة على كل شيء أجيب، وإذا سأل أعطى، وهذا الاسم كان عند آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود عليهما السلام. وهو الذي أخبر به الجليل سبحانه بقوله: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾ فتنفعل المكونات بهذا الاسم أقرب من لمح البصر.

وله جدول بتصريف آخر وهذه صفته:

من حمله معه وداوم على ذكر الاسم ١١١٧ مرة كل يوم نال خيرًا عظيمًا في الدنيا والآخرة.

ذو	الجلال	والإكرام
٩٣ ٣٠١	٣٠٠ ٧٠٥	٧٠٧ ٩٤

١٩ ـ الكروبيون: الملائكة المقربون إلى الله تعالى ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، الوسيط ٧٨١ ج: ٢

● ويضم الكتاب عزائم وأحجبة زعم الكاذب أنها تفيد في تهزيم الجيوش، وتغوير المياه وفتح الكنوز والأقفال، وحجاب الأبصار، ومعرفة الرصد والأوقات، وعلاجات الجن وخدمتهم، وخواص بعض الأسماء وفي بعض النواحي الطبية، وفي العشق وسلب العقول، وميلان الرجال والنساء والوداد والوصال، وأنواع التفريقات: تفريق أهل المعصية، والمتحابين على غير طاعة الله، والفراق قبل الوصال، ثم التربيعات والخطف، وجلب الأخبار من الإقطار، والحجب، وتدمير الظلم، وتحريك الجمادات . .

ويترتب على مثل هذا الفساد أن يقال لأولى الأمر والرؤساء ألاّ يتعبوا رؤوسهم، وألا يجيّشوا الجيوش تلو الجيوش، وأن يستغنوا عن المخابرات، وعن وزارات التعليم والأوقاف، بل ويأمروا المسلمين أن يستغنوا عن الصلاة والصيام «**ووجع القلب**» فيكفيهم أن يقرأوا بعض التعاويذ أو يحضّر لهم أحد هؤلاء النصابين حجابًا ليهزموا إسرائيل ويفرقوا شملها، بل أن يغلبوا أمريكا ويسبقوا استراتيجيات حرب بالنجوم إذا كانت التعزيمة ترفع المرء إلى سدرة المنتهى . .

ويا لخيبة الإسلام في مثل هؤلاء الكذبة . . ويا لخبث الشيطان ومكره.

وهاكم وصفة سجلها أحمد أمين - ٤٠٩ - لحرز من الأحراز يستخدم لهزيمة الجيوش، وقضاء الحوائج، وعند الدخول على العظماء !!

ويكتب هذا الحرز في كاغد أخضر بماء ورد وزعفران، ويبخّر بلبان الذكر والمستكا (المصطكى) على أن يكون الطالع هو الميزان والساعة للشمس، ويجعل تحت الذي يريد منازلة أعدائه، ويستعمله قائد الجيوش ليتغلب على أعدائه:

سيهزم	الجمع	ويولون	الدبر
الجمع	هـ هـ	د د	ويولون
ويولون	د د	هـ هـ	الجمع
الدبر	ويولون	الجمع	سيهزم

إذا كانت سنة الله تعالى تسمح بأن يتزوج الإنسي من إنسية، وأن يتزوج الجني من جنية بسببٍ من اتحاد الطبيعة، واتفاق الخصائص . . فهل يتصور أن يتزوج الإنسي من جنية أو جني من إنسية ؟

هل يمكن أن يتمازج الطين والنار، ويصيرا عنصرًا متآلفًا منسجمًا، أم إن هذا من خيال العامة وعقائدهم الفاسدة ؟

لا أشك لحظة أن العقل العاميّ يستجيز هذا الأمر، ويراه ممكنًا. ولقد كان في شارعنا - أيام طفولتي - عجوز وحيد يعيش عزبًا، كنا موقنين كل اليقين أنه متزوج من جنية تزوره ليلاً، وكنّا نرتعب إذا فُتح باب داره أو وورب. وثمة حكايات سائرة تدور حول فتاة تتزوج من شخص غريب، لا يظهر لها في إهابه الحقيقي ، ويحذرها دائمًا من أن تكشف هويته .

والنصوص الشرعية تثبت إمكان أن يتلبس الجني إنسيًا ويؤذيه ويعنته، ويستدل لذلك بمثل قوله تعالى: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ البقرة : ٢٧٥ ، قال **ابن كثير** رحمه الله : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له .

ومن السنة قوله ﷺ : [**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق**] وقال **الأشعري** في مقالات أهل السنة والجماعة: إنهم - أي أهل السنة - يقولون إن الجني يدخل بدن المصروع، واستدل بالآية السابقة.

وقال **عبد الله ابن الإمام أحمد**: قلت لأبي: إن قومًا يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسي، فقال: يا بني يكذبون، هو ذا يتكلم على لسانه .

وقد أخرج الإمام **أحمد والبيهقي** أنه ﷺ أتي بصبي مجنون فجعل النبي ﷺ يقول: [**اخرج يا عدو الله، اخرج عدو الله**] وفي بعض رواياته : [**اخرج عدو الله، أنا رسول الله**] فبرىء

الصبي[٢٠].

ومع هذا فلا يستطيع أحد أن يزعم ثبوت زواج جني من إنسية أو العكس سبب استحالة ذلك عقلاً، وعدم صحته شرعًا

وهذه من المفتريات والأكاذيب التي يحتال بها بعض الدجاجلة على الناس ليسلبوا أموالهم، أو يستروا فضيحة اجترحها أحدهم.

«وكيف يتسنى التزاوج بين الإنس والجن، وبين الطين والنار، وبين المادة وما وراءها، وبين عالم الغيب وعالم الشهادة»[٢١].

● من طقوس تعظيم العامة للجن

● يؤمن العامة أن مسكن **الجن هو الرماد** كما يشير إلى ذلك القصص الشعبي والخرافات[٢٢]

● ويرون أن **موعد انتشار الجن على الأرض هو عند اصفرار الشمس**، لذا يتشاءمون من أشياء كثيرة كشرب الماء آنئذٍ[٢٣]. فتراهم يقومون بأشياء كثيرة فيها رهب ورغب:

● **في الأردن**: إذا سقط طفل على الأرض وقت الظلام، جاءت أمه ورشت مكان سقوطه ماءً وملحًا، وقرأت بعض التعويدات حماية للولد من المس، كأن تقول: (**دستور يا صاحب السهلة والمكان، لا تأذونا ولا نأذيكم، مية وملح، إحنا وإياكم صلح**) فرشّ الملح على الأرض نوع من طلب رضاء الجن ومؤاخاته، ليكون بينهم وبين السكان «**عيش وملح**»[٢٤].

ويذكر **العزيزي**[٢٥] شيئًا مشابهًا يتعلق بوقت الغروب، وهو أن بدو الأردن عندما يحجون يمتنعون من حلب الإبل عند غروب الشمس حذرًا من أن يسقط من لبنها شيء على الأرض فتفسد حجتهم وحجة الحجاج !! ولعل ذلك متخلف عن عبادة الجاهليين للجمل الأسود

---

٢٠ - مجموع الفتاوي والرسائل، ج:٣، ص: ١٤٧

٢١ - صيحة الحق: ٣١٤

٢٢ - إبراهيم شعراوي، ص: ٤٠

٢٣ - عبيدات: ٢٩١

٢٤ - السابق: ٢٧٤

٢٥ - ص: ٤٢

ويضيف الدكتور **يحيى جبر** ـ المرجع نفسه ـ أن الفلسطينيين يفعلون الشيء نفسه حين يحذرون من إسقاط الملح ـ ولو ذرة منه ـ على الأرض كيلا يلتقطها الفاعل برموشه يوم القيامة .

ويعتقد المصريون أن لكل ولد أختًا من الجن، ولكل بنت أخ، فإذا سقط الولد على الأرض ليلاً : قالوا ـ في تملق للجن واسترضاء ـ **أختك أحسن منّك، أو أخوك أحسن منّك**، يقصدون بذلك دفع الجن أن يصيب الصبي بسوء !!.

● وإذا كان اعتقاد أن انتشار الجن يكون عند اصفرار الشمس اعتقادًا شائعًا بين العامة . . فإن هذه الفترة تشمل مجموعة محاذير وممنوعات منها :

● عدم ضرب القطط ليلاً، لأنها قد تكون من الجنة فينتقم لها أهلها من ضاربها ومن حوله .

● عدم إعارة الخميرة بعد غروب الشمس . ويعلل **سعد الخادم**[٢٦] هذا الأمر بأن في ذلك صيانة لبركة الخميرة، ومحافظة على طاقتها الكامنة أو الأرواح المتقمصة شكل الخميرة (!!) مع ضمان عدم جنوحها للشر، ولا سيما في ظلام الليل أو بعد غروب الشمس وقت انتشار العفاريت والشياطين، مما يحتاج إلى «تعويذة» إضافية للخميرة على هيئة «فص» ملح يمنع الشر عنها، و «فص» الملح نفسه الذي ينثر في السبوع حتى لا تقترب القرينة من المولود فتخطفه .

● ويفرض العوام على المرأة **المشاهرة**، وهي لائحة الممنوعات على المرأة التي تلد في النوبة جنوبي مصر وشمالي السودان[٢٧] .

فعليها ألا تقترب من الموقد، وألا تلمس الرماد، لأن الرماد هو مسكن الجن في عقيدتهم .

ويمنع أن يدخل على المرأة من قتل عقربًا لأن روح التوأم قد تكون متجسدة فيه .

وكذا من غسلت ثوبها خشية أن تكون قد تلبست به ـ أثناء الغسل ـ بعض المخلوقات الشريرة .

---

٢٦ ـ المأثورات الشعبية ، يوليو ١٩٨٩

٢٧ ـ انظر : فاروق العادلي، ص : ١٠١

ويمنع أن يدخل على النفساء أيضًا من حلق ذقنه أو شعره، أو التي عادت فورًا من عزاء أو جنازة، وكذا لا تدخل عليها مستجدية .

وفي الشمال - **شمالي مصر** - يمنع أن يدخل عليها رجل جنب أو امرأة حائض لأنهما نجسان[٢٨] في عقائد العامة، والنجس تتلبسه الشياطين .
وكذلك من يحمل لحمًا نيئًا .

وفي قطر[٢٩] لا تترك النفساء وحدها نحو ثلاثين يومًا، اعتقادًا أنها لو تركت وحدها ستصاب بالتلوث أو الأرواح الشريرة أو الجان، كما يضعون سكينًا تحت رأس النفساء أو الوليد، لأن الجان يخافون الحديد

ويشبه هذا **في مصر** أنهم لا يتركون الوليد وحده أو في الظلام، خشية أن يتلبسه جني .
ويرى العامة **في قطر** أن العيش «الرز الطبيخ» الذي ليس به ملح طعام للجن[٣٠] وتنتشر بينهم - وبين غيرهم - عادة الخوف من البيوت المهجورة ، لأنها يسكنها الجن والشياطين[٣١] .

وهم لا يؤمنون بالجن فحسب بل يقيمون معهم علاقات ويطورونها إلى حد الخروج على الدين الإسلامي[٣٢]، وما يخشونه من القوى الخفية كثير، فالمرأة تقول لابنتها أو صاحبتها:
لا تضربي القطوة - القطة - **السوداء في الليل لأن ضربها** «مو زين» .
ولا تغسل إحداهن ثيابها ولا ثياب أسرتها **يومي السبت والأربعاء** فهو غير حسن، وكذا ضرب الأولاد عند غروب الشمس، ولا يخمّمن - ينظفن - البيت عندئذٍ .

---

٢٨ - إبراهيم شعراوي، ص : ٤٠
٢٩ - صرح النبي ﷺ بأن المؤمن لا ينجس في حديث الجماعة عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما . . فلينتبه ، انظر : **الإفصاح عن معاني الصحاح**، ص : ١٩٦
٣٠ - الدويك : ص : ٢٢٣
٣١ - الدويك : ١١٨
٣٢ - الدويك : ٢١٤ وما بعدها .

أجرت الدكتورة **سامية الساعاتي**[٣٣] بحثًا ميدانيًا عن السحر والذين يتعاملون مع الجن شمل ١٣٩ ساحرًا وساحرة وخرجت بالنتائج الآتية :

● نصفهم - تقريبًا ذكور - ٦٤ , ٤٩٪ ونصفهم إناث ٣٦ , ٥٠٪ .

● **معظمهم فوق الأربعين ٤٥ , ٧٨٪**

● معظمهم من المسلمين ٢٤ , ٩٤٪ والباقي ٧٦ , ٥٪ **نصارى** .

● **نسبة قليلة منهم نالوا حدًا من التعليم :**

٤٧ , ٦٪ إعدادية - ٣٢ , ٤ ٪ **ثانوية** ٤٧ , ٦٪ جامعة = ٢٦ , ١٧٪ .

● ١٨ , ٢٥٪ منهم **متخصصون في قراءة الفنجان .**

● ٨٦ , ٢٠٪ منهم **متخصصون في عمل الأعمال .**

والباقون ٩٦ , ٦٣٪ يقومون بأعمال سحرية متعددة كقراءة الكف والكوتشينة وفتح المندل إلخ .

● غالبيتهم يستخدمون آيات من القرآن في ممارساتهم السحرية ٣٦ , ٥٠٪، ويستخدم الإنجيل بنسبة ضئيلة ٣٢ , ٤ مع خلط الدين والقرآن بالسحر لضمان التأثير على الناس .

● ٤٦ , ٢٤٪ يستعملون كتب السحر .

● ٨٣ , ٥٦٪ منهم متفرغون للسحر تمامًا، ١٧ , ٤٣٪ يزاول عملاً آخر بجانب السحر .

وأما المترددون على السحرة فكانوا كما يلي :

٧ , ٨٥٪ منهم **من المتعلمين تعليمًا متوسطًا وعاليًا .**

٢ , ١٨٪ منهم ينتمون إلى مهن إدارية متوسطة وعليا .

- , ٢٤٪ منهم ينتمون إلى مهن كتابية متوسطة وعليا .

٠٢ , ٣٠٪ منهم ينتمون إلى مهن فنية متوسطة وعليا .

---

٣٣ - السحر والمجتمع : ١٩٧ وما بعدها

٩٢,٤٧٪ منهم فوق العشرين - **أي ناضجون ومكلفون شرعًا !! -**

٦١,٦٥٪ منهم إناث، ٣٨,٣٥٪ ذكور .

٦٩,٣٢٪ منهم مسلمون، ٣٠,٦٨٪ منهم نصارى .

هل نحتاج إلى التعليق على مثل هذه الأرقام؟

وهل يُتخيل مثل هذا الارتكاس ونحن أولاً مسلمون

نشهد أن لا إله إلا الله؟

وهل يصلح هذا لبشرٍ يدخلون أعتاب القرن الحادي والعشرين،

أو القرن الخامس عشر بعد مبعث محمد ﷺ ؟

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

تتلخص نظرة الإسلام في الجن أنهم صنفٌ **مكلفون**، أُرسل إليهم رسول الله ﷺ بالإسلام كما أرسل إلى الإنس - كما ورد بسورة الأحقاف والجن وغيرها - **وأن منهم مؤمنين وقاسطين**، أثبت القرآن سماعهم للقرآن، وذكر أنهم **خلقوا من نار السموم**.

طوعهم الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام آيةً له، ورآهم النبي ﷺ وكلمهم، **بل وأمسك** واحدًا منهم . . فقد روى أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه ﷺ **قام فصلى الصبح وهو** خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال:

[لقد رأيتموني **وإبليس** . . أهويت **بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين، والإبهام التي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطًا بسارية من** سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، **فمن استطاع منكم ألا يحول بينه وبين القبلة أحد** فليفعل].

والجن قادرون على التشكل بأشكال مختلفة، فقد تشكل إبليس بصورة شيخ نجدي في دار الندوة، وبصورة سراقة بن مالك في بدر، وروى مسلم عن أبي سعيد مرفوعًا:
[إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان].

وقاسطوهم يصفدون في رمضان رحمة بالمؤمنين .
وقد أثبت القرآن أن نفرًا من الإنس كانوا **يعوذون برجال من الجن**.
وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه **أن نفرًا من الإنس كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك هؤلاء بعبادتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ الإسراء: ٥٧**.

ونؤمن أن الله تعالى جعل من أسلحة مواجهة الجن الكافرين: **الاستعاذة به سبحانه في كل** المواطن، وعند قراءة القرآن الكريم، وعند دخول الخلاء، وعند النوم، وعند قراءة المعوذتين، وكذا كثرة الذكر، وخواتيم سورة البقرة وغيرها[٣٤].

وقد شرع الله تعالى لأهل الإسلام أن يستعيذوا به سبحانه بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن.

والجن **يروننا ولا نراهم**. وقد ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من زعم أنه رأى الجن رددنا شهادته ما لم يكن نبيًا، لأن الله تعالى يقول: **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾**[٣٥] وكفى به حجة وكلام الله تعالى برهانًا. والجن **لا يعلمون الغيب حتى يخبروا أحدًا به**، وقد صرح بذلك القرآن الكريم في سردة لقصة سليمان عليه السلام وعجزهم عن معرفة وقت وفاته كما ورد بسورة سبأ.

وينفي الإمام الشيخ **شلتوت** قدرة الجن على جلب الخير ودفع الشر عن طريق أدواتٍ مثل التحويطة والمندل وخاتم سليمان، وعجزهم عن إظهار الغيب في مسروق ضائع أو مستقبل مخبوء، وأفتى بأن في هذا صرفًا عن السنن الطبيعية في العلم والعمل عن الجد النافع المفيد[٣٦].

وقال الإمام **ابن القيم** رحمه الله تعالى[٣٧] من ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به، وتقرب إليه بما يجب فقد عبده ـ وإن لم يسمّ ذلك عباده، وسماه استخدامًا ـ وهو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له، ولا يعبده كما يفعل هو به.

---

٣٤ ـ انظر تفصيل ذلك في كتاب: عالم الجن ـ أسراره وخفاياه، مكتبة القرآن، ١٩٨٦ وانظر طريق الهجرتين، ص: ٧١٨

٣٥ ـ سورة الأعراف: ٢٧، انظر: صيحة الحق، ص: ٣١٣

٣٦ ـ الفتاوى، ص: ٢٧

٣٧ ـ مصرع الشرك والخرافة، ص: ٢٠١

وقد أفتى الشيخ **العثيمين**[٣٨] بأن تحضير الجن بطلاسم عمل غير جائز، وحرم الذهاب إلى من يزعمون تحضير الجان، لأن الذي يذهب إليهم يغريهم ويغرهم، **وأن** الغالب على هؤلاء المشعوذين أنهم يحتالون على الناس ويبتزون أموالهم بغير حق، ويقولون القول تخرصًا فإن وافق القـدر أخذوا ينشرونه بين الناس ويقولون نحن قلنا وصار كذا، وإن لم يوافق القدر ادعوا دعاوى باطلة أنها هي التي منعت هذا الشيء، وأفتت بذلك أيضًا **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** في مرات كثيرة .

٣٨ ـ مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ، ج:١، ص : ٤٧، ١٥٧

الفصل الثالث

طقوس جنية جنسية جسدية

- البغاء المقدس في التاريخ
- طقوس شيطانية جسدية أوروبية
- الشيطان إلهًا
- المنظومات العربية ذات الطابع الجنسي :
  * حلب النجوم والشبشبة
  * العمل السفلي
  * الموالد : على هامش البدعة
  * كرامة أم زندقة
  * التعري للدعاء
  * الزار الموطىء للرذيلة
  * الوعدة والنشرة: زار الجزائريين
  * الزار والإسلام



طقوس جنسية جنية جسدية

هل من الممكن أن يستخرج الإنسان الثلج من الأفران والمواقد ؟
هل يعقل أن تطلع الشمس - قبل يوم القيامة - من مغربها ؟
هل يدخل إبليس الجنة ؟

لا يمكن أن تكون الإجابة على هذه الأسئلة إلا بلا . . وألف لا ؛ لأن الموافقة عليها وقبولها يعني السقوط، واختلاط المفاهيم، وعدم وقوع السنن الإلهية .

لكن لا بأس علينا أن نحاول دخول عالم يحاول أدعياؤه أن يخلطوا في عقولنا المفاهيم ويسقطونا في أحابيل الوهم والتناقض .

ودخولنا - بعون الله - لاكتشاف دعواهم الداحضة وأكاذيبهم البلقاء .

هذا العالم هو عالم البغاء المقدس، أو التقرب إلى الله - تعالى وعز - بتمريغ الجسد في وحل الرذيلة أو - على الأقل - ما يؤدي إليها من أسباب ومظاهر كالتبرج والتعري والرقص الهستيري «المقدس» ! !

ولنسر في الطريق من أوله . .

في عمق التاريخ كان البغاء مقدسًا . . يُتقرب به إلى الأصنام وسدنتها ليتطهر الجسد وتغتسل الروح لأن في إذلال الجسد وتمريغه في الوحل تساميًا يؤدي إلى نقاء الروح !! ألم أقل إنه حصد للثلج من المواقد، أو استخراج للعطر من «المجارير» والكُنُف والبلاعات ؟!!

لقد مارست البغاء «المقدس» شعوب كبيرة ، بدائية ومتحضرة، كانت تَعُدّه شعيرة من شعائر الدين، أو وسيلة لإرضاء الآلهة والتقرب إليهم .

- **ففي ساحل العبيد وساحل الذهب بأفريقيا** كانوا ينظرون إلى **البغاء** أحيانًا على أنه **من أعمال البر الديني**، حتى إن الموسرات من النساء كن يشترين ـ وهن في مرض الموت ـ إماءً يوصين بأن يخصصن للبغاء، ويتخذن من ذلك وسيلة للتقرب إلى آلهتهم، وختم أعمالهن بصالحات الأعمال (!!)
- وكان كذلك عند **العبريين** الذين اعتقدت بغاياهم «المقدسات» أنهن يجلبن الخير والبركة لمن يتصل بهن .
- وعند **الكنعانيين** كانت توجد طائفة من النسوة يطلقن على أنفسهن: **كيديشولح** Kedesholh وهبن جسومهن للبغاء المقدس، وكذا في **بابل وبلاد اليونان وقدماء الأرمن** .
- وعند **الفراعنة** كانت المرأة التي تعد في نظر قدماء المصريين زوجة للإله في طيبة تمارس كذلك البغاء المقدس في المعابد، فقد روى **استرابون** أنها كانت تتصل بمن تشاء من الرجال **حتى يتخلص جسمها من أدرانه**، ولتصل إلى أقصى درجات الطهر (!!) وحينئذٍ تهب نفسها لرجل واحد[1] .

ويحدثنا **أ. موريه** عن مصر أيام الأسرة الثامنة عشرة فيقول: كانت **راهبات آمون** زوجات للإله «نترحمت» وصار بينهن عدد من البغايا في الأسرة التاسعة عشرة ـ وكان البغاء عملاً دينيًا ـ ثم حرمته القوانين والشرائع ولكنه لم يزل قائمًا ـ وكان من البغايا **الملكة نيتوكريس** نفسها في معبد الإله آمون[2] .

وكان التجرد الكامل من الثياب أظهر ما يكون في رقصات الخصب ـ وهي أقدم رقصات الطقوس ـ والغرض من التعري كان حث البذور على الخصب وإهلاك الآفات التي تفتك بالمحصول، كما أن التجرد من الثياب قد عرف في الشعائر الدينية القديمة[3] .

---

١ ـ د. علي عبد الواحد وافي: غرائب النظم والتقاليد والعادات، ص: **٢٥٩** باختصار وتصرف .
٢ ـ أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي : **١٧٧، ٢٢٠**
٣ ـ فوزي العنتيل: بين الفلكلور والثقافة الشعبية، ص: **٣٤٦**

فأمـا النصرانية فعاشت النقيضين، وشربت من خمرهما حتى ثملت وفقدت رشدها . . جربت تعـذيب الجسـد وحرمانه، واعتبرت المرأة رجسًا من عمل الشيطان؛ بل كانت هي الشيطان نفسـه، إذ هي التي أغـوت آدم بالأكل من الشجرة ليخرج من الجنة، وفي مجمع «**مـاكـون**» في القـرن الخامس عشر قررت الكنيسة أن المرأة خلو من الروح، وأنها خلقت كالإنسان لخدمة الرجل فحسب .

ووصمت النصرانية الرغبة بأنها جريمة، واعتبرت العزوبة أقرب منطق للكمال الإلهي . وزخرت الكنيسة بعدد كبير من الجنسين ممن نذر نفسه للعفة الدائمة، وبعضهم لجأ إلى أن ينزع من الجسم سلاحه، فقد بلغ الهوس من شخص أسمه **أوريجن** Origen أن خصا نفسه، وكان عمله هذا مدعاة للإعجاب أكثر منه للوم، إذ كان في سلوكه صادرًا عن التفسير الحرفي للأسفار التي أشادت «**بالخصيان الذين يحفظون السبت**» .

وكانت هنالك جماعة تسمى **السكوبتس** يرتدون الثياب البيض، وينشدون الصلوات، ويرقصـون رقصـات مجنـونة، ويخصون أنفسهم ليعيشوا في القداسة عرفوا باسم «**القديسين الخصيان**» وكانوا يعيشون في جماعات ويعملون ـ عادة ـ في البستنة مستندين إلى قول أشعيا : «**لأنه هكذا تكلم الله الأزلي. للخصيان الذين يحفظون السبت ويختارون ما يلذ لي**» .
وكان العديد من القياصرة ـ ولا سيما **ألكسندر الأول** ـ من هذه الجماعة[٤] .

وقيل في وصف الـراهبـات إنهن عرائس المسيح، وإنهن في خدمـة الرب، وهذا يذكرنا بالمعتقـدات القديمة عن الزوجة المقدسة أو الزوجة الإلهية ـ التي يمكن أن تتصل بالإله ـ بالمعنى الحقيقي للكلمة ـ وكان مثل هذا الاعتقاد معروفًا في مصر القديمة، حيث كان يعتقد أن فرعون ابن الإله. وقد انتشرت أفكار من هذا القبيل في العصور الأولى من النصرانية،

---

٤ ـ المرأة والأسرة في حضارات الشعوب ـ مواضع كثيرة : منها، ص : ٣٤٢، ٩٥١

وجرى الحديث عن نساء نذرن أنفسهن للمسيح ، ووهبن له الجسم والروح معًا، وعزفن عن متع الحياة البشرية، لأنهن ارتبطن بالمسيح بهذا الزواج الروحي[٥] !

وأمـام هذا التـزمت الهـائـل، والمخالفة للفطرة شرب الناس من وحل الرذيلة سرًّا، ثم استبـاحوه بعد ذلك جهرةً، وأضفوا عليه اللمسة الدينية ليكون البغاء مباركًا ودخْلُهُ حلالاً زلالاً، **وهذا هو النقيض الثاني**

فقد كتب القديس **بنيغاس** عام ٧٥٦م للملك **إتلبولد Ethelbold** :

لقـد سمعنا أن نبلاء مرسية كلهم يهجرون زوجاتهم الشرعيات **ويرتكبون الفاحشة مع الزانيات والراهبات** .

وقال سلنت **أود** رئيس رهبان دير كلوني المتوفي عام **٩٤٢م** .

إن بعض رجال الدين - **في الأديرة** وخارجها - يستهترون بابن العذراء استهتارًا **يستبيحون معه ارتكاب الفاحشة في ساحاتها نفسها**، لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكانًا تضع فيه الطفل عيسى .

وكانت قضية التسري بين رجال الدين مجال جدل، ولكن ما إن استهل القرن الحادي عشر حتى كانت العزوبة من الأمور الشاذة، وحتى أصبح التسري عند بعضهم مأمونًا. وكان لدى بعض الشمامسة عدد من السراري .

ورغم أوامر التحريم للزواج بالنسبة للقساوسة، وأن أحد المجامع الكنيسية في **بافيا** عام ١٠١٨م أصدر قرارًا يفرض فيه العبودية والحرمان من الميراث على أبناء القسيسين، **فإن رجال الدين ظلوا مع ذلك يتزوجون**[٦] .

واستفـادت الكنيسـة من مهـور البغايا وثمن الأعراض. ففي روما كان هنالك مواخير بالقرب من **الفاتيكان**، وقد أجاز رجال البابا إقامتها نظير ما يتقاضون من الأجور .

---

٥ - العنتيل : ص : ٣٨٩

٦ - المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها: ص: ٨٢٨، ج :٢

وتـولت الكنيسـة **تخصيص بيـوت للرذيلة** تحت إشراف رسمي ينظم ذلك، **فكان بيت الدعارة في مدينة أفنيون البابوية تحت إشرافها**، وبرعاية الملكة جوانا ملكة نابولي. وكانت النساء في هذا البيت يقمن الصلاة في مواعيدها ويحضرن - إجباريًّا - موعظة يوم الأحد في الكنيسة .

وكـان على الزبائن أن يخضعوا لقاعدة دينية، **فالنصراني هو المسموح له وحده بممارسة الرذيلة في بيتها**، أما اليهودي والملحد فممنوعان من الدخول.

ويبدو أن تجربة بيت الرذيلة في أفنيون كانت موفقة، لأنه سرعان ما أقام البابا **بولس الثاني** بيتًا على نمطه في **روما نفسها، وكان كثيرون من القسس والراهبات يديرون بيوتًا من نفس النوع**. وقيل عن أسقف **أفنيون** إن عدد الداعرات في بيوت الرذيلة التي يملكها لم يكن أقل من عدد الكتب في **مكتبته**[٧].

وانـطلقت شياطـين الرغبة معربدة - بعد كبتٍ ومصادرة - لتستبيح الكنيسة كل شيء، **ولتضفي البركة على الشواذ، وتزوج الرجل للرجل، والمرأة للمرأة**، ويبدي كثير من القساوسة تعاطفهم ومباركتهم لهذه الممارسات .

وأذكر أن جريدة **أخبار اليوم** نشرت في الستينيات نبأ تزويج رجلين بمباركة الكنيسة وحينئذٍ صار الأمـر شرعيًّا وقـانونيًّا. ونشرت جريدة **الجمهورية** في **١٩٥٧/١١/١٦** تحت عنوان: **الشـذوذ الجنسي عمل يوافق عليه مجلس الكنائس الإنجليزية**[٨] الذي وافق بعد مناقشات حامية على اعتبار الشذوذ الجنسي بين البالغين عملاً مشروعًا لا يعاقب عليه القانون .

وقاد الحملة **كبير أساقفة كنتربري** - جود فري فيشر - بأغلبية **١٥٥** صوتًا ضد **١٣٨** .

وقال كبير الأساقفة: إنه كان يشعر بالقلق لما يصيب المصاب بالشذوذ الجنسي، في حين يستطيع أي شخص آخر أن يدمر أسرة ويشردها بدون أي عقاب (!!).

---

٧ - السابق ، ص: ٦١٥ ، ج : ٢

٨ - وافي : ١٩١

وأما العرب فكان لهم جنوحهم في هذا الباب أيضًا - أعني عرب الجاهلية - فقد كان **للعزى** عند عرب الجاهلية علاقة بالزواج، فكانت الفتاة إذا طلبت الزواج نشرت جانبًا من شعرها، وكحلت إحدى عينيها، وحجلت على إحدى رجليها ليلاً، وقالت عبارة معناها أنها تدعو أن تتزوج قبل الصباح، أي قبل أن يطلع نجم الصباح وهو الزهرة[٩] .

وروى **الأزرقي في أخبار مكة** - ج : **١٨٢/١** دار الأندلس - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت . . **عراة**

الرجال بالنهار والنساء بالليل !!

وهم يقولون : لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب .

وكانت المرأة إذا ما طافت عريانة تضع إحدى يديها على قبلها، والأخرى علي دبرها، وقد أنشدت العامرية في ذلك :

اليوم يبدو بعضُهُ أو كلّهُ وما بـدا منه فلا أحِـلُّهُ

وفي ظلال القرآن يفصل لنا **السيد** رحمه الله[١٠] ما جاء في صحيح مسلم عن هشام عن عروة أبيه عن أبيه قال:

كانت العرب تطوف بالبيت عراة ، إلا الحُمْسَ - والحمس قريش وما ولدت - كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن تعـطيهم الحمس ثيابًا، فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء. وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة. وكان الناس يبلغون عرفات ويقولون : نحن أهل الحرم فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا، فمن

٩ - تاريخ العرب في عصر الجاهلية، د. السيد عبد العزيز سالم ، ص : ٤٧٤

١٠ - ج : ٣ ، ص : ١٢٨٢

لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوبًا، ولا يَسَارٌ يستأجر به، كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عريانًا، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه فلم يمسه أحد، وكان ذلك الثوب يسمى **اللقى**.

وفيهم نزل قوله تعالى، الأعراف: ٣١ **﴿يبني ءادم خذوا زينتكم عند كل مسجد..﴾** أي أن يتزينوا باللباس عند كل عبادة، **ومنها الطواف الذي يمارسونه عرايا**، ويحرمون اللباس الذي لم يحرمه الله تعالى، بل أنعم به على العباد، فأولى أن يعبدوه بطاعته فيما أنزل لهم، لا بخلعه، ولا بالفحش الذي يزاولونه.

فإذا ضممت إلى صورة العري هذه صورة التصفيق والصفير الذي كانوا يتعبدون به ويصلون عند البيت بدت لك كيف كانت عبادتهم، فقد كانت صلاتهم صفيرًا بالأفواه، وتصفيقًا بالأيدي، وهرجًا ومرجًا لا وقار فيه، ولا استشعار لحرمة بيت، ولا خشوع لهيبة الله عز وجل. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض يصفقون ويصفرون. **وإن هذا ليُخْطِرُ بالبال صور العازفين المصفقين الصاخبين الممرغين خدودهم على الأعتاب والمقامات اليوم في كثير من بلاد المسلمين**[11].

ومن عجيب ما روي من حال المشركين الذين نزلت فيهم هذه الآية أن المسلمين لما لبسوا الثياب وطافوا بالبيت عيرهم أولئك بذلك (؟!)

فانظر كيف تفعل الجاهلية بأهلها: ناس يطوفون ببيت الله عرايا فسدت فطرتهم ينكرون على المستورين الذين أخذوا زينتهم عند البيت هكذا تمسخ فطرهم وأذواقهم وتصوراتهم وقيمهم وموازينهم[12] وما أشبه هذا بحال الذين ينكرون على المحتشمات العفيفات في حين يصفقون للمتبذلات كاشفات الصدور والنحور، ويرون الأوليات متزمتات رجعيات، بينما الأخريات عصريات متطورات متحضرات!!

---

١١ ـ السابق، ص: ١٥٠٦

١٢ ـ اقرأ في الظلال تفسير آيات الأعراف في الزينة وتفسير آيات التوبة في المكاء والتصدية تجد فوائد كثيرة.

طقوس شيطانية جسدية أوروبية :

يشير المؤلف البريطاني المعاصر **بنثورن هيوز** أنه ـ حتى القرن السابع عشر ـ كان هناك قدر كبير من الرقص الطقوسي في **الكنائس الأوروبية**، وكان الانغماس العميق في الرقص يؤدي إلى انحلال قيود الساحرات وتفكك قواهن استعدادًا لبلوغ **قمة السبت** (!!)[١٣] . وتلك هي **ذروة الطقوس التي يضاجعهن فيها الشيطان** (!!) ويغرق معهن في أشد الملذات الحقيرة إثارة، ثم ينتهي احتفال السبت بعربدة جنسية عارمة لا قيود لها.

ويبدو أن هذه الطقوس لم تزل مستمرة حتى أيامنا هذه، فقد أشار **سيبروك Seabrook** أنه شاهد طقوس القداس الأسود في نيويورك وباريس وليون ولندن .

ويصف المؤلف البريطاني المعاصر **جوليان فرانكلين** هذه الطقوس قائلاً :

يقام القداس الأسود في منتصف الليل بين أطلال كنيسة خربة، برئاسة كاهن مرتد، مساعداته من البغايا، ويتم تدنيس القربان ببراز الآدميين. وكان الكاهن يرتدي رداءً كهنوتيًا مشقوقًا عند ثلاث نقاط، ويبدأ بحرق شموع سوداء، ولا بد من استخدام الماء المقدس لغمس المعمّدين من الأطفال غير الشرعيين حديثي الولادة.

ويتم تزيين الهيكل بطائر البوم والخفافيش والضفادع والمخلوقات ذات الفأل السيىء، ويقوم الكاهن بالوقوف ـ مادًا قدمه اليسرى إلى الأمام ـ ويتلو القداس الروماني الكاثوليكي معكوسًا. وبعده مباشرة ينغمس الحاضرون في ممارسة كل أنواع العربدة الممكنة، وكافة أشكال الانحراف الجنسي أمام الهيكل .

ويجزم **فرانكلين** أن كثيراً من الناس في العصر الحديث يجتمعون لإقامة القداس الأسود بشكل أو بآخر، وعلى سبيل الاستدلال، فقد اكتشف **حاكم إيرشاير** في اسكتلنده أن هذه الطقوس كانت تقام في إحدى كنائس القرن السابع عشر المهجورة التي تهدمت أركانها، ومن

---

١٣ ـ عهدنا بالسبت أنه مقدس يحفظون فيه أنفسهم وجوارحهم حتى من الأعمال المباحة، فما بال هذه «القمة» المنحطة

بين الدلائل التي وجدها نسخة من الإنجيل مشوهة، وزجاجة خمر قربان مكسورة، ورسمٌ لصليب مقلوب رسم بالطباشير على الهيكل.

وفي عام ١٩٦٣ كتبت إحدى الأميرات قصة جنسية لمجلة بريطانية عن القداس الأسود الذي شهدته بنفسها.

ومن الحقائق المعترف بها أن ذلك القداس قد انتشر بشكل كبير في شمالي انجلترا وأصبح شائعًا لدرجة مساواته بالأحداث البارزة عام ١٩٦٣م[١٤].

وقد انتشرت موجة من أفلام السينما الأوروبية والأمريكية في السبعينيات تتحدث عن مثل هذه الطقوس بما فيها ممارسة الجنس مع الشيطان !!



صورة لأحد المزارعين وهو يمسك بالمنجل الذي كان ـ ولا يزال ـ يستخدم في طرد الشياطين

---

١٤ ـ السحر والقوى الخارقة في الإنسان ـ برنارد الأسطة، ص : ١٢٧ وما بعدها.

وهذا يجرنا إلى الحديث عن عبادة إبليس ـ عليه لعائن الله ـ الذي **تقدسه شعوب بدائية كثيرة في آسيا** ـ في كشمير ونيبال وغيرها ـ وفي **القبائل الوثنية في** أصقاع كثيرة من الدنيا . .

لكن الغريب أن الأوروبي ـ المتحضر ـ التائه الذي يبحث عن ربٍّ يعبده ومرفأ تستقر إليه نفسه التي أشقتها المادة وآدها اللهاث وراء المتع والرفه، هذا الأوروبي هداه الشيطان إلى أن يعبد . . **الشيطان** ليخسر الدنيا والآخرة ﴿**ذلك هو الخسران المبين**﴾ .

ففي تشرين الأول **١٩٨٢** نشرت **مجلة التايم** ملفًا في **٢٥** صفحة، عنوانه : **عودة الشيطان المبجل إلى الولايات المتحدة الأمريكية**[١٥] .

وتحدثت المقالات عن ممارسات وأعمال سحرية يقوم بها «الملايين» من الشعب الأمريكي . وتتم **عبادة الشيطان ضمن أجواء مهيأة وخاصة**، تبتدىء **بالرقص العاري** تتلوه حفلات الإباحة والهستريات، وتنتهي **بجرائم شاذة وغامضة** .

وتقول **التايم** : **إن متعبدي الشيطان هم أكثر الناس انغماسًا في الشر والفسق والفجور السري والعلني**، ونادرًا ما يشيرون إلى أماكن وجود هياكلهم أو عدد المنتمين إليهم .

ويؤكد ذلك **هربرت** أستاذ علم الاجتماع في جامعة **ساراسونا** بولاية فلوريدا الذي يذكر أن **الجنس هو الأساس الذي تقوم عليه الطقوس الشيطانية السرية** .

وتصف المجلة منتدىً من منتدياتهم فتقول :

على البـاب كان هناك شعار برتقالي، وفي الطابق الأول تجمع صاحب المنزل وضيوفه، ووقفوا بوقار وخشوع أمام مذبح مغطىً بستار أسود، ، وعلى الجدار المواجه لهم فوق المذبح صورة رأس ماعز يطل من قلب نجمة غريبة محوطة بحروفٍ لا معنى لها، يصيح واحد من الواقفين :

---

١٥ ـ الجن والشياطين بين العلم والدين ، ص : **٢١٢** وما بعدها.

في هذه الليلة ننتخب واحدًا منا كاهنًا لك يا شيطان يا معظم يا معبود . . تتبع ذلك طقوس غريبة .

وفي مدينـة أوكـلاند بكاليفورنيا ـ تستطرد **التايم** ـ لا يكاد القمر يصير بدرًا كاملًا حتى يتجمع عدد من طلاب وطالبات الجامعة في منزل بأحد الأحياء، تبدأ حفلتهم بنزع الملابس قطعة قطعة ليصبحوا عراة، وينطلقوا بالتلوي في رقصة غريبة تدعى «**رقصة الشيطان الكبير المبجل**»

وفي ولاية شيكاغو يلتقي ما يتراوح بين خمسة وسبعين ومائة شخص ـ من مديري المكاتب والأطباء النفسيين والموظفين العاديين والطلبة ـ في **معبد الشيطان المعظم** يمارسون داخله أغرب أنواع العبادة الممزوجة بهستيريا مروعة .

كما صدرت كتب تباع في أضخم المكتبات بسان فرانسيسكو وشيكاغو ونيويورك ونيو جرسي تحمل عناوين : **الشيطان والسحر الأسود، العبادة المخلصة للشيطان، الشيطان المبجل** . . إلخ ، وكلها تدور حول الامتثال للشيطان والعمل بما يوحي به .

وليس الأمر قاصرًا على أمركا ـ تقول **التايم** ـ بل في **فرنسا** يذاع برنامج إذاعي أسبوعي تقدمه مدام **سوليل** تتحدث فيه عن **القداديس السوداء**[١٦] أي عن عبادة الشيطان والسحر بواسطة قواه .

وللشيطان **محافـل** في **سويسرا وإيطاليا** ، وله في **ألمانيا** خمسمائة ألف رجل وامرأة يمارسون التعبد له، وأكثر من سبعمائة ألف ممن يتعاطون العلوم السرية له عليه لعائن الله .

المنظومات العربية ذات الطابع الجنسي والشيطاني

وللعـرب المعـاصرين عديد من المنظومات الطقسية ذات الطابع الجنسي تتم من خلال التكشف والتعري، أو الرقص للجن أو تعظيم النجوم . . تتمثل في عدة ممارسات منها :

١٦ ـ القداديس جمع قداس وهو ـ عند النصارى ـ صلاة على الخبز والخمر بصيغة معينة، الوسيط ج : ٢ ، ص : ٧١٩

١ - حلب النجوم والشبشبة[١٧] :

فأما حلب النجوم - وهي من أشكال الشبشبة أيضًا - فطقس يعتقد العامة أنه يجبب الرجل في امرأته - وقد استخدم **أبو العلاء** هذا المصطلح في اللزوميات - وفيه تركع العذاء، التي يفضل أن تكون حديثة عهد بالحيض أو موشكة عليه - مما يرمز إلى فترة أنوثتها وجموحها - تركع عارية بعدما تدهن ثدييها ومواضع أنوثتها بلبن «حمارة» !!

وتمثل بيديها حركات حلب النجوم، وكلما استدرت لبنًا وهميًا، مرت بيديها على مواضع أنوثتها كأنها تزيد ما عليها من لبن الحمارة .

وأما **الشبشبة** ففيها تكشف الفتاة البكر عن عورتها، بل تتعرى تمامًا، وتضرب مواضع أنوثتها بالشبشب، وهي أثناء ذلك تلقي بمنظومتها السحرية، وقد تطأ رغيفًا منقوعًا في اللبن أو كتابًا مقدسًا (!!) فأنت ترى إهراق العرف الديني والأخلاقي واستعباد الفتاة نفسها للروح فكأنها بغي تمامًا، ولذا نظائره في **الأساطير التي تتحدث عن بيع الإنسان روحه وجسمه للشيطان بغية مسرة دينية أو دنيوية** (وقد مر بنا منذ قليل شيء من ذلك) .

ويذكر **أحمد رشدي صالح** أن هذه المراسيم الوثنية ذات قربى بالمعتقد البدائي الذي يفرض أداء طقوس دينية لما يسيطر من قوىً خفية على الطبيعة وعناصرها .

---

١٧ - اقرأ : احمد رشدي صالح : الادب الشعبي، ص : ١٧٧ وما بعدها وفنون الأدب الشعبي - له أيضا - ص : ١٩٩ والفنون الشعبيه القاهرية ع ١٢ / ١٩٧٠ مقالة عبد المنعم شميس عن الشبشبة .

ويعزو شميس هذه العادة الغبية إلى الطقوس الإغريقية التي انحدرت إلى المصريين بحكم أسماء بعض آلهة الإغريق المرتبطين بالعشق والفسق والقوادة، والتي يرد ذكرها في الطقوس، ويرى أن المظاهر الحسية بها هي أساس التفكير الأبيقوري[١٨]، كما أن اختيار مكان في جبل المقطم لممارستها يرتبط أيضًا بالميثولوجيا اليونانية التي كانت ترى الآلهة في الجبال لا في أعماق المدن .

وكانت الشبشبة تبدأ بمصاحبة الشيخة «المشعوذة» للسيدة التي هجرها زوجها - وهذا خلاف رأي أحمد رشدي صالح - بعيدة عن العيون بحيث لا يراها أحد، ثم تبدأ الطقوس بصبغ وجه المرأة ويديها بالسواد، وتلبس ثيابًا سودًا، وتنثر شعرها على كتفيها، ثم تمسك بيديها ثلاث ثمرات من فواكه الموسم، وتبدأ الشيخة بإطلاق البخور الذي يحتوي - دائمًا - على الحشيش إلى جانب العطور الأخرى النفاذة، وتتمتم الشيخة ببعض الألفاظ ليصل الحشيش إلى أعصاب المشبشبة فتصاب بالخدر، ويخيل إليها - مع ارتفاع الدخان - أن الجو قد اغبرّ، وأن النهار انقلب ليلاً، ويسود الظلام أمام عينيها كلما قربتها الشيخة نحو الدخان .

ومن التمتمات التي تطلقها المشعوذة :

جمرة تيجي على عينه ما يشوف حد غيرها
جمرة تيجي على لسانه ما يكلم حد غيرها
جمرة تيجي على ودانه ما يسمع حد غيرها
يا زهرة يا باهية . . يام العيون الساهية . . إلخ

● ومن العقائد التي تندرج تحت ذلك اعتقاد بعض العامة في العراق أنهم لكي يمطروا - في سنوات القحط - فإن العذارى يكشفن عن محارمهن - أي ما يحرم النظر إليه من أجسامهن - معتقداتٍ أن هذا كفيل بإنزال المطر عند انحباسه في سنين الجدب (التراث الشعبي - ع ١٢/١٩٧٣).

١٨ - الأبيقوري Epicurean نسبة إلى أبيقور ١٥٣ - ٢٧٠ ق.م الذي دعا إلى إسعاد الذات باللذات المعنوية التي لا يعقبها ألم، وقد أسيء فهمه وأريد به اللذة المادية والجسدية، انظر: يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص: ١٠١، وانظر: المورد، ص: ٣١٦

العمل السفلي :

● ومما حُدِّثت به من أحد المهندسين الذين لهم خبرة بالحياة ـ وهو فوق الخمسين من عمره ـ ما أسماه العمل السفلي، وهو «عمل» أو تحويطة يراد بها الكيد لأحد أو النكاية به، تطلبه المرأة . . لكن لتثبيت هذا العمل وتقويته وتأكيد فاعليته الشيطانية لا بد أن تقدم نفسها للقسيس أو المشعوذ أيًا كان، فيجامعها أولاً . . وهذا هو الركن الركين في العمل السفلي، ولم أسمع به إلا من هذا المهندس ـ والعهدة عليه ـ

الموالد : على هامش البدعة :

كثيراً ما يدفعني الفضول للنظر في سلوكيات الناس وممارساتهم عند الأضرحة، لأن المعاينة غير السماع . . ولقد أدخلني هذا الفضول ذات مرة ضريح السيد البدوي فكان من أغرب ما رأيت: موكب سمعت له جلبة وصياحًا وطبولاً ومزامير ودفوفًا وهرجًا عظيمًا تتخلله أصوات النساء والزغاريد، **وإذا بكوكبة عظيمة من المحتفلين ملتمسي البركة يدخلون إلى الضريح وسط هذا المهرجان العظيم، يطوفون حوله سبعًا بهيئتهم وضجيجهم ومكائهم وتصديتهم . . وأنا غارق في ذهول الذي لا يتخيل أن يحصل شيء من طقوس الجاهلية، ولو عند «البدوي»** .

لكن ذاكرتي بعد ذلك عادت القهقري لتذكر سرادقات الثقافة الجماهيرية والراقصات **اللواتي يقدمن «الثقافة» في أجلى معانيها** وأبهى صورها حول الحسين ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ وحول السيدة زينب ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ وحول غيرهما من الموتى الصالحين الذين سيبرأون يوم القيامة من أفعال أهل الهوى والابتداع .

وترددت في عقلي أصداء كلام سمعته عن **غُرَز الكيف**، وأشكال الانحراف الخلقي التي تحدث نتيجة الاختلاط الشديد والتزاحم الزائد الذي يربو أحيانًا في الساحات المفتوحة حول مشاهير الأولياء على المليونين عدًا على ما يشاع .

وفهمت لماذا يحتضن اليساريون والعلمانيون أمثال هذه الموالد التي يدور فيها من المناكير العقيدية، والخلقية، والاجتماعية ما يحير الحليم. بينما ينكـرون على رافضي المـوالـد وتعظيمها، رغم أن في دعوتهم تطهيراً للنفوس والعقول والقلوب ؟

ولقد أشار الدكتور **محمد الجوهري**[١٩] إلى ما أسماه الجانب الترويحي والفني والاقتصادي للموالد، منكرًا ولافتًا النظر إلى بعض الأنشطة الانحرافية التي تقع فيها فيقول .

كان في الموالد ـ في الماضي ـ ركن أساسي لممارسة البغاء (!!؟) ـ بجانب صاحب الليلة ووسط فيوض البركات المزعومة ـ أيام كان هذا النشاط مباحًا ومقننًا .

ويـرى الدكتور الجوهري أن إلغاء البغاء رسميًا لم يؤد إلى إلغاء هذا النشاط المنحرف كليةً، ولكن يظل موجودًا بطريقة مستترة، علاوة على طائفة واسعة من الانحرافات الجنسية ذات الطابع غير التجاري، أي تلك التي لا تمارس مع بغايا محترفات، ولا تتم بسبب الأجر الذي يدفع للمرأة . .

يعني . . للهواة والهاويات . .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

قارنوا بين هذا الكلام للدكتور **الجوهري** الذي يسوقه في أيامنا هذه وبين الوصف الذي قدمه **الجبرتي في تاريخه**[٢٠] ، وأتحدى أن يكون ثمّ فارق، ولو طفيفًا .

يصف الجبرتي مولد العفيفي فيقول:

---

١٩ ـ علم الفلكلور ، ج : ٢، ص : ١٠٢

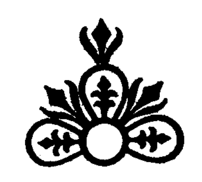
٢٠ ـ ج : ١، ص : ٢٢٥ ، ط ١٣٢٢هـ، نقلا عن الهلال، ص : ٢١ وهذه هي الصوفية، ص : ١٦٠

ينصبون خيامًا كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس، وخـواصهم وعـوامهم، وفـلاحي الأرياف، وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا والقـرّادين والحـواة، فيـطؤون القبور، ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارًا.

ويجتمع الفقهاء والعلماء، ويقتدى بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولو لم يكن ذلك لأنكره العلماء فضلاً عن كونهم يفعلونه، فالله يتولى هدانا أجمعين .. أ. هـ

هل تغيرت الصورة كثيراً؟ وهل اختلف الحال؟ لا والذي نفسي بيده، فلا تزال سرادقات الثقافة الجماهيرية، والراقصات، والأراجوزات، ولاعبو الثلاث ورقات عزيزة الجناب رحبة الرحاب، ولا تزال غرز الحشيش والطرب الذي يستمر حتى الصباح في **«الرحاب المباركة»** تموج بالحركة والنشاط تحت سمع وبصر كثير من العلماء، بل وبمباركتهم وتأييدهم ..

وإنا لله وإنا إليه راجعون.



وإذا كان العامة ـ أو بعضهم ـ يتورطون في المخالفات التي تموج بها الموالد، فإن أرباب الموالد من أدعياء الكرامات لهم شأن آخر مع المرأة والجنس، قَمِنٌ بنا أن نقف أمامه، فإنه داخل في السياق الذي نحن بصدده.

ورغم دعاوى الزهد والتجرد فإن الأنثى عندهم عقدة، والوقاع في أعرافهم عبادة وقربة.

أذكر أنني وأنا في نحو الثانية عشرة حضرت بعض «حضراتهم» وحفظت بعض أناشيدهم، فوجدت كثيراً منها يذكر ليلى وسعاد وغيرهما . . فلما **سألت عن ليلى وسعاد اللتين تسبيان العقل** قيل لي

إنهما . . **الذات الآلهية !!** سبحانك هذا بهتان عظيم .

ويا فرحة جمعيات تحرير المرأة ونهضتها !!

لقد نالوا مآربهم على أتم ما يكون من الجاهلين المحرفين المخرفين . .

إن الرب يتجلى عندهم ـ عز وجل ـ أكمل ما يتجلى في صورة المرأة . .

إذ الرب عندهم ـ كما يقول الشيخ **عبد الرحمن الوكيل** رحمه الله ـ أنثى عاشقة ملهوفة تتقتل بفتون أنوثتها لحيوان يراودها عن نفسها . . واسمع قول **ابن الفارض**:

ففي النشأة الأولى تراءت لآدمٍ . بمظهر حوّا قبل حكم النبوة

وتظهر للعشاق في كل مظهرٍ من اللبس في أشكال حسنٍ بديعة

ففي مرةٍ لبنى، وأخرى بثينة وآونة تدعى بعزةَ . . عَزّتِ

فما حواء عندهم إلا الحقيقة الإلهية، وما أولئك العشاق تهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشق إلا رب الصوفية تجسد في صور غوانٍ مدلهات، وهي كذلك عند عدد ممن أحبوا الشهوات الجسدية من شيوخ الحلول والاتحاد **كعلي وحيش وابن الفارض وكابن عربي**، الذي كان يرى أن حضور إلهه في المرأة أتم وأكمل لأنه يشاهده من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة .

وتسائل بعضهم عن هذا السقوط المريع، فيزمون الشفاه تهكمًا من حماقة جهلك، متهمين إياك بالسطحية والظاهرية والقشرية، وعدم فهمك لأخلاق الخواص وخواص الخواص، ويرمقونك بالنظر الشزر، وكأنما يقولون لك: مسكين. لا يزال يجهل أن «ربهم» أنثى جميلة، ضلّيل، لم يهتد إلى أن الغانية اللعوب الهلوك هي الأفق الأعظم لتجليات الربوبية والإلهية، وإلى أن جسدها المنهوم الجائع إلى الآثام جسد «ربهم» الأعظم، وأنها هي هو جسدًا فاتنًا، ورذيلة سوداء.

ولعل هذا الظن هو ما جرّأ بعضهم على سلوكيات معيبة شائنة يمارسها مدعيًا أنها **تجليات** لا يعقلها إلا الخواص الذين انكشف عنهم الغطاء.

فيروي **الشعراني في الطبقات** ـ ج: ٢، ص: ١٢٩، أن الشيخ **إبراهيم العريان** كان يطلع المنبر ويخطبهم عريانًا، فيقول: السلطان، ودمياط، وباب اللوق، بين الصورين وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس من جراء ذلك بسط عظيم.

وهذا الذي جعل **الدباغ** يأفك ـ في ظل الولاية المزعومة ـ أن غير الولي إذا انكشف عورته نفرت منه الملائكة الكرام، والمراد بالعورة: العورة الحسية، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه.

وأما الولي فإنها ـ أي الملائكة ـ لا تنفر منه إذا وقع له ذلك، لأنه إنما يفعله لغرض صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه!![٢١]

ويقول الشعراني عن **أبي خودة**: (وكان إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه، وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس)[٢٢].

---

٢١ ـ الإبريز للدباغ، ج: ٢، ص: ٤٣، ط ١٢٩٢هـ.

٢٢ ـ ص: ١٣٢/١٢٢، ج: ٢ الطبقات للشعراني.

وينسبون إلى علي وحيش أنه كان كلما رأى رجلاً يركب حمارة أنزله من فوقها وأمره أن يمسك رأسها حتى يفعل فيها الفاحشة، ويزعمون أن من أبى تسمر مكانه لا يستطيع حراكًا ـ ببركة الشيخ ـ أو هكذا خيل إليه من فرط اعتقاده فيه، وإن استجاب لطلبه أدركه الحياء من سوء ما يفعل هذا الوحيش[٢٣].

ويروي الشعراني أن افتض امرأته بأمر شيخه في القبة تجاه وجه السيد البدوي، وأن البدوي جاءه وأخذه ومكنه من إزالة بكارتها داخل ضريحه، وفوق ركن القبة التي على يسار الداخل !![٢٤].

وأعتقد أن بعض الشيوخ ذوي الكرامات إذا استباحوا هذا الفهم الدنيء فلا يستبعد أن يكون هذا داءً عامًا في الخرافيين أصحاب الأكاذيب والاستدراجات العقيم[٢٥].

التعري للدعاء:

● ومن المنظومات ذات الطابع الجسدي الملاحظ في أوساط العامة أن إحداهن إذا أرادت تغليط أيمانها وتأكيد حجتها، وإذا أحبت أن تدعو على أحد دعاءً لا يرد، لإحساسها بأنها مظلومة، فإنها تحسر رأسها، وتكشف عن صدرها أو أحد ثدييها، ثم تدعو بلوعة وحرقة، طالبةً ما تريد: من كشف براءة، أو إنزال عقوبةٍ على ظالمها. وقد يكون هذا التعري في محضر رجال غرباء، أو رجال ممن يجعلهم العرف الساقط تعتبرهم «زي إخواتها» لكونهم جيرانًا أو أقارب من أطراف العائلة !!

ويشبه هذا أن بعض «المدروشات» إذا أردن أن يقبل دعاؤهن، وتخترق أمانيهن الحجب، قامت إحداهن في جوف الليل، وتجردت من كل ثيابها، ثم طفقت تدعو، ظانة أن في تجردها زيادة قربة، وشفيعًا للقبول . .

---

٢٣ ـ انظر : د. السيد رزق الطويل: الطرق الصوفية في مصر، الهلال، مايو ١٩٩٢/ ص: ٢٠

٢٤ ـ هكذا تكلم الإمام الشعراني: مصطفى نبيل ، المرجع السابق، ص: ٤١

٢٥ ـ للاستزادة والتعمق اقرأ الكتاب القيم : هذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمن الوكيل، واقرأ كذلك : الصوفية معتقدًا ومسلكًا للدكتور صابر طعيمة .

ويا لعن الله إبليس الذي يأبى إلا أن يعبث بعقائد بعض الناس بعد أن عبث بقلوبهم ومروءتهم وحيائهم .

ويا لعظمة النبي ﷺ الذي نهى عن أن يكشف المسلم العورة في كل أحيانه، وأحاط بالأمر من جميع وجوهه حين قال :

[احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك]

فسئل : فإن كان القوم بعضهم في بعض ؟

فقال : [إن استطعت ألا يرينها أحد فلا يرينها]

فسئل : فإن كان أحدنا خاليًا ؟

فقال : [فالله ـ تعالى ـ أحق أن يستحيا منه](٢٦) .

فالله تعالى أحق أن يستحيا منه . . هذا هو هدى الرحمن، وذلك نزغ اللعين الشيطان .

الزّار .. الموطّئ للرذيلة !

ومن الممارسات الجسدية التي تمزج بين طاعة الجسد وطاعة الجن : **الزار** .

ونحن نميل لاعتباره طقسًا جنسيًا وجنيًا وجسديًا لكونه مزيجًا من هذه الثلاثة مجتمعة، **فالتركيز فيه على الملابس والألوان والرقص يكشف بوضوح عن بعده الجنسي، واستخدامه ستارًا لممارسات محرمة يؤكد هذا**، فضلاً عن أن كثيرين ممن ينظرون إليه من ناحية نفسية يعتبرونه تنفيسًا بدنيًا عن كبتٍ أو معاناة جنسية بدنية تتفجر بحرية من خلال الرقص العنيف الصاخب والحركات المبالغ فيها .

ولست بدعًا في ذلك فهناك «من الدارسين من يؤكد أنه ذو دلالة جنسية، ويذهبون في ذلك مذهبًا بعيدًا»(٢٧) .

---

٢٦ ـ أخرجه أصحاب السنن ـ إلا النسائي، وعلقه البخاري في صحيحه، وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه الألباني في آداب الزفاف ، ص : ١٨

٢٧ ـ أحمد رشدي صالح : ص : ١٧٥



وهو على كل حال ـ أدل الطقوس الاعتقادية على بدائية الفن الشعبي ، فهو مجرد رقصات همجية تذكرنا بما نقرؤه عن رقصات الجماعات البدائية المتأخرة استدرارًا للخير أو دفعًا للحيوان الباطش أو الظلام المخيف

ولتتأكد من الروح الشركية عالية النبرة الموجودة بطقس الزار اقرأ هذه الصيغة الشركية :

---

٢٨ ـ المرجع السابق

يا بنـت مامـا يا أم غلام
يامّ الـغـلام والـعـفـو منّـك
يامّ الـغـلام واشـفـي عيّـانـك
يام الـغـلام والـطبـل طبـلك
يام الـغـلام والـدبـح دبحـك
يام الـغـلام والـكـل عنـدك
يام الـغـلام والـليـلة ليلتـك[٢٨]

وقـد اعتبره المصلحون الاجتماعيون من الأمراض الخطيرة التي تقوض دعائم المجتمع، ونُشرت مقالات وكتب عن مضار الزار، وكانت النظرة الإصلاحية في ذلك الوقت ترى أن أضرار الزار تكمن في أمرين :

أولهما : **السفه في إنفاق المال** بغير طائل إرضاءً لطائفة من صاحبات الدجل والشعوذة .

وثانيهما : ما لوحظ في بعض الأحوال من **استخدام حفلات الزار بطريقة سرية لأعمال منافية للآداب**، حتى إن بعض هذه الحفلات كانت تقام فقط من أجل التهتك والعربدة[٢٩] .

وسبب ثالث أهم من هذين لم يذكره «المصلحون الاجتماعيون» !!
وهـو السبب الـديني العقيدي، الذي يقضي بوضوح وحسم على كل مظهـر من مظاهر عبادة الجن أو الدينونة لغير الله تعالى، واعتقاد أن مخلوقاً ما يتصرف في أقدار الناس وعقولهم وقلوبهم .

وقد دخل طقس الزار إلى كل بلاد المسلمين بلا استثناء ـ فيما وجدت ـ حتى إنه دخل الجزيرة العربية واستقر بها، فهو منتشر في مصر والسودان والمغرب العربي والعراق والخليج والسعودية ، فضلاً عن وجوده في الحبشة ـ التي تعد مهده الأول ـ وبين زنوج أفريقيا، بل وفي أوروبا، مع فروق بين كل بلد . . يقول **فهد الطياش**[٣٠] .

٢٩ ـ الفنون الشعبية ، ع ١٧ يونية ١٩٧١م
٣٠ ـ المأثورات الشعبية، يناير ١٩٨٧م

إن ارتبـاط أغـاني السامري برفقة الزار حديث عهد بالجزيرة العربية بعد انتشار الجهل وسنوات الظلام. كما أن مفهوم الزار غريب ومنافٍ لروح العقيدة. وفكرة أن الأرواح المؤمنة أو الجن المؤمنين يسيطرون على أفراد من الإنس شبيهة بما يعتقده الزنوج النصارى من المعمدانيين Paptist خاصة خلال طقوس الكنيسة.

ومن خلال ملاحظتي - يقول **فهد الطياش** - لما يقدم من تلك الطقوس الدينية خاصة في منـطقة ديترويت - **نرى أن هؤلاء الناس يقومون بمثل ما يقوم به راقص الزار في الجزيرة العـربية** (!!) ولكن الاختلاف في مصدر الإثارة والنشوة، **ففي** الطقوس الكنسية نرى أن مصدر الإثارة هو الإلقاء الدرامي أو غناء الكورال الذين يؤدون التراتيل. أما في رقصة الزار فنرى أن مصدر الإثارة هو موسيقى السامري وغناؤه.

الأداء يبدأ في الكنيسة عادة بترتيل بسيط، ومن ثم يتصاعد في الحدة والإثارة إلى حد درامي يثير لدى الشخص النشوة، والإحساس بأن قدرة علوية تسيطر عليه، بينما نرى في رقصة الزار أن الحافظ يردد قصيدة معينة، يرددها خلفه المغنون، وفي كلتا الحالتين فإن مؤثرًا حسيًا يؤثر في أشخاص بأعيانهم. وتختلف التفسيرات: **ففي الكنيسة يقال إن سبب الإثارة هو سيطرة روح القدس على الشخص، بينما في الزار يقال إن الجني سيطر عليه**.



وأما عن الزار كطقوس وممارسات فتقول **دائرة المعارف الإسلامية** إن كلمة زار مشتقة من جار Djar كبير آلهة الكوشيين الذي يتغير اسمه لدى بعض الطوائف إلى يارو Yaro أو دارو Daro ، وظهر منه في إطار المسيحية الحبشية اسم روح شريرة هو زار Zar الذي استعاره المسيحيون الأحباش من بعض القبائل الوثنية[٣١]

وينقسم الأسياد في الزار إلى مجموعات مختلفة منها

- **المجموعة الإقليمية** . وتضم الأرواح السودانية والحبشية ، والصعيدية ، والعربية والمغربية
- **مجموعة الأرواح الطبيعية** : وتضم سلطان الجن الأحمر ، وسلطان البحر ، والست سفينة ، والجبلاوي .
- **المجموعة القبطية** : وتضم عليًّا ، والحسين ، وفاطمة ، ونفيسة ، وسكينة ، وأبا بكر - رضي الله عنهم - كما تضم مشاهير الأولياء كالبدوي ، والدسوقي ، والرفاعي ، والبيومي ، والقطب المتولي ، وأبي العلا ، والشافعي ، والليثي
- **الطوائف المهنية** : ومنهم الياوري بك ، وسلطان اللواء ، والعسكري ، والضابط ، والحكيمباشا .
- **ومجموعة مستقلة** : لا تندرج تحت التقسيمات السابقة ، ومنها سلطان روم نجدي ، وسلطان رينا ، والولّاج ، وسلطان مامه[٣٢] .

---

٣١ - د محمد الجوهري ، ص ٦ ، وأقر المعجم الوسيط أنها كلمة أمهرية الأصل تعني الحفلة الراقصة التي تقام لطرد الأرواح الخبيثة التي تمس أجسام بعض الناس في زعمهم ، الوسيط ، ج : ١ - ٤٠٦

٣٢ - الجوهري ، ص ٤٢٨

ولكل سيد من الأسياد جنس وجنسية وأغانٍ ملائمة وملابس خاصة تلبس له عند اللزوم، فإذا كان عربيًا لبست المرأة في الزار لبسًا عربيًا، ورقصت رقصة عربية، وغنت لها جوقة الزار غناءً بلهجة عربية، وإذا حضر الشيخ - الجني - على لسان الست تكلم بلهجة عربية، ونظير ذلك إذا كان مغربيًا أو سودانيًا أو حبشيًا !!

وتسمى **شيخة الزار «الكدية»** - وكلمة **كدية** عربية فصيحة معناها التسول، وأهل الكدية طائفة كانوا يستجدون ويحتالون في ذلك، وعندهم دهاء في ابتزاز الأموال.

ومثلهم موجود في الآداب الأوربية Savage ، ولا يبعد أن يكون فريق منهم امتهن إقامة حفلات الزار منذ أمدٍ بعيد فصارت رئيسة الزار تسمى **الكدية**[٣٣] .

تقوم الكدية بوضع كرسيّ في وسط المجلس، تجلس عليه صاحبة المنزل التي نصب لها الزار، وتحضر فرختين وديكًا، وتربط أرجلها، ثم تضع الديك على رأسها، والفرختين على أكتافها، ثم تتلو نصوصًا معهودة، وتنشد أناشيد بينما الحاضرات يقلن : **دستور يا سيادي، مدد يا أهل الله يا سيادي**، وتوقع الكدية ومن معها على الدفوف بنغمات مختلفة متسارعة[٣٤] .

ولقد أشار بعض الدارسين إلى ارتباط طقوس الزار بالألوان، خاصة في الملابس التي تختلف باختلاف ملوك الجان الذين يراد استرضاؤهم، كما أشاروا إلى أن الاعتقاد بالألوان مرتبط بالاعتقادات الشعبية في الكواكب وتأثيرها على حياة الإنسان وطبائعه، مثل الاعتقاد في المريخ وأن ألوانه في الثياب هي الأحمر والأصفر، أما الزهرة فألوانه التي تكون في الثياب هي الأخضر والأبيض، ويمتد هذا الاعتقاد فيشمل الأيام الخاصة بهذه الكواكب مما يمكن رده إلى العبادات البابلية والكلدانية القديمة . فيوم الثلاثاء هو يوم المريخ بينما يوم الجمعة هو يوم الزهرة، وكلمة Friday في الإنجليزية جاءت عن طريق الشعوب الشمالية وتعني يوم الإلهة Frig زوجة أدون كبير آلهة الإغريق والسبت يوم زحل Saturday - والأحد يوم الشمس Sunday والاثنين يوم القمر Monday . . . إلخ .

---

٣٣ - فنون الأدب الشعبي ، ص ١٣٩

٣٤ - أحمد أمين، ص ٤٦، ٢١٧

ويتم في الزار طقس اخر هو تبادل الملابس لإعطاء تأثير سحري، فخين يتبادل الرجال ملابس النساء والعكس فإنهم يقصدون بذلك مخادعة الروح الشريرة، كما أن تبادل الملابس يستخدم أيضًا لمقاومه السحر ورده[٣٥]

ومن طلبات الكودية يسخر بيرم التونسي في زجل له، فيقول متحدثًا عن امرأة تبتغي السمنة وقد أظهر الأثر «الأطر» المطلوب منها :

طلع لها جوزْ تيـوسْ من غير أشـارة سود
وعجــل أبيضْ يكـونْ تحت السـما مولـود
وسـتَ وزّات وفـرخــة عرْقهــا مفــرود
وديك عشاري عريض السِّدْر والمنقار[٣٦]

وفي النهاية أقول . إن هذا الطقس ليس نادرًا بل هو منتشر انتشارًا واسعًـا، وقد بدأت جلسات الزار تغلّب في أشرطة كاسيت، وتوزع لتستخدمها النسوة على نطاق واسع كما لاحظت في البيئات الريفية المصرية.

وقد وجد الدكتور عبد الرحمن عيسوى في استبانته التي أشرنا إليها من قبل أن ٢٠٪ من العينة المصرية التي لاحظها كانت تؤمن بأثر الزار في علاج الأمراض المستعصية في حين كان ١٥٪ من العينة اللبنانية مؤمنا بذلك[٣٧].

وقد درس كثير من المستشرقين منذ قرين أو يزيد هذا الطقس فيما درسوه من عوائد شعوبنا لتكون دراساتهم وسيلة فتاكة للانتشار بيننا كالسوس. وممن درسوا الزار إدوارد لين وكريس وسيمون مسنج وجون كندي وهاري فاخوري وغيرهم . . فتأمل .

---

٣٥ - العنتيل . بين الفلكلور والثقافة الشعبية، ص ٣٤٢، ٣٤٦
٣٦ - الفنون الشعبية، ع/١٢-١٩٧٠
٣٧ - ص ٢٣٥

ومن الطقوس الداخلة في موضوعنا والتي تمارس في الجزائر ما يسمى **بالوعدة وبالنشرة**، وتشبهان ـ إلى حد كبير ـ الزار في مصر، أو ربما كانتا الزار المصري لكن على الطريقة الجزائرية، **ففيهما الرقص والثياب المميزة والغيبوبة الانتشائية بالموسيقى والارتباط بالجن**، لكن ربما افترقتا عن الزار بطول مدة الممارسة التي قد تستمر أسبوعًا، وببعض الملامح المحلية في الجن والأولياء.

ويفصل لنا **نور الدين طوالبي**[٣٨]، ص: **١٢٢** وما بعدها ـ طقوس **النشرة والوعدة فيقول:**

●● النشرة :

تنحصر وظيفتها في كونها طبية سحرية لشفاء الأمراض والعقم والعجز الجنسي والعين الشريرة وإبطال الرقى السحرية، ويكفي فيها ـ في اليوم الأول ـ ديك أو دجاجة لإتمام الفعل السحري .

وتبدأ بترديد مدائح للنبي ﷺ لإضفاء المشروعية الدينية عليها، ثم تتلى عزائم سحرية للجن، ولعل النسوة اللاتي يؤدين النشرة يشعرن بصورة غامضة بما يعتريهن وطقوسهن من وثنية، وبما هو مناقض للمفاهيم الدينية الصحيحة، لذا تراهن يلجأن للتمسح بالمدائح النبوية .

ثم تقوم النسوة بزيارة **لنبع الماء** الموجود في ضواحي مدينة الخراب حيث يأخذن حمامًا جماعيًا، **ويضئن الشموع قبل ذبح بعض الديكة السوداء تقديسًا للمكان !!**

---

٣٨ ـ الدين والطقوس والمتغيرات ـ منشورات عويدات ـ ١٩٨٨، وقد تصرفنا في اللغة شيئًا كثيرًا لأن الرجل ـ والمترجم أيضًا ـ أعجمي ويصدر عن فكر لا نراه سويًا، ونحن نستشهد به في مقام الوصف والرصد فقط، أما منهجه ولغته فهما هالكان في زعمنا، ولعل الله تعالى يوفقنا لدراسة وتفنيد منهجه في كتابيه عن الدين والطقوس والمتغيرات وإشكالية المقدس .

وفي اليوم التالي تقام حفلة موسيقية على قرع الطبول لمساعدة الجن على التجسد.
وفي اليوم الثالث يقوم النسوة بتزجية أدعية وتوسلات واستعطافات للأسياد من الجن.
وبعد الراحة في اليوم الرابع تبدأ اللمسة الجسدية في النشرة حيث تؤدي النساء رقصات جماعية مع ابتهالات وعزائم سحرية وتوسلات للجن، ويتم الانخراط في عملية الانتفاض والتلبس.
وفي اليوم السادس يتم تكريم «البنوتات» وهم من الجنّة المغرورين «ذوي الكيف» إذ يطلبون من مؤديات النشرة تعزيمات خاصة وزينة باذخة وثياب مبهرجة ورقص من عناصر نسائية منتقاة بعناية لتميزها بالجمال والجاذبية.

●● الوعـدة

وأما الوعدة - وهي النذر في مصطلحنا نحن المشارقة، لكن للجن والأولياء - فهي حفلة نسائية غالبًا ما تستمر ثلاثة أيام، يشتمل الأول منها على التضحية بكبش للشيخ عبد القادر - أحد أكبر أولياء الجزائر العاصمة - التماسًا لشفاعته السامية، وهي تمهيد لتحقق الوعدة، وتملقٌ يراد منه حصول المرجو منها.
وفي اليوم الثاني ينحر ما بين ستة وعشرة كباش، يضحى بكبش واحد مقابل كل جني يرد ذكره في الاحتفال، ويتم ذلك على أصوات التام تام - وهي طبلة صغيرة شائعة الاستعمال عند قبائل أفريقيا - لإثارة تعطش الجن - الآلهة - التي يضحى بالخراف من أجلها.
وبعد الظهر يكون الديوان، حيث ستتم مشاهدة تجسد الأولياء أصحاب الضريح، تعقبه وليمة عامرة تقدم بناء على طلب الجن، ويعرف كل جني فَرَسَتَهُ - صاحبته - من لون البرنس الذي ترتديه، ولكل جني لون مميز، فالأزرق لبابا سيدي علي، والبنفسجي لبابا تاوا، أما بابا موسي - وهو سيد أولئك - فلا يطلب من المرأة - الفرسة - أي لون، فهو «بتاع كله».

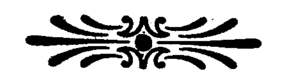
وفي اليوم الثاني أيضًا يكرس الاحتفال للجن التوانسة، وهم من **الجن الملحاحين ذوي النزوات المستعرة والرغائب الفائرة، ويحتاجون** - لكي يرضوا - **إلى الموسيقى والرقص النسائي العنيف**.

وأما اليوم الثالث - وهو ذروة احتفالات الوعدة - ففيه يكون **الجنُّ أكثر شهوانية، لذا ترقص فيه الشواب - والشواب فقط - لابسات ملابس مزينة تروق للأنظار**، وهذا - كما يقول طوالبي - **شكل من أشكال التعويض الجنسي والتنفيس المقبول اجتماعيًّا** .

وهؤلاء الجن أصحاب مهام مختلفة وتخصصات محددة، فمنهم من يهتم بأمر المطر، ومن يشفي من مرض عقلي، ومن يضمن السعادة في الزواج . . إلخ .

هذا وقد ذكر طوالبي أن ٥٥,٣٪ من النـاس يتـأثرون بالظواهر السحرية أمثال هذه الطقوس الخرافية الشركية .

ألم يأن أن نخرج من هذا المستنقع الوبيل والظلمة الحالكة لنستروح شيئًا من نسمات التوحيد ؟!



لو فكرنا في تأمل هذه الممارسات لوجدناها أبعد ما تكون عن التوحيد والإيمان بالله تعالى، بل لوجدنا ممارسيها يعبدون آلهة كثيرة كالجن، والأولياء، والشياطين، والجسد الآدمي، ومظاهر الطبيعة كالنجوم، وأحبار السوء الذين يزينون الشرك والخرافة . .

- **لقد صار البغاء في دينهم . . قربة**
- **والتمرغ في وحل الرذيلة . . عبادة**
- **والصفيق والتصفير . . صلاة**
- **والرقص والتكسر . . تضرعًا**
- **والاستغاثات والطقوس الوثنية والنذور المحرمة والغلو في الصالحين والطالحين . . طاعة، وسبيلاً ـ سرابيًّا ـ لاستدرار الرحمات والبركات . .**

والبلاء أن ذلك كله يتم في بلاد المسلمين في القرن الحادي والعشرين، في ظل ارتفاع نسبة حملة شهادات الدكتوراه في التخصصات الشرعية والعلمية التجريبية . .

وإنا لله وإنا إليه راجعون . .

فما موقف الإسلام من الزار والوعدة والنشرة وما شابهها، بوضوح وبينة ؟

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره : **[إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا]**.

لا يقبل إلا الطيب من المكاسب، والطيب من العبادات، والطيب من المعاملات، والطيب من العقائد، والطيب من كل شيء.

فكل عقيدة خبيثة تكون مردودة . .

وأي خبث أشد من عبادة الجسد، والتقرب بالتمرغ في الوحل

واي غباء وبلاهة أشد من الوقوع في يدي «كدية» دجالة تشترط ديكًا أحول، وكبشًا بثلاثة عيون، وكيسًا منتفخًا بالأصفر والأحمر، تحت زعم طرد الشيطان أو ترضية الأسياد .

﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة، وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ الأحقاف : ٥ ـ ٦

وقد قال الشيخ أحمد بن حجر فيمن يجتمعون للذكر والعبادة بالرقص والصفق **إن حالهم هو حال عباد العجل** كما صرح بذلك غير واحد من العلماء[٣٩] .

كما أفتى الشيخ **بحرمة الزار وطقوسه** [٤٠] فقال :

من أشنع القبائح وأرذل الوسائل الشركية حفلات الزار وما يزعمون من أن المريض به جني، فتدق الطبول ويحصل الاختلاط والرقص . . ليطلب الدجالون مطالب على المريض وأهله، من تقرب إلى الزار بالذبح، ومن أكلات وأموال .

وترى أكثر الفاعلين لهذه الأفعال عوامّ وعبيدًا طفقوا يلعبون بعقول السخفاء والجهال، **ولا يخفى ما يكون في حفلات الزار من المنكرات، وما يقع من الشرك بالله تعالى ومخالفة أوامره وارتكاب معاصيه بطاعة الشياطين وشرب الدم وكشف العورات والتقرب إلى الجن وما إلى ذلك .**

ويقول الشيخ **شلتوت** رحمه الله في الفتاوى، ص : ٢٧ ـ غرس المشعوذون الأوهام في النفوس، واستغلوا ضعاف الإيمان، ووضعوا في نفوسهم أن الجن يلبس جسم الإنسان، وأن لهم قدرة على استخدام الجن وعلى استخراجه، ومن ذلك كانت بدعة الزار وكانت حفلاته الساخرة المزرية

ووصف الشيخ **خالد الحاج**[٤١] الزار بأنه **من الشرك الملعون**، وبأنه عادة مذمومة وبدعة قديمة، وأنه عبادة لغير الله تعالى لأن المؤمنين به يقدمون فيه القرابين باسم الجان، وينحرون لهم الذبائح دفعًا لأذاهم، واستعانة بهم في دفع الأمراض .

---

٣٩ ـ تحذير المسلمين ، ص : ٢٢٤

٤٠ ـ السابق ، ص: ١٢٢

٤١ ـ مصرع الشرك والخرافة ، ص : ٢٣٣

وعاب على الذين يسمحون لأزواجهم أن يذهبن لشيخة الزار، ويختلطن بالرجال ويرقصن، بصورة منافية للآداب مجافية لخلق الإسلام .

ويرى الشيخ **أبو الوفا درويش**[٤٢] أن الزار عقيدة خاطئة، وبدعة ممقوتة، وعادة سيئة، وبلاء جره الجهل والغفلة والاستسلام للماكرات الخاتلات .

ويعتقد كثير من النساء أن الجن يستحوذ على أجسامهن فيحركها كما يشاء، ويرقصها كما يريد، وينطق على ألسنتهن، ويرميهن بالعلل والأوصاب إن فرطن في جنبه ثم يشفيهن إن أجبنه إلى ما يشتهي .

وهو - في نظرهن - متعدد الأنواع من رجال ونساء، وسادة وعبيد، وسيدات وإماء . وتنفث شيخة الزار سمومها بالإيحاء والاستهواء، فإن آنست من امرأة ضعفًا في الإرادة سلطت عليها أحابيلها، وظلت تردد على سمعها أنشودة الزار من حين إلى حين، حتى تعتقد أن الزار احتل جسمها، وملك روحها، فتعنو لهيبته وتخضع لسلطانه .

ومن العجيب أن هذا الزار لا يفشو إلا بين نساء المسلمين ولا يجد مطايا ذللًا يمتطيها إلا بينهن !![٤٣] .

وقاصمة الظهر أن هذا الداء الخبيث سرى بين فريق من الرجال فتراهم يجتمعون مع النساء في حفلة واحدة، ولا تسل عما يقع هنالك من الفساد . . أ. هـ .

وعن الاستعانة بالجن يشرح **الإمام ابن القيم** - رحمة الله عليه[٤٤] - قوله عز وجل :

---

٤٢ - صيحة الحق، ص : ٣٤٩

٤٣ - نخالف الشيخ وغيره ممن جرت على ألسنتهم هذه الدعوى، ففي الغرب مؤمنون بالجن والشيطان، ويمارسون طقوسًا أحط وأسخف من الزار العربي . وقد مر بنا قبل صفحات الكلام عن ذلك .

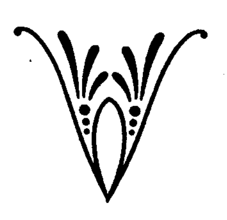
٤٤ - طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص : ٧٢٦

﴿ويوم يحشرهم جميعًا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض، وبلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا . .﴾ ـ الأنعام : ١٢٨ ، فيقول إن الاستمتاع هو ما كان بين الجن والإنس من طاعتهم إياهم في معصية الله ، وعبادتهم لهم من دون الله تعالى ، ليستعينوا بهم على شهواتهم وأغراضهم ، فإنهم كانوا يستوحونهم ويعوذون بهم وبـأسمائهم ، ويذبحون لهم ، ويوالونهم من دون الله ، كما هو شأن أكثر المشركين من أولياء الشيطان ، فهذا هو استمتاع بعضهم ببعض .

فهؤلاء عبّاد الجن وأولياء الشياطين ، وأكثرهم يعلم ذلك ويرضى به ، لما ينال به من المتعة بمعبوده ، وكثير منهم ملبّس عليه فهو يعبد الشيطان ولا يشعر ، وقد أشار **زيد بن عمرو بن نفيل** إلى هذا الشرك بالجن فقال :

حنانيك إن الجن كانت رجاءهم وأنت - إلهي - ربنا ورجاؤنا

ولهذا لما قالوا : **﴿ربنا استمتع بعضننا ببعض﴾** قال الله تعالى : **﴿النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾** فهذا خطاب للصنفين ، وهو صريح في اشتراكهم في العذاب . . نسأل الله السلامة والعافية .





الباب الثاني

طقوس عبادية مرفوضة

الفصل الأول :

- معبودات صغيرة تقدسها العامة
- بالله الحفيظ أم بالتحويطة ؟
- استقراء الغيب في عقائد العامة
- التفاؤل والتشاؤم عند العامة

الفصل الثاني :

- الوشم والشلخ في عقائد العامة
- كَهَيْعَصْ : تحريف وتعوذ
- القمر: بين الحوتة وعمر
- الاستمطار رقصًا
- تريدين أن يعيش ؟
- عقم وجاهلية

معبودات صغيرة

كائنات تقدسها العامة

حينما عرّف علماء العقيدة العبادة قالوا إنها: **اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده**. وحينما تحدثوا عن معنى توحيد الألوهية قالوا إنه: **إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ـ الظاهرة والباطنة، والأقوال والأعمال ـ ونفي العبادة عن كل ما سوى الله عز وجل كائناً من كان**[1].

ولما كان في أعمال الإنسان ما يدل على التعظيم المطلق كالدعاء والصلاة، والنذر والذبح، والتسبيح والتهليل، فإن المؤمن لا يصنعها إلا لله وحده، ولما كان الدعاء ـ وهو عبادة ـ هو طلب جلب النفع ودفع الضر فلا يوجه إلا لله وحده بلا واسطة[2] فلا يجوز أن نتوجه بدعاء ولا صلاة ولا ذبح ولا نذر ولا توكل ولا استغاثة ولا رغب ولا رهب ولا إنابة إلا لمن هو أهل لأن نألهه، ونجرد أنفسنا وقلوبنا عن عبادة ما سواه.

ولقد وجدنا العامة ـ فيما سبق ـ يعتقدون النفع والضر، ويتقربون بالذبح والنذر، وبالطواف والاستغاثة، بالمقبورين وبالجن. ولعلنا أشرنا إشارات عابرة أنهم قد يعتقدون النفع فيما هو أخس وأحقر ـ والليالي حبالى بالعجائب ـ

فماذا في الجعبة من معبودات صغيرة يتقرب إليها العامة ؟

---

١ ـ انظر: أعلام السنة المنشورة، ص: ١٨، ٣٥

٢ ـ تعريف عام بدين الإسلام ـ علي الطنطاوي، ص: ٦٣ وما بعدها.

يعظم العامة عددًا كبيرًا من الآبار اعتقادًا منهم أنها مباركة بذاتها أو مباركة بساكنيها من الجنة، أو من الصالحين ذوي الولاية الذين اختاروا لأنفسهم ينبوعًا يسكنون غياباته مبتعدين عن صخب الدنيا وأهلها وهذه الآبار موجودة ببقاع متعددة من بلاد المسلمين

ففي فلسطين آبار يسكنها أولياء مسلمون وأخرى يسكنها قديسون نصارى. **فهناك عين قينا** التي يسكنها الولي أبو العينين، **وعين البيرة** التي يسكنها الشيخ أحمد، **وبير الصحر** التي يسكنها الولي شعيب، **وبير أيوب** التي يسكنها النبي أيوب، **وبير سنجل** التي يسكنها الشيخ صالح.

ومن العيون التي يتبرك بها النصارى **بير عونة**، وكذا **عين كارم** اللتان تسكن بهما العذراء مريم - رضي الله عنها - **وعين كبريان** التي يسكنها القديس غبريانوس، ويُزعم لهذه الينابيع بركات وخوارق «ومعجزات».

ومن العيون ما يسكنها مخلوقات شريرة وأرواح مؤذية . . ومن عقائد الناس وعاداتهم التي يمارسونها عند هذه العيون:

- تقديم هدايا للأرواح الحارسة للمياه، من الشموع والزهور **لحمام ستنا مريم**، ومن المصابيح لغير هذا النبع.
- لا تقترب من النبع امرأة غير طاهرة.
- تؤدى صلوات وأدعية، ويحرق بخور عند بعض الينابيع كما هو الحال عند **نبع عين جفنا**.
- تمتزج مياه **حمام الشفا** - في اعتقادهم - بمياه بئر زمزم.
- يتلون ماء **بئر عونة** بسبب أن ستنا مريم تأتيها عادتها الشهرية به!!
- وكذا سيدة **عين السلطان** ذات صفة بشرية وتأتيها العادة.
- يتوقف ماء نبع في نابلس يوم الأحد، لأن روح الراهب الذي يسكنه يقيم قداسًا يومها[٣].

---

٣ - نمر سرحان، الينابيع المسكونة، التراث الشعبي، ع ١٩٧٣/٩م

وفي **الجزائر** نبع بمدينة الخراب تهوي إليه أفئدة النسوة اللاتي «ركبهن الجن» فهن يذهبن هنالك من أجل أخذ حمام جماعي، ثم يشعلن هنالك الشموع والسرج ويذبحن بعض الديكة «السود !!» تقربًا لأهل المكان وساكنيه من الجن ؟! - انظر كلامنا عن النشرة -

وفي **الأردن** هنالك **بئر يوسف** الصديق - عليه الصلاة والسلام - التي ألقاه فيها إخوته على بعد أربعة فراسخ من طبرية مما يلي دمشق، قال **الأصطخري** وغيره: لم تزل هذه البئر مزارًا للناس يتبركون بها ويشربون من مائها[4].

ومن تقديس الماء في **عادات أهل الأردن** أنه إذا بكى طفل يؤتى بقطعة ذهبية وقطعة نقد عثمانية وخرزة كبسة، توضع جميعًا في وعاء به ماء، ويغسل الطفل به مع ترديد: **لا عكسة ولا كبسة ولا باس، لكرامة الخضر أبو العباس** ثلاث مرات[5].

وفي **الشام** - في خميس البنات - ينطلق الناس إلى قلعة حمص حيث توجد بئر ذات فوهة واسعة **تجتمع النسوة حولها، وتلقين فيها الحجارة والحصى، وهن يضمرن الأمنيات، ويتمنين تحقق الأحلام وتحسن الأيام، فهذه تتمنى أن تنجب ولدًا، وتلك تدعو لتحسين مستقبل ولدها فتمسح رأسه بالحجر وتلقي به في غياهب البئر،** فإذا سمعت صدى الحجر تفاءلت خيرًا واطمأنت إلى مستقبل الوليد، وإن خبا الصوت ولم تسمع صداه تيقنت من شقاء أيامه هذا العام. وهذا الأمر لا يقتصر على النساء فقط، إذ يقال إن **الكبار والصغار والنساء والفتيات يشتركون جميعًا في رمي الحجارة يستطلعون حظوظهم آملين بحياة مزدهرة ومستقبل أخضر**[6].

وفي أوربا كثير مما يسمونه بئر الأماني يذهب إليه العشاق أو الصبية فيلقون به حجرًا ثم يتمنى كل منهم أمنية معتقدًا أنها ستتحقق !!

وبير **يوسف** - التي مر ذكرها قبل قليل - لا يستأثر بها أهل الأردن وحدها، فليسوا أولى من أهل بمصر بها، فعندنا بئر يسمى **بئر يوسف** تزعم العامة أنه هو الذي سجن فيه يوسف عليه السلام، **يتبرك الناس بمائه، وتنزل النساء به للحبل**.

---

٤ - عجائب المخلوقات، ص : ١٨٠

٥ - د. سليمان عبيدات، ص : ٢٣٧

٦ - الظواهر الدرامية في خميس المشايخ - هيثم يحيى خواجة، المأثورات الشعبية، أكتوبر ١٩٩٢م

ولعله منسوب إلى يوسف صلاح الدين الأيوبي لا إلى النبي يوسف عليه السلام[7]

وفي مصر أيضًا - سيناء - بئر يقال إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام ركض فيها برجله حينما كان مبتلًى فشفاه الله تعالى . وقد أفتت **اللجنة الدائمة** بعدم جواز التبرك بمائها لأنها بئر من الآبار، ولا يُعلم المحل الذي اغتسل فيه أيوب عليه الصلاة والسلام . **انظر فتاوي اللجنة** ص: ٦٦، ج: ٣.

وفي السودان يؤمن كثيرون بحوريات النيل، وهن بنات أخاذات ليس لجمالهن مثيل، حين يقعن في حب رجل يجهدن أنفسهن في إغرائه واجتذابه وإبقائه معهن إلى الأبد تمامًا كما جاء في الأوديسا وأساطير اليونان عن أوديسيوس وحوريات البحر الفاتنات اللاتي تعرضن له لإغوائه وإنزاله إلى الماء.

وترى **نساء الجزيرة والمديرية الشمالية** في حوريات النيل مخلوقات خيالية **تمنح النسوة القدرة على الإنجاب**. وهناك - حتى يومنا هذا - أماكن يتم فيها **غسل شعائري** ، **وتقديم قرابين للنيل** يتقرب بها إلى حوريات النيل، كما تقدم لهم النذور وهي **عادات وثنية لا تمت للإسلام بصلة** يؤدونها عن اقتناع كامل، وإيمان بأن حوريات النيل يمنحن العروس العاقر القدرة على الحبل والإنجاب، ويرعينها عند المخاض والولادة، ويستدررن اللبن في ثديي النفساء.

ونجد أن **نساء النوبة** - في منطقة وادي حلفا - يأخذن الطفل بعد مرور أربعين يومًا لولادته إلى النيل **لتباركه حوريات النيل**، ويقدمن أثناء ذلك - في زورق مضفور من البوص - الخلائف وما جمع من قمامة بيت النفساء وسبع فطائر أو تمرات في بعض الأحيان

وقد روى **كروفت** Crowfoot عادة مشابهة لهذه في منطقة السكوت بدنقلة، حيث يوضع بجانب ذلك كله فانوس زيتي في الزورق .

●

٧ - أحمد أمين : ٢٤٦

وفي قاموس تلك المنطقة تحمل الحوريات اسم ماريا، وهن جنيات يمثلن طهارة مريم العذراء ـ رضي الله عنها ـ الأمر الذي يعكس مفاهيم وأفكار منطقة دنقلة النصرانية

ويسجل بلا كمان Blachman أن فلاحي مصر العليا يحملون الضعيف من أطفالهم إلى النيل زمن الفيضان، ويدعون ملائكة البحر لتمنحهم العافية والقوة.

كما يسود اعتقاد في منطقة أسوان بأن حوريات النيل هن المسؤوليات عن كسوف القمر فيخرج الشباب إلى النيل فارعين على أدوات الطهي والصفيح متوهمين أنهم يُفزعون حوريات النيل حتى ينتهين عن خنق القمر.

ويعتقد بعضهم أن مسلمين من الجن يعيشون في قاع النهر، وأن لهم به حدائق نخل وفاكهة بديعة، ولهم مدن وقرى بها جوامع[8].

ومن أغرب المقدسات التي لها علاقة بالماء ما أخبرني به غير واحد من الدعاة البنغاليين الموحدين الذين نثق بهم[9] أن لديهم أسماكًا تعيش في برك تعرف في بلادها بأسماك «الغزالي» ضخمة الجسم، ولها زعانف ضخمة على جانبيها، ويعتقد العامة هنالك في قدرتها على حل معضلات المسائل ومعقدات المشاكل، فيأتيها النساء العقيمات راغبات مبتهلات أن ترزقهن الأسماك الغزالية ولدًا، وينزلن في الأحواض إلى الخاصرة التي تقفز فيها هذه الأسماك فإذا مست إحداها المرأة استبشرت وتأكدت أنها ستحبل

ويتردد الناس على هذه الأسماك المحفوظة في الأحواض أو الآبار ويقدمون لها الطعام ـ على ندرته ـ قربانًا ثم يرفعون أيديهم بالدعاء ضارعين.

لا إله إلا الله . وحده لا شريك له .



٨ ـ حكايات شعبية من وادي النيل الأوسط ـ د. سامية الأزهرية يان ـ ترجمها عن الألمانية النور عثمان أبكر، انظر المأثورات العدد ٢٨ / ١٩٩٢م

٩ ـ من الأخ محمد عبيد الله والأخ أبو جعفر وهما من خيرة من قابلت من هذا الشعب، ولا نزكي على الله أحدًا

وكما يسكن بعض الأولياء الآبار، فإن منهم من يسكن الأشجار التي تتحول بقدرة الشيطان إلى مزار تهفو إليه قلوب المأزومين والمتوسلين، وتتلهف إلى التمسح به نفوس أصحاب الحوائج ممن نسوا أن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد .

ولعلنا نعود بالذاكرة إلى الوراء قليلاً . . لنتذكر ما كانت تفعله العرب من تعظيم بعض الأشجار. فقد كان العرب يعبدون ذات أنواط ـ وهي شجرة عظيمة خضراء كان الناس في الجاهلية يأتونها كل سنة تعظيمًا فيعلقون عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها ـ وكانت هذه الشجرة مغروسة بالقرب من مكة، وكانت ببطن نخلة من مكة ثلاث سمرات بنى عليها العرب بيتًا للعزى، وأقيم لها غبغب ـ أي منحر ـ ينحرون فيه ضحاياهم[١٠] .

وعلى ذكر التعليق فإن العرب كانوا يعلقون القلائد والسيوف على الأصنام، وهذه عادة بقيت سائدة حتى يومنا هذا، إذ نرى أهل الديانات يتقربون من الأولياء ـ والقديسين ـ ومزاراتهم بتعليق قطع من المعادن عليها. يقول كعب بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ في ذلك :

ونسى اللات والعزى جميعًا ونسلبها القلائد والسيوفا[١١]

روى ابن سعد في الطبقات بسند صحيح عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فأوعدهم فيها وأمر بقطعها فقطعت[١٢] .

١٠ ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص : ٤٥١

١١ ـ أديان العرب قبل الإسلام، جرجس داود .

١٢ ـ التبرك المشروع والتبرك الممنوع ، ص : ٦٥

ولم تنقطع عادة تعظيم بعض الأشجار ولا التعليق عليها جلبًا للحظ والبركة .

ويؤيد هذا ما ذكره سعد الخادم ـ ص : ٣٠ ـ من أن هذه العادة استمرت في مصر على النحو الذي ورد ذكره عن عرب الجاهلية حتى أواخر القرن التاسع عشر ـ ولا يزال موجودًا حتى الآن في زعمي ـ وهذا ما كتبه أحد المؤلفين في هذا الشأن[١٣] من أنه قد ينسب الشعبيون الولاية إلى الحيوان والنبات :

ولعل عادة تعليق الثياب والقلائد والسيوف على ذات أنواط أو على الأصنام امتدت ـ بتزيين الشياطين عليهم لعائن الله ـ إلى أيامنا هذه حتى استحسن بعض العامة تعليق أجزاء من ثيابهم أو آثارهم على بوابة المتولي أو في المزارات أو على بعض الأشجار المقدسة ، رغم حسم الإسلام لمادة الشرك ، ورغم صراحة النص النبوي .

وكان للعرب ـ قبل الإسلام ـ العزى ، وهي ثلاث سمرات عليها بناء وأشجار بنخلة ـ بين مكة والطائف ـ كانت قريش تعظمها ، فلما بعث رسول الله ﷺ بقطعها فقطعها خالد رضي الله عنه كما ورد في حديث النسائي وابن مردويه .

وفي مطالع الإسلام ـ والناس حديثو عهد بجاهلية وكفر ـ مرّ المسلمون مع رسول الله ﷺ بذات أنواط ـ أو بسدرة ـ فقالوا : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، ظانين أن هذا أمر محبوب عند الله تعالى ، قاصدين التقرب بذلك ، ولم يكن لهم قصد مخالفة النبي ﷺ .

فقال عليه الصلاة والسلام : [الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى ـ ٧ : ١٣٨ ـ ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال إنّكم قوم تجهلون﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم . .] رواه الترمذي .

وقد فهم السلف الصالح النهي على وجهه الصحيح حتى تغير الناس لما طال عليهم الأمد . . وقست قلوبهم فأزلهم الشيطان وأغراهم بالباطل .

---

١٣ ـ عمر محمد في كتابه حاضر المصريين ، المقتطف ١٩٠٢م

وأهم النباتات التي يعتقدون ولايتها هي الأشجار الضخمة وأجذاع النخل، فإن هذه لو رأوها يقبلونها، مثل تلك الشجرة التي تدعي الشيخة خضرة، فإن الزائر يجدهم يتبركون بها ويقبلونها، فضلا عن ترك أثرهم عليها معلقًا بمسمار.

كما أن كل شجرة غليظة الساق يطلقون عليها سيدي الأربعين، وأغلب هذه الأشجار من الجميز، وكثيراً ما يقومون بعمل موالد لهذه الأشجار.

وفي مصر شجرة عتيقة في جهة المطرية يحج إليها الناس - مسلمين ونصارى - ويتبركون بها، ويدعون الدعوات، لاعتقادهم في استجابتها عندها.

ولعلها المسماة **شجرة العذراء** التي يعتقدون في بركتها. **كما يعتقدون في التأثير العظيم لبوابة** المتولي - أحد الأقطاب الذين يحكمون الدنيا في نظر العوام - **فترى مربوطًا على مساميرها فتل كثيرة أو شعور أو قطعة من منديل . . وهناك أيضًا شجرة الشراكسة**[14].

وفي البحيرة - **الدلنجات** - ولي اسمه **سيدي زومل** بجواره شجرة يعتقد العامة أن من يعلق عليها «أثرًا» منه يشفى من مرضه[15].

وفي مدينتنا بالغربية كانت هناك المراغة - ولعلها زالت الآن - ولقد ظلت إلى عهد قريب، وهي أرض منبسطة تحت شجرة جميز عتيقة على ما أذكر كانت من ترغب بالحبل تذهب ثَمَّ لتتمرغ في التراب ببدنها كله متدحرجة على جنبها مرة بعد مرة معتقدة بذلك أنها ستحبل!

ومن الأجزاء التي يعتقد العامة في بركتها، والتي نقلها المسلمون عن النصارى: **الخوص**، الذي كانوا يصنعون منه جدائل وأشكالاً مختلفة وصلبانًا تعلق على واجهات البيوت، كما يستفيد منه النوبيون في صنع قوارب أو سلالاً يضعون بها شموعًا يسيرونها في النيل استرضاءً للدجري - الجن الطيبين - من ساكني النيل.

---

١٤ - أحمد أمين : ٢٤٦ وما بعدها.

١٥ - السابق.

يتبرك العوام بأنواع كثيرة من الحجارة يزعمون لها القداسة، ويرون فيها أسرارًا روحية، وبركات علوية «**ذات سر باتع**».

ومنها **آثار الأقدام المنسوبة للنبي ﷺ**، والمبثوثة وهنالك في بلاد المسلمين، يتمسحون بها ويقبلونها ـ وقد شهدت هذا بنفسي غير مرة وأنا طفل ـ ويتنسمون منها روائح الحبيب ﷺ.

والغريب أن تقديس **الحجارة، وقطع الخزف والصيني، والأصداف، والزلط اللامع**، أمر واسع الانتشار وعالمي ـ عام **١٩٩٢** ـ حتى إن أصحاب الأفلام الأوروبية ينشرون هذه الفكرة في أعمالهم. فلا تستغرب ـ لو رأيت شيئًا من ذلك ـ أن تجد البطل أو البطلة أو غيرها يلتقط «زلطة» من الأرض أو صدفة من سيف البحر، ويقدمها لآخر زاعمًا أنها ستحفظه وتجلب له الحظ (!!).

كما يتبركون **بخيوط من الصوف أو البلاستيك ـ الأسود غالبًا ـ يلفها الشاب المستنير المتحضر، على رسغه زاعمًا أنها «حظّاظة»** أي جالبة للحظ الطيب والفأل الحسن، فضلاً عن **الأساور المعدنية المطلسمة، وقطع الرصاص المعلقة بالرقبة**. لكنني وجدت من الحجارة المقدسة أنواعًا مختلفة اعتقد الناس ـ ولا يزالون ـ في أثرها الإيجابي لجلب النفع أو دفع الضر.

ونبدأ باهتمام أهل الجاهلية بالحجارة :

● روى البخاري عن **أبي رجاء العطاردي** قال: **كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه، ألقيناه وأخذنا الآخر**، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به (!!).

وقال **الكلبي** كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًا، وجعل ثلاثًا أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه (!!)

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ في معنى الأزلام: هي حصًى بيض كانوا إذا أرادوا غدوًا أو رواحًا كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما،

فإنهما خرج عملوا به[١٦] (!!).

فجعل هؤلاء من الحجارة أربابًا يأتمرون بأمرها، ويخضعون لها، وتنحني جباههم وتخشع قلوبهم انكسارًا دونها، لأن عقولهم التافهة وشياطينهم الراصدة دفعتهم دفعًا إلى مثل هذا الظن - كما يحصل من كثيرين في عصرنا - وقد كان لأهل الجاهلية أنواع كثيرة من الحجارة والخرز التي ظنوا أنها تجلب أشكالاً كثيرة من النفع، وتدفع ضروبًا متعددة من الشر والبلاء، ومنها:

١ - **التولة**: شيء تتحبب به المرأة إلى زوجها، وقيل هي خرزة يسحر عليها.

٢ - **التميمة**: خرزة رقطاء تنظم في سير من الجلد يعقد في العنق. أو هي عوذة في أعناق الصبيان، أو من خرزات الأعراب ينفون بها عن أبنائهم النفس والعين، وفيها قال الشاعر يرثي أبناءه الذين لم ترد التمائم عنهم الموت:

سبقوا هواي وأعنقوا لهواهمُ ... فتُخرّموا: ولكل جنبٍ مصرعُ
وإذا المنيةُ أنشبت أظفارها ... ألفيتَ كل تميمة لا تنفع

٣ - **الخصمة**: وهي خرزة - للرجال - حمراء اللون، **يلبسونها للدخول على السلطان**، وعند الخصومة والمنازعة، وتجعل تحت فص الخاتم أو في زر القميص - إذا كانت صغيرة - أو في حمائل السيف، قال الشاعر

يعلّقُ غيري خصمةً في لقائهم ... وما لي عليكم خصمةٌ غير منطقي

وقد أبدلنا اللّهُ تعالى عن هذا «**الشرك المبين**» اللجوء إليه وحده - عز وجل - فمن هاب سلطانًا، أو خاف عدوًّا فإن النبي ﷺ ينصحه أن يقول: [**اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم**] أبو داود وابن السني بسند صحيح.

فأي الفريقين أحق بالأمن ؟

آللائذون بالخصمة لتحميهم من أعدائهم، أم العائذون بالله تعالى ربِّ كل شيء ومليكه ؟!.

٤ - **السلوة أو السلوانة**: خرزة بيضاء شفافة، إذا دفنت في الرمل ثم فحصت بانت سوداء، وفي زعمهم أن العاشق يُسقى بها فيسلو، قال **عروة بن حزام**:

---

١٦ - سعيد حوى: الرسول صلى الله عليه وسلم، ج: ٢، ص: ١٤٤

جَعَلْتُ لعراف اليمامة حكمَهُ   وعرافِ نجدٍ إن هما شفياني
فقالا: نعم تشفى من الداء كلّهِ   وقاما مع العُوّاد يبتدران
فما تركا من رقيةٍ يعرفانها   ولا سلوةٍ إلا وقد سقياني

وقال مجنون ليلى :

أحن إلى نجدٍ فيا ليت أنني   سُقيتُ على سلوانةٍ من هوى نجد
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا   على أن قربَ الدار خيرٌ من البعد

٥ ـ **الدردبيس** : خرزة حمراء داكنة تشف مثل العنبة الحمراء ـ وقيل إنها سوداء ـ تتحبب بها المرأة لزوجها .

٦ ـ **العقرة** : خرزة تشدها المرأة على خاصرتها فتمنع من الحمل .

٧ ـ **الغضار** : خرزة ـ أو قطع من الخزف الأخضر ـ تعلق على الإنسان لتقيه العين .

قال الشاعر :

ولا يغني توقّي المرء شيئًا   ولا عَقْدُ التميم ولا الغضار
إذا لاقي منيته فأمسى   يُساقُ به وقد حق الحدار

٨ ـ **القرزحلة** : من خرز الصبيان والضرائر، تعتقد المرأة أنها إذا علقتها مال إليها بعلها دون ضرتها، قال ابن الأعرابي :

لا تنفع القرزحلةُ العجائزا   إذا قطعن دونهَا المفاوزا

وهناك خرزات كثيرة اعتقد عرب الجاهلية في منفعتها لدفع الحسد أو تحبيب النساء إلى الرجال، ومنها **الخصلة والرومة والزرقة والصرفة والصدحة والعطفة والقبلة والكبدة والكحلة والهبرة والهصرة وغيرها**[١٧] .

ومن الحجارة التي اعتقد الناس في بركتها وأثرها فيما بعد عصر الجاهلية وبعد دخول

---

١٧ ـ فقرة الخرز هذه من مقالة لأحمد حمودي السامرائي بعنوان التأخيذ والخرز ـ التراث الشعبي، ع : ١٩٨١/٨ صفحة ٥٩ وما بعدها بتعليقات وشواهد ودفوعٍ مزيدة .

الخرافات والبدع ما ذكره صاحب **عجائب المخلوقات**[١٨] من حجارة، بجانب كلٍّ منها نفعه المزعوم وفائدته «المجربة» كما يقول أحيانًا، ومنها:

١ ـ **حجر البلور**: وزعموا أنه إذا علق على من يشتكي وجع الضرس يسكن في الحال.

٢ ـ **حجر الجزع**: قالوا إن النظر إليه يورث الهم، وإذا وضع بين قوم لا علم لهم به تقع بينهم عداوة شديدة. وإذا علق على المرأة سهّل ولادتها!

٣ ـ **حجر أصفر**: إن خرج محكّه أخضر فإنه إذا وضع على شيء من «الأعمال» كان جديرًا بأن يقع، وإن كان أحمر لقّن الجواب عن كل شيء يسأل عنه.

٤ ـ **حجر الباءة**: من شدّه على ظهر ثوَّر به شهوة الوقاع.

٥ ـ **حجر البحر**: إذا استصحبه إنسان يركب البحر أمن الغرق (؟!)

٦ ـ **حجر القمر**: إذا علق على شجرة أثمرت، وينفع من الصرع.

٧ ـ **حجر المطر**: إذا وضع في الماء تتغيم السماء وتمطر، وربما يقع البرد والثلج!!

٨ ـ **حجر رقوس**: إذا تختم به الإنسان زال عنه الهم والحزن.

٩ ـ **حجر سبج**: من لبس شيئًا منه يأمن العين.

١٠ ـ **حجر سنليس**: من استصحب منه شيئًا ـ ولو زنة قيراط أو أقل ـ لم يظفر به عدوه أبدًا ولا يغلبه!

١١ ـ **حجر فرسلوس**: إذا علقه إنسان لم يزل يتكلم بالحكمة ما دام عليه، ولا ينسى ذكر الله تعالى ليلاً ولا نهارًا، وينفع من عين السوء.

١٢ ـ **حجر مغناطيس**: إذا وضع في مكان بطل عنه السحر وهربت منه الشياطين.

١٣ ـ **حجر مراد**: تتبع الشياطين حامله، ويعلمونه بما يريد!!

١٤ ـ **حجر يشب**: من استصحبه لم يغلبه في الحرب أحد، ولا يحاجه أحد.

وهكذا.. صيدلية كاملة ووصفات «لكل شيء» **يزعم الكذبة أنه «مجربة» وأنها ناجعة** ـ وهي كلها ـ تلغي الأسباب، وتعلّق القلوب بالحجارة التي تلصق بها خصائص الألوهية، لأنها تُنزل المطر، وتُنطق بالحكمة، وتدفع الشر والحسد، وتجلب النصر والغلبة، وتلقّن الحجة،

---

١٨ ـ ص: ١٨٧ وما بعدها

وتزيل الهم والغم، وتشفي من الأمراض .

إذًا : فلماذا التوحيد؟ ولماذا اللجوء لله رب العالمين ؟ إذا كانت الحجارة تفعل هذا كله ؟

وقد يقال إن هذه الحجارة «كانت» تعظم أما الآن فلا، فأقول إن كثيرًا منها لا يزال معظمًا حتى يومنا هذا، ولا يزال كثير من العوام يشدونه على ظهورهم وخصورهم مستدفعين به ما يريدون دفعه، مستجلبين به ما يريد لهم إبليس عليه لعائن الله ،

فلا يزال **الملح والشبّة والأصداف والقطع المالية المعدنية** وغيرها يتعلق ، ومن الخرز والأحجار التي استعملت في عهود مختلفة ولا يزال بعضها يستعمل إلى اليوم :

- **البهرمان** ـ من الياقوت ـ ويزعمون أن التختم به يمنع الطاعون، ومن يتختم به يبق معظمًا في عيون الناس .
- **الكبسة** : خرزة مدورة رمادية اللون تغتسل بمائها العاقر لتحبل .
- **الجزع** : حجر يؤرث العداوة، وقيل ييسر الولادة، وقيل يكثر الهموم . . إلخ .

- **الدرة** : خرزة تحملها المرأة لتدر لطفلها اللبن .
- **السليماني** : أحجار مختلفة لدفع العين والشر، ولجلب الحب .
- **السلطاني** : لاجتذاب الرجال إلى النساء، وإلقاء المحبة في قلوبهم .
- **العقيق** : يورث الحلم والوقار، ويسكن الحدة عند الخصومة .
- **حجر المطر** : يوضع في الماء فتمطر !!
- **حجر مراد** : الجن تتبع حامله وتعمل له ما يريد .
- **الذبابية** : تكون من الزمرد، وتستخدم لدفع الصرع[19] .

---

١٩ ـ التراث الشعبي ، عدد ٨/١٩٨١ مرجع سابق .

ومما تعظمه العامة دون أن يلحظوا السقطات الشركية والمنزلقات المهلكة الكامنه خلف تعظيمه : الأسنان، سواء كانت أسنان بشر أحياء، أو موتى، أو كانت أسنانًا لحيوان

وليس هذا جديدًا، وليس عربيًّا فقط، بل إن شعوبًا كثيرة تشارك العوام في ذلك
وقد كانت العرب تعلق سن عظم الحيوان على الطفل أو الصبي إشفاقًا عليه من الجن [٢٠].
كما كان من عادات العرب قبل الإسلام ـ أن الصبي إذا سقطت سنه يحذفها في عين الشمس ويقول: أبدليني بها خيرًا منها، ولتجر في ظلماتها إياتك. يقول الشاعر

شادنٌ يجلو إذا ما ابتسمت عن أقاحٍ كأقاحي الرمل عر
بدّلته الشمس عن منبته بردًا أبيض مصقول الأشر

وقال آخر :

بذي أشرٍ عذب المذاق تفرّدت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا [٢١]

ومما تعتقده العامة أيضًا: أثر الأسنان الناتج عن تعليق سن الذئب على صدر الصبي دفعا للعين ـ وذلك في العراق[٢٢]ـ كما يعتقدون أيضا أن أول سنّ يسقط من الصبي يحفظ ويغلف بفضه، ثم تحمله المرأة كي لا تحبل[٢٣] واعتقدوا أيضًا أن سنّ الميت تعلق على من به وجع السن فيسكن وجعه .

٢٠ ـ التراث الشعبي، كانون الأول : ١٩٦٥
٢١ ـ التراث الشعبي، أيلول : ١٩٦٥
٢٢ ـ التراث الشعبي، ع ١٩٧٤/١
٢٣ ـ عجائب المخلوقات، ٣٠٩، والتأخيذ والخرز، التراث الشعبي ـ ع ١٩٨١/٨

ومن العادات الشائعة في الوطن العربي كله ـ فيما أزعم ـ عادة إلقاء السن الساقطة في عين الشمس لتبدلهم خيراً منها !!

ففي قطر يأخذ الطفل سنه المخلوع، ويجمع نوى الرطب، ويلقي هذا كله تجاه الشمس قائلاً : **خذي ضرس الحمار، وأعطيني سن الغزال**[٢٤].

وفي مصر يقول الأطفال بعد رمي السن إلى عين الشمس **يا شمس يا شموسة : خذي سِنّة الجموسة، وهاتي سِنة العروسة** .

وفي العراق يقولون : **يا شمس بنت الشميسة: خذي سني وأعطيني سن من سنينات وليداتج، خذي سن اللبن وأعطيني سن من سنينات وليداتج،**

كما يرمون السن الساقطة أحيانًا في بئر قائلين :

يا بير : خذي سن الحمار وأعطيني سن الغزال[٢٥].

وبعض الشعوب تدفن أسنانها الساقطة في جحر فأر. وقد ذكر **أوبري** في كتابه: «بقايا المسيحية واليهودية، أن بعض النساء في ألمانيا يأمرن أولادهن أن يأخذوا السن الذي سقط أو انتزع، ويذهبون به إلى زاوية من البيت ويلقونه قائلين :

أيها الفأر : **هأنا أعطيك سنًا من عظم فأعطني سنًا من حديد**، وقريب من هذا الطقس ما يحدث في رارا تونجا في المحيط الهادىء[٢٦].

فهناك ـ إذن ـ اعتقاد أن الأسنان **تعين على الحبل، وتدفع الحسد**، وأن الشمس لها دخل في إنبات الأسنان الجميلة . . وأقل ما نقوله في ذلك إن أصحاب الأديان الوثنية إذا قبلت عقولهم هذا فكيف تقبله عقول من يقولون: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؟!**

---

٢٤ ـ فاروق العادلي ، ٢٠٣

٢٥ ـ حسين الجبوري : الأسنان في الممارسات والمعتقدات الترهية ، التراث الشعبي . ع ١٩٧٥/٤م

٢٦ ـ السابق.

كرم الله تعالى أساء ادم، وسخر لهم السموات والأرض، وأرسل إليهم الرسل والنذر ليدلوهم على الله تعالى ويقيموا عليهم الحجج البالغة، ويقطعوهم عن سبل الشيطان .

وختم الله تعالى بمحمد ﷺ الذي كان حربًا لا هوادة فيها على تعظيم ما لا يستحق . وقد رأى ﷺ في قومه من يتعلق الحجارة والودع والخيوط وغيرها، فشدد النكير، مبينًا أن **الشرك والتوحيد كالظلمات والنور**: لا يلتقيان في مكان واحد في وقت واحد، **إذا حضر أحدهما غاب الآخر** - أو تمامه على الأقل - فنراه ﷺ يقول :

- [**من تعلّق شيئًا وكل إليه**] الترمذي وأحمد والحاكم وحسنه الألباني .

وكلمة **شيئًا** : نكرة تعمّ الحجارة والودع والخيوط وحلقات الصفر وغيرها .

- [**من علق تميمة فلا أتمّ الله له، ومن علق ودعةً فلا ودع الله له**] .

أخرجه أحمد والطحاوي والحاكم - وصححه ووافقه الذهبي وغيره، وضعفه الألباني .

- [**من تعلق تميمة فقد أشرك**] أخرجه أحمد والحاكم وصححه الألباني .

ومن هذه النصوص يلفت المصطفى ﷺ أنظارنا إلى أن الله تعالى لا يشمل برحمته وستره من يتعلق شيئًا، بل يكل المتعلق إلى ما تعلق - إن كان ينفعه ! - ويدعو ﷺ على من تعلق بألا يتم الله تعالى له أي شيء يريده، أو لا يتم له مراده من التعليق، وألا يجعل من تعلق ودعة في دعة وطمأنينة .

ويصرح ﷺ في الحديث الثالث بأن التعاليق شرك . وكيف لا وهي ليست أسبابًا مشروعة، وتنافي التوكل على الله تعالى، وتنافي التوحيد، وتُعلق القلوب بحجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن صاحبها شيئًا .

وهي أيضًا تنافي كمال الإخلاص الذي هو ﴿**لا إله إلا الله**﴾ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله تعالى، فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك .

وجاء في **الصحيحين** عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً [**ألّا يبقين في رقبة بعير قلادةً من وتر أو قلادة من حبل إلا قطعت**]. قال **البغوي في شرح السنة** : تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من

أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدّون تلك الأوتار والتمائم، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا[27].

ومن هذا ما يفعله بعض الناس اليوم من إلباس أولادهم خلاخيل الحديد وغيره، يعتقدون أن ذلك يحفظهم من الموت، ومنه لبس حلقة الفضة للبركة أو لمنع البواسير ولبس خواتيم لها فصوص مخصوصة للحفظ من الجن[28].

وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالإجماع على أن تعليق التمائم والأحجار والحديد وغيرها شرك أكبر - والعياذ بالله تعالى -

فقد سئلت عن المرأة تأخذ معها حديدًا لمدة ٤٠ يومًا بعد الولادة معتقدة أن الحديد يمنع عنها وعن وليدها شر الجن . . فأفتت بما يلي :

من أنواع الشرك الأكبر المخرج من دين الإسلام تعليق الحديد ونحوه على المرأة النفساء والمختون، لجلب النفع أو دفع الضرر. قال تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله، يصيب به من يشاء من عباده، وهو الغفور الرحيم﴾ يونس: ١٠٧ - وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة: فقال: [انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا][29]

وقال الدكتور القرضاوي حفظه الله[30]

أما تعليق خرزة أو ودْعة أو حجاب، أو قراءة بعض الرقى المطلسمة للعلاج أو الوقاية فهو جهل وضلال يصادم سنن الله تعالى، وينافي توحيده.

---

٢٧ - مصرع الشرك والخرافة، ص: ٢٠٧ وما بعدها.

٢٨ - السابق: ٢١١

٢٩ - فتاوي اللجنة، ح: ١، ص: ٢١٤ وانظر ما قبلها وما بعدها من الفتاوي.

٣٠ - الحلال والحرام، ٢٣٣

الموسى واللجام :

في **الأردن** يستخدم الريفيون والبدو ـ على السواء ـ **الموسى في عمل حرز للدابة الضائعة ، فإذا** فقد أحدهم رأسًا من الماشية ولم يجدها حتى غربت الشمس خاف عليها الذئب فيضطر أن يلجم عنها ، فيأتي إلى أحد المشعوذين ومعه موسى من الحديد له غمدٌ متصل به ، فيصف له الرأس الضائعة ، فيتناول الموسى ويقرأ الفاتحة ثلاث مرات ، والفلق ثلاث مرات ، ثم سورة الفيل إلى قوله **﴿فجعلهم كعصفٍ﴾ ملجوم** ـ بدلاً من مأكول ـ ثلاث مرات ، وبعدها يغلق الموسى ، ويطلب عدم فتحه حتى لا يقترب الذئب من الرأس الضائعة[31] .

فانظر في اعتقاد العامة في أثر الموسى ، وانظر إلى تزيين الشيطان لهم بتحريف آية من كتاب **الله** تعالى ، مع ظنهم أن يحرّزون الضائعة بالقرآن (! !)

وانظر إلى عدم أخذهم بالأسباب ولجوئهم إلى مثل هذه الخرافة الساقطة .

وقد رأيت بعض الشباب والشابات يعلقون أحيانًا موسى من الحديد أو الذهب في أعناقهم في سلسلةٍ لدفع الحسد !

القلّة :

ومما يخشى العامة خطره أحيانًا ، ولعله خفّ الآن : **القلة المسحورة** ، فترى العامة يقولون في كناياتهم : **كسروا وراه قلة** . . فما المراد بذلك؟

لقد كانت هناك عقيدة بأن **الطين قبل حرقه** ـ وفي أثناء تشكيله إناءً ـ **يمكن أن تكتب عليه عبارات سحرية ضد بعض الأشخاص** ، ومتى جفّ الإناء الطيني وأحرق ثبت العمل السحري ، واستمر أثره .

وكان العمل السحري **يعمل أحيانًا على الإناء ثم يلقى ليتفتت في قاع بئر فارغة** . وفي أحيان أخرى تكتب على الإناء عبارات سحرية بمادة سائلة ـ والإناء طينة لينة ـ ثم يلقى في

---

٣١ ـ د. سليمان عبيدات ، ص : ٢٨٩

مكان خرب. غير أن ما كان شائعًا هو حرق الإناء الفخاري لتثبيت العمل السحري الذي كتب عليه ثم يكسر **الإناء بعد ذلك**.

ولا تزال هذه التقاليد قائمة حتى يومنا هذا، فيقال عند مغادرة الشخص غير المرغوب فيه لبيت من البيوت إن أهل البيت «**كسروا وراه قلة**» حتى لا يعود ثانية، يريدون القلة المسحورة التي كتبت عليها أرصاد[٣٢].

الكف - خمسة وخميسة -

يقدس العوام في كل مكان - ومن كل الملل - الكفّ، ويراها بعضهم **كف فاطمة الزهراء** رضي الله عنها وهم المسلمون السنة، ويزعم الروافض أنها **كف العباس** رضي الله عنه، والنصارى يرونها **كف مريم العذراء** - رضي الله عنها - وأما اليهود فيرونها **كف إلههم يهوه**[٣٣].

ويعتقد العامة في أثر الكف في طرد العين ودفع الحسد، فتراهم - عند اللزوم - «**يكبِّبون**» أي يبسطون كفَّهم في وجه الحاسد بحيث ينفرج ما بين الأصابع لأوسع مدىً قائلين: **خمسة وخميسة في عين اللي ما يصلي على النبي أو: الله أكبر.. النهارده الخميس**..

ويستخدمون الكف بصمة مغموسة بالدم، يلطخون بها الأبواب والجدر، كما يستخدمون الكف مرسومة وبداخلها عين، أو وحدها.

وربما **عملت من القماش، أو من البلاستيك اللاصق، وعلقت داخل سيارة أو على باب دكان!!**

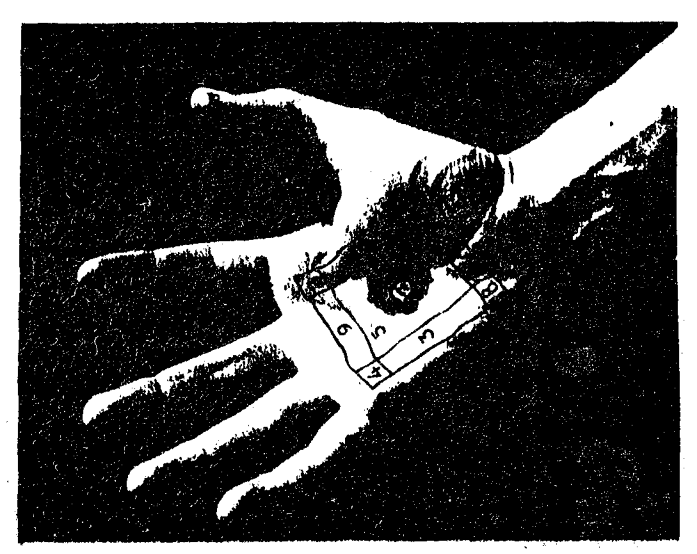
وربما علقوا كفًّا معدنية صغيراً على الصبي، أو على ناصية المرأة.. كل ذلك دفعًا للعين.

«ويغمس **النوبيون السُّكوت** أيديهم في دماء ذبيحة عيد الأضحى ويطبعونها على جدران المنزل وبابه، ويرسم رب البيت - وهو الذي يقوم بالذبح - **علامة الصليب** بجانب انطباع الكف على الجدار، وفي عملية واحدة نجد اتحاد عادات وثنية وإسلامية ونصرانية» المأثورات الشعبية، ع: ٢٨.

---

٣٢ - سعد الخادم، ص: ٤٠

٣٣ - انظر مثلا: المعتقدات الشعبية في العالم الإسلامي، كريس، ص: ٢٣



المربع السحري (في مصر القديمة) الذي يرسم على باطن الكف ، وتمثل العلامة السوداء التي في الوسط المرآة التي تنعكس عليها صورة المستقبل

من الأشياء التي تعتقد العامة في بركتها وفائدتها في دفع الحسد وجلب الخير: **الملح** ، ولقد كانت العرب تعظم الملح ، **وتحلف به وبالماء تعظيمًا لهما**، كما كانت تعظم النار والرماد ـ مسكن الجن ـ والملح عندهم هو المركب المعروف ـ ملح الطعام ـ وأحيانًا يأتي بمعنى اللبن أو الرضاع ، وكلاهما كان معظمًا عند العرب[٣٤] يحلفون به ويحفلون .

ولا يزال العامة يحلفون **بالعيش والملح** ، ويستدفعون الشر **بفصّ الملح** أو بحصوة الملح في **عين اللي ما يصلي على النبي** .

ولا يزال بعضهم يرش **الملح على العروسين، وعلى الصبي الوليد، وعلى الأم النفساء**، وإذا أرادوا أن يخرجوا شيئًا بعد الغروب **وضعوه على رغيف وبعض الملح** ، ليكون بينهم وبين الجنة **عيشٌ وملح** . .

وإذا أراد اثنان أن يوثقا شيئًا ويأمن أحدهما صاحبه أكلا معًا من العيش والملح ، **لأن خاين العيش والملح ابن حرام !!**

والملح قاسم مشترك في الأحراز والتعاويذ، **فإذا اشترى أحدهم سيارة جديدة ـ مثلاً ـ وضع داخلها بعض الملح وإذا بنى بيتًا وضع بعض الملح في كيس وعلقه على الباب** . . وهكذا.

وإذا **أراد عمل حجاب أو تعويذة لصبي استعمل الملح** ولا بد . .

ويأخذ العامة خلاص النفساء ـ المشيمة ـ ومعه قدر من الملح أو رغيف ـ أو هما معًا ـ ويلقون بذلك كله في النيل ليظل نسل المرأة جاريًا جريان النهر !

وبجانب الوليد تضع الريفية شيئًا من الملح في أيامه الأولى طردًا للجن الشرير الذي قد يحتال ليتلبس الوليد .

ويستخدمونه في الرقى البدعية تحمله الراقية في كفها الأيسر تالية تعاويذها .

---

٣٤ ـ اللسان، مادة : ملح ، ج: ٣، ٥٢١

ومما تعظمه العامة أيضًا، ويعلقونه بالمنازل والمكاتب والسيارات: الصور الدينية ، ولا غرابة في ذلك، فاتباع السُّنن مما أكده المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فإذا كان النصارى قد صوروا عيسى وأمه - عليهما السلام - وإذا كان البوذيون جسّموا بوذا، وإذا كان الهندوس صنعوا أصنامًا وتصاوير لفشنو وسيفا وبراهما وغيرهم من الآلهة، وإذا كان الوثنيون في أعماق الغابات صنعوا الأقنعة على هيئة الطواطم التي يقدسونها . . فإن بعضنا رسم الأنبياء والأولياء صورًا ملونةً تباع على قارعة الطريق هنا وهنالك بأثمان زهيدة.

ففي الشام ومصر والعراق وشبه القارة الهندية وغيرها نجد على سبيل المثال أنهم :

- صوروا حادث الإسراء، ورسموا البراق في هيئة امرأة جميلة حوراء من أعلى، ومن أسفل على هيئة جسم الحصان . . وهذا يشبه رسوم الفراعنة لأبي الهول، ورسوم الإغريق للحيوان الأسطوري Pegasus وهو فرس مجنح جعل الماء يتدفق برفسه من حافرة من نبع هيبوكرين في الأساطير اليونانية .
- وصوروا آدم وحواء - عليهما السلام - عاريين تمامًا يغطي سوأة آدم ورقة توت، وتستر حواء نفسها بشعرها الطويل. وآدم جميل الطلعة حليق اللحية والشارب، والأفعى معهما توسوس لهما !
- وصورا إبراهيم يذبح إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.
- وصوروا سليمان الحكيم والهدهد .
- وصوروا موسى ﷺ وقد ألقت أمه به في النيل .
- وصوروا رسول الله ﷺ .
- وهناك صور للحسن والحسين وعلي وناقة صالح، وللأولياء كالسيد البدوي والجيلاني وبعض مشاهير الأولياء.

كما تنتشر بمصر منذ سنوات صور فوتوغرافية لبعض المعاصرين الذين نسبوا إلى الولاية كالشيخ سلامة الراضي وولده إبراهيم والشيخ القراموصي وغيرهم .

وقد رأيت هذه الصور كلها بنفسي، والغريب أن بعضها مرسوم في كتب مدرسية - **كسليمان الحكيم والهدهد** - وبعضها في قصص **للأطفال توزعها هيئات حكومية معروفة ومطابع مشهورة** للأسف

وتستطيع من الشوارع في العواصم الكبرى أن تشتري صور قبور الأولياء المعروفين وصور الأولياء المعاصرين دون عناء، وتحت سمع وبصر الهيئات الدينية . .

وقد قرر **مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** في ربيع الآخر **١٤٠٥هـ** تحريم تصوير الأنبياء تحريمًا قاطعًا فقال:

إن مقام النبي ﷺ مقام عظيم عند الله تعالى وعند المسلمين . . وإن مكانته السامية ومنزلته الرفيعة معلومة من الدين بالضرورة . وإن الواجب على المسلمين احترامه وتقديره وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزلته عليه الصلاة والسلام؛ **فإن أي امتهان له أو تنقّص من قدره يعتبر كفرًا وردة عن الإسلام** والعياذ بالله تعالى .

وإن **تخييل شخصه الشريف بالصور** - سواء كانت مرسومة متحركة أو ثابتة، وسواء كانت ذات جرم وظل، أو ليس لها جرم وظل - **كل ذلك حرام لا يحل ولا يجوز شرعًا** .

فلا يجوز عمله وإقراره لأي غرض من الأغراض، أو مقصد من المقاصد، أو غاية من الغايات، وإن قصد بذلك الامتهان كان كفرًا .

لأن في ذلك من المفاسد الكبيرة والمحاذير الخطيرة شيئًا كثيرًا وكبيرًا، وإنه **يجب على ولاة الأمور والمسؤولين ووزارات الإعلام وأصحاب وسائل النشر منع تصوير النبي ﷺ صورًا مجسمة وغير مجسمة في القصص والروايات والمسرحيات وكتب الأطفال والأفلام والتلفاز والسينما وغير ذلك من وسائل النشر، ويجب إنكاره وإتلاف ما يوجد منه** .

وكذلك يمنع ذلك في حق الصحابة رضي الله عنهم، فإن لهم من شرف الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ، والدفاع عن الدين، والنصح لله ورسوله ودينه، وحمل هذا الدين والعلم إلينا، ما يوجب تعظيم قدرهم واحترامهم وإجلالهم .

ومثل النبي ﷺ **سائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيحرم في حقهم ما يحرم في حق النبي ﷺ** .

لذا فإن المجلس يقرر أن تصوير أي واحد من هؤلاء حرام، ولا يجوز شرعًا، ويجب منعه.[٣٥]

وقد وقع على القرار ثمانية عشر عالمًا من علماء الإسلام.. كما **أفتى الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بتحريم تصوير الأنبياء والعشرة المبشرين بالجنة**، وفتواهم معلومة مشهورة.

وقد أفتى الدكتور **القرضاوي** بتحريم تصوير واقتناء وتعليق الصور التي يقدِّس أصحابها تقديسًا دينيًا، أو يعظِّمون تعظيمًا دنيويًا كصور الأنبياء والملائكة والصالحين مثل إبراهيم وإسحق وموسى ومريم وجبريل وعلي وفاطمة عليهم السلام.

وكذا تصوير مظاهر الوثنية وشعائر الأديان الأخرى كالصليب والوثن وما يعبد من دون الله تعالى: كالمسيح عند النصارى، والبقرة عند الهندوس، وما شابه ذلك فإن من صوّرها لهذا الغرض، وبهذا القصد، **لا يكون إلا كافرًا ناشرًا للكفر والضلال**. ومثل ذلك من علق هذه الصور تقديسًا لها. فهذا عمل لا يصدر من مسلم، إلا إذا طرح الإسلام وراء ظهره[٣٦].

وبناءً على هذه الفتاوى التي تمنع تصوير الأنبياء وتصوير الصالحين وتعليقهم هذه الصور في أماكن بارزة، فإننا نقول إن **تعليق صور قبور مشاهير الأولياء** - التي صارت موضة هذه الأيام - **وتعليق صور المعاصرين من منسوبي الولاية حرام** ليس فقط لكونها صورًا تعظَّم، بل لاعتقاد معلقيها ومصوريها في أصحابها، وأنهم ينفعون ويضرون، ويتبرك بهم، ويتقرب إليهم، ويحتفل بموالدهم وغير ذلك.

بالله الحفيظ .. أم بالتحويطة:

علمنا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أن من نزل بمكان خاف ما فيه، فقال: [**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**] مسلم، فإن الله تعالى يعافيه، وعلمنا أن من

---

٣٥ - قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي ١٤٠٥هـ، ص: ١٦٧

٣٦ - الحلال والحرام، ص: ١٠٠ وما بعدها.

يقول كل صباح ومساء [**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، لم يضره شيء**] أبو داود والترمذي بسند حسن صحيح .

وإذا كان أحدنا في كرب وضائقة قال: [**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**] متفق عليه

وإذا أحاط به، عدوه قال كما قال إبراهيم عليه السلام: [**حسبنا الله ونعم الوكيل**] البخاري ، وإذا أراد أن يتقي الشيطان عند خروجه من داره قال: [**بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِل أو أُضَل، أو أَزِل أو أُزَل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل علي**] أبو داود والترمذي بسند صحيح .

أو يقول مقالة ذي النون ـ عليه السلام، عند الكرب : ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ أو ما قال محمد ﷺ : ﴿**حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾ التوبة ـ ١٢٩

والأدعية المأثورة كثيرة، وهي كلها تفيد المتيقن ـ إذا استعملها ـ لأن النبي ﷺ أوصانا بها، وكان يرددها .

ومدارها كما هو واضح على تعظيم الله وحده، والاستعانة به عز وجل والإقرار له بالعبودية والحاجة والذلة والفقر ـ وهو سبحانه أهل ذلك كله ـ لكن لا تجد فيها ـ وما ينبغي ـ رائحةً لشرك، ولا لتعظيم غير الله، فحاشا محمدًا ﷺ أن يدلنا إلا على كل خير وكل بر .

لكن ماذا عن العامة إذا أرادوا دفع خطر أو اتقاء شر؟ إن الخلط لا يفارقهم، وإنهم بعضهم يثقون في كثير من الأحيان في تعويذة أو حجاب أكثر مما يثقون بالله رب العالمين . .

● التحويطة :

وهي ضرب من الأحجبة يعمل تحرزًا من أي عمل سحري ضار بالإنسان، وتقوم فكرتها على أساس أنه ما دام الإنسان قادرًا على استخدام السحر في إيقاع الضرر بالآخرين فلا بد أن الآخرين لديهم ـ في الوقت نفسه وبالدرجة نفسها ـ قدرة على إيقاع الضرر به، ولذا وجب

عليه التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليه[1]

● **الحجاب :**

من الوسائل الشائعة لصد الشر وإيقاف خطره. وفعلُهُ عند العامة يتجاوز فعل السحر، فهو الصديق الأمين والحارس المخلص والمدافع القوي عن أغلب ما يصيب الإنسان من شر وحسد وبغض ومرض .

والحجاب قطعة من الجلد ـ أو القماش ـ مربعة الشكل أو مثلثة منشورية كما في مصر، تعمل على شكل كيس يعزّم عليه الشيخ، ويكتب أوراقًا بكلام مفهوم أو غير مفهوم. وله أثر المخدر في عقول العامة وسكنة الأرياف، إذ تعتقد المرأة أن حمل هذا الحجاب سبيل الشفاء الوحيد، وبه تتقرب زلفى إلى المقامات العليا التي تحميها من كل الشرور .

ويعزى هذا الالتصاق العجيب بالأحجبة والرقى للاحترام الشديد والإيمان القوي بأصحاب الكرامات الذين ترجى شفاعتهم ويستحب توسطهم[2].

● **النار**

في العراق: عندما يفيض ماء النهر ويصل درجة الخطورة يعمد الناس إلى جمع قطع من الخشب ولفائف من الحشيش الجاف، ويضعونها فوق خشبة كبيرة، ثم يوقدون النار في الحشائش وقطع الخشب ويتركونها تجري مع الماء، معتقدين أن النار ستكون سببًا لدر خطر الفيضان ونقص المياه[3].

● **الرقى**

وتكون ـ كثيراً ـ بأرقام، وألفاظ غير مفهومة وغير عربية، وبأسماء الجان والشياطين والأولياء، وتستعمل فيها أدوات مختلفة لإتمامها، كالملح والشبة والزعفران وغيرها. وهي محرمة

١ ـ د. محمد الجوهري ـ علم الفولكلور ـ ص: ٢١٦
٢ ـ التراث الشعبي : آذار ١٩٧١، ص : ٥١ بتصرف .
٣ ـ السابق، ص: ٥٢

باتفاق العلماء، لما فيها من الاستعانة والاستغاثة بغير الله تعالى، والاعتقاد بقدرة الأحجار والكلمات السحرية والطلاسم غير المفهومة.

● **السحر والعزائم والطلسمات**

وقد حصر الدكتور الجوهري [٤] استخدامات السحر فكان منها **الإخبار بالمستقبل والإتيان بالكرامات وحفظ الإنسان من آثار السحر وشفاء الأمراض وتأمين الخائف والربط والفك والتحبيب وغير ذلك.**

ونحن لو تتبعنا السحر لوجدنا له مكانة بارزة في قضايا الحب والزواج والطلاق وجميع مناحي الحياة عند الرجال والنساء على السواء. [٥]

وهو منتشر في بلاد كثيرة - كما مر في الإحصاءات والنقول - وهو في قطر يقل نوعًا ما إذا قيس بدول الخليج الأخرى مثل عُمان المشهورة شهرة كبيرة في هذا الأمر، وأغلب السحرة يأتون من هناك إلى قطر أو يذهب الناس إليهم [٦].

وغني عن الذكر أن السحر منتشر انتشارًا واسعًا في آسيا وفي أفريقيا حيث تنتشر الوثنية، والأرواحية، وعبادة الأولياء، والإيمان بخرافاتهم إيمانًا أعمى، حتى إن بعض المسلمين من الصومال أخبرني أن العامة عندهم يؤمنون برجل حي يخبرهم أنه شهد غزوة بدر، وكان من جملة الملائكة المسومين الذين أمد الله تعالى بهم رسول الله ﷺ والمسلمين!!

والساحر في هذه البلاد يقوم بدور قارىء الغيب، وحلّال العقد، ومعالجة الأمراض بالتمائم والتعاويذ مستخدمًا أدوات كثيرة في سحره الأسود.

ويتنوع مجال نشاط الساحر أحيانًا ليشمل قضايا مجتمعه المختلفة، **فعلى كاهله إنزال المطر إذا ما هدد الجفاف الزراعة، وإخصاب الأرض، والتدخل للتخفيف من حدة فوران الطبيعة** [٧].

---

٤ - ص: ٢٠١ وما بعدها.

٥ - الدويك: ص: ١١٠

٦ - الدويك: ص: ١١١

٧ - المسلمون في السنغال، ص: ٤٢ وما بعدها.

● رقى الثعابين

ومن الطقوس المشهورة في مصر الرقى المستخدمة في الإمساك بالثعابين. ومنها الرقية التالية التي تستخدم اسم الرفاعي أو سعد الجباوي لتأمر الثعبان أن يخرج من حجره :

أدعوك باسم شيخي وسيد طريقتي أحمد الرفاعي

باسم سيدي سليمان المتسلط على الزحافات

باسم الاربعة الخلفا

السلام عليك لأذيك

أو : **يا سيدي يا سعد الدين يا جبّاوي**

لمّ حبيشك عني لم

اللي برّا ما يجينا

واللي جوّا ما يئزينا

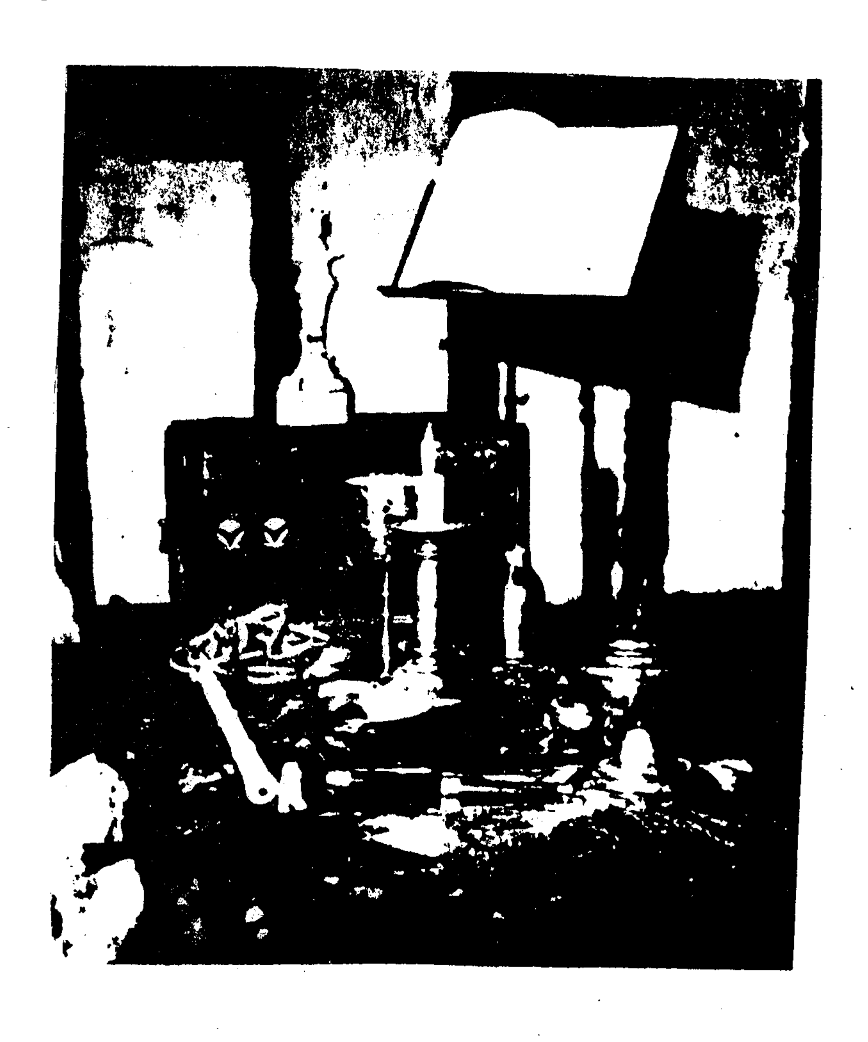
وسورة ياسين تحمينا

وفيها ـ كما هو واضح ـ استعانة بالرفاعي أوالجباوي في السيطرة، وهي أمر غير مقبول عقيدةً، واعتقاد أن هناك من يسيطر على الزواحف والحشرات يتصرف فيها كيف يشاء، أمر غير صحيح دينًا ولم يثبت إلا لسيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام الذي جنّد له ربه سبحانه الإنس والجن والطير فهم يوزعون، معجزةً له وزيادة في ملكه الذي قابله بالشكر والإخبات لله رب العالمين.ولو عزي هذا الأمر لمهارة الرجل، أو معرفته بطبائع الحيوان وخصاله لكان مقبولاً شرعًا وعقلاً، لكن أن ينسب إلى ولي متسلط على «الزحافات» فهذا مردود مردود.

استقراء الغيب في عقائد العامة

لا شك أن إخفاء المقدور عنّا نعمة من الله تعالى ومنّة، فلو علم أحدنا أنه سيموت بعد كذا من السنين، أو سيبتلى بكذا من أثقال الدنيا، أو سيحجب عنه من الخير كذا وكذا . . فسيموت كمدًا . . لأن ابن آدم بطبعه جزوعٌ كنود، هلوع بخيل .

٨ ـ أحمد رشدي صالح ، ص : ١٧١



لكن بعض الناس يحاولون اختراق الحجب وهتك المستور ـ وأنى لهم هذا ـ فتراهم يحاولون المرة بعد المرة أن يطّلعوا على شيء من الغيب ، ويكتشفوا ما يخبئه الغد من مفاجآت ولكن هيهات هيهات .

لقد كانت هذه مهمة الدجاجلة والشياطين حتى جعل الله تعالى النجوم رجومًا للشياطين، فلم يعد بمقدورهم أن ينفذوا من أقطار السموات لاستراق السمع . . ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا . .

إن بعض الكهـان يحاولـون، وبعض المسـاكين من بني البشر يصدقون، ولا ييأس إبليس ـ عليه لعائن الله ـ من إقناع هؤلاء أنهم يستطيعون معرفة الغيب، وإقناع أولئكم بأن جنده يخبرونهم بالمخبوء . . وكذب اللعين . .

فمهما ارتقى ابن آدم فإنه سيظل محجوباً عما قدره الله تعالى عليه ـ وعلى غيره ـ من أقدار حلوة أو مرة، مما يكتبه الملك ـ وابن آدم مضغة ـ من رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . .

لكن ما يحزن أن ينخـدع بعض الناس، ويملأوا جيوب الكذبة بالمال ليخبروهم بما لا يعلمون، فليس المسؤول بأعلم من السائل، وليس الكاهن بأبصر من المتكهن له.

ورغم أننا مقدمون على القرن الحادي والعشرين، وأن الناس بلغوا ـ في علوم الدنيا ـ شأوًا بعيدًا، فلا يزالـون يؤمنون بإمكان ذلك، على اختلاف بيئاتهم . . من أقل الأمم رقيًّا إلى أعلاها في سلم الحضارة المادية، ومن أكثر البشر أمية إلى بعض حملة أعلى المؤهلات العلمية .

واستـطلاعات الرأي لا تنفي تصديق الناس لهذه الخرافات، بل تؤكدها وتعطينا نتائج مدهشة . . **وتعال معي إلى الأرقام والوثائق** والنقول تَرَ مصداق ما أقول :

في سنة **١٩٩٠** أصدرت منجمة اسمها **جوان كويجلي** كتابًا عنوانه: **ماذا تقول كويجلي ؟** ذكرت فيه أن الرئيس الأمريكي **ريجان** كان يرجع إليها في تحديد مواعيد مؤتمراته الصحفية ومـواعيد إقـلاع الطائرات التي تقله وكذا مواعيد هبوطها، وحددت له تاريخ إجراء عملية جراحية تمت في يوليو **١٩٨٥**، وكـذا تاريخ إجـراء زوجته **نانسي** لاستئصال لثديها المصاب بالسرطان، وذكرت أنها ظلت صديقة لنانسي ريجان ومنجمة لها لمدة سبع سنوات[٩] (!!)

وقـد أجـرى الدكتور **عبد الرحمن العيسوي** في بحثه عن **سيكولوجية الخرافة**[١٠] دراسة كشف فيها عن إيمان عدد لا بأس به من عينة بحثه بأهمية قراءة الفنجان، وفتح الكوتشينة لمعرفة الحظ وكشف الأسرار.

---

٩ ـ الراية القطرية ـ الجمعة ١٩٩٠/٧/٦م

١٠ ـ ص : ١٢٧ وما بعدها .

وفي مقارنة بين استبانتين إحداهما مصرية - ٢٢١٠ أشخاص - والأخرى لبنانية وجد ما يلي بالنسبة المئوية :

الفكرة الخرافية	العينة المصرية	العينة اللبنانية
أصدق الحظ الذي تنشره الصحف	١١٪	٢٥٪
أصدق نبوءات الفلكيين	٣٦٪	٤٦٪
المندل يكشف عن المسروقات	٣٥٪	٣٤٪
أصدق قراءة الكف	١٥/٪	١٧٪
أصدق العرافات وضاربات الودع	٠٨٪	٠٣٪

وأجريت دراسة ميدانية أخرى في بيروت على ٤٣٥ شخصًا[١١] فكانت النتيجة أن :

٤٦,٢٪ يؤمنون بقدرة الفلكيين على التنبؤ بالمستقبل.

٣٣,٩٪ يؤمنون بقدرة المندل على الكشف عن المسروقات.

٢٢,-٪ يصدقون بقراءة الفنجان.

١٧,٣٪ يصدقون بقراءة الكف.

١٢,٦٪ يصدقون بمعرفة البخت عن طريق العرافات وقارئات الودع .

وأجرى الدكتور زعرور دراسة على عينة من ٦٠٤ طلاب وطالبات من لبنان فوجد أن ٩٢,٩٪ من العينة يؤمنون أن قراءة الفنجان تكشف أسرارًا كثيرة .

ولا تندهش إذا وجدت الناس حولك يتسابقون إلى فتح كبريات المجلات والجرائد للاطلاع على حظوظهم، واستنباء ما سيكون لهم في يومهم أو غدهم.

---

١١ - السابق : ١٢٧

لا تندهش فيبدو أن هذا الانحدار العقيدي صار أمرًا حضاريًّا في أوهام المساكين !!

فقد أجرى د. سيد عويس دراسة حول موضوع **بختك اليوم** في الصحف المصرية ووجد أن ٧٥٪ من موظفي مصلحةٍ من مصالح الحكومة يواظبون على قراءتها يوميًّا، نعم ٧٥٪ فهوّن عليك، لأنهم بين التسلي ومعرفة النتائج وأعمارهم بين ١٧ سنة و ٥٥ سنة !!

كما لاحظ الـدكتور عويس أن من يقرأون **بختك اليوم** يزورون المقابر وأضرحة الأولياء والقديسين ويؤدون لها النذور ويؤمنون بها، فجهلهم مركّب **﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾** ونسبة كبيرة منهم تؤمن بالأشباح، ويمارسون عمليات البخور في المناسبات وقراءة الفنجان، وحمل التمائم، وفتح المندل[١٢].

كما أخذت عينة ممن يترددون على السحرة والعرافين مكونة من ٧١٤ شخصًا، وكانت نتيجة فحصهم كالآتي :

٪٨٥, ٧	منهم من المتعلمين تعليمًا متوسطًا وعاليًا !!
٪٦٩,٣٢	منهم مسلمون (٤٨٨ شخصًا).
٪٣٠,٦٨	منهم نصارى (٨١٦ شخصًا).
٪٩٤,٤٧	فوق العشرين.
٪٦١,٦٥	منهم نساء (٤٣٤ امرأة).
٪٣٨,٣٥	منهم ذكور (٢٧٠ رجلًا).

وإذا كان من عادة عرب الجاهلية الأولى استخبار النجوم عن الأمطار والرياح، لاعتقادهم أن لكل فرد طالعًا، وأنها تؤثر في أعمالهم[١٣]، وإذا كانوا يتأملون السوانح والبوارح ويستهمون بالقداح، ويستقسمون بالأزلام، لتخبرهم آلهتهم بشيء مما يفعلون أو يدعون . .

---

١٢ ـ د. سيد عويس: حديث عن الثقافة، ص: ٢٢٢ عن د. سامية الساعاتي.

١٣ ـ الأنواء والحياة اليومية عند العرب ـ التراث الشعبي ع١٠/١٩٧٥ ، ص: ٦ وما بعدها

فإن للعربي المعاصر أساليب كثيرة يزينها الشيطان موهمًا إياه أنه بها يعرف الغيب ويكشف المستور . .

ويعدد الدكتور **علي المكاوي**[14] من الوسائل المستخدمة لاستطلاع الغيب أواخر القرن العشرين : **ضرب الرمل، واستنطاق الودع** ـ ذا الانتشار الواسع لاكتشاف خطوط المستقبل حول الزواج ومكان الإقامة والعمل والإنجاب . . إلخ ـ وهناك **الزايرجة، وفتح الكتاب، وقياس الأثر، وقراءة الكف، وفتح الكوتشينة، وقراءة القورة ـ الجبهة ـ والمسبحة، والاستخارة بالقراءة** ـ وهي غير الاستخارة الشرعية ـ **واستحضار الأرواح** !! فتعال نعرف طرفًا من أساليب الدجاجلة في استقراء الغيب :

أ ـ ضرب الرمل :

يجلسون بجانب من الشارع وأمامهم منديل فيه رمل أصفر، ويزعمون أنهم ينبئون بالمستقبل، فيرسمون على الرمل خطوطًا بأصابعهم بعد أن يرمي الطالب شيئًا من النقود يسمونه «بياضًا» ـ ويأمرونه بذلك قائلين : **ارم بياضك** ، ثم يزعمون له أشياء يقولونها عنه[15] .

ب ـ الودع :

تجلس امرأة على قارعة الطريق في أماكن التجمعات ـ كالأسواق ـ وربما دارت على البيوت منادية بأنها تبين زين أي تحسن استقراء الغيب وبيان الخبء، وأمامها جملة من الودع ـ أصداف بعض الحيوانات البحرية ـ وقطع من القروش ومن المعادن حمراء وخضراء وسوداء، فمن حضر عندها شكا لها إما من جفاء زوجها أو زوجته ، أو من عدم الحمل، فتخبره بما يقول الودع في أمره !!

ج ـ فتح الكتاب :

يحمل أحدهم كتابًا تحت إبطه ويمر مناديًا : **نفتح الكتاب** ، فإذا ناداه أحدهم فتح الكتاب كيفما اتفق ، وقرأ منه ما يدل على تنبؤ بالمستقبل ، وكلما كان الكتاب قديمًا ومخطوطًا كان الناس

---

١٤ ـ الفنون الشعبية ، سبتمبر ١٩٨٩

١٥ ـ انظر في هذه الأساليب: أحمد أمين ـ قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، في مواضعها بحسب الترتيب الأبجدي .

فيه أكثر اعتقادًا[16].

د ـ المندل :

وفيه يطلب الضارب بالمندل من أحدهم أن يحدّق في زجاجة أو كأس ملئت زيتًا أو ماء، ويردد بعض الجمل، ويوهم من أمامه أنه يرى ـ بالتبخير من خلال الدخان المتصاعد ـ بعض ملوك الجان الذين سيطلبون إليه أن يسألهم حاجة، أو يكتب ما يريد.

وفي مصر: يضرب المندل باستخدام **الفنجان**، أما في نيوزيلانده **فبنقطة دم**، وفي أمريكا ـ وأوروبا ـ **بكرة بلورية**، وفي الهند **بمحبرة** ـ كذا في مصر أيضًا ـ **وبسلطانية** عند هنود أمريكا **وببركة ماء** في إيطاليا[17].

هـ ـ بواسطة المرآة:

وتوضع مرآة أمام طفل لم يبلغ الحلم ـ كالمندل تمامًا ـ ويبدأ المشعوذ بقراءة كلمات مبهمة بينما يحدق الطفل في المرآة، وبين الحين والحين يسأل الطفل إن كان قد رأى شيئًا، ويظل يكرر سؤاله مؤكدًا أنه سيرى جنيًّا يبين المسروق !!

و ـ بواسطة الظفر المدهون بالزيت: كالمرآة تمامًا .

ز ـ الفنجان:

يدعون أن ما بقي من القهوة في الفنجان بعد شرب ما فيه يدل على المستقبل !! فتُمعن من تقرأ في الفنجان ، ثم تخبر بأشياء في المستقبل، كأن تقول: إنك ستسافر وستنال خيرًا في سفرك . . وهكذا .

ح ـ الزايرجه:

جدول ينسب إلى **إدريس** ـ عليه السلام ـ أو أخنوخ، ينقسم إلى مائة خانة صغيرة يكتب في كل منها حرف، ويتلو من يستشير الجدول الفاتحة وآية: ﴿**وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البحر والبر**﴾ . . إلخ ثلاث مرات، ويضع بعد ذلك أصبعه على الجدول دون أن ينظر إليه، ثم يعاين الحرف الذي يشير إليه أصبعه ويدونه، ثم يدون الحرف الخامس

---

١٦ ـ أحمد أمين : ٣٨١، راجي الأسمر: ١٠٨

١٧ ـ د. علي المكاوي : الفنون الشعبية ـ سبتمبر ١٩٨٩

اللاحق للأول، فالخامس التابع للثاني وهكذا، حتى يعود إلى الحرف الأول، ويكون من مجموع هذه الحروف الجواب[١٨] !!

والخطير أنهم ينسبون إلى نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ـ وهو إدريس الصديق النبي الذي رفعه الله مكانًا عليًّا ـ كما جاء في سورة مريم ـ آية ٥٦، ٥٧ ـ ينسبون إليه أنه ترك للناس ما يضلهم ويفتنهم بادعاء التعرف على الغيوب، وقد نسبوا إليه خرافات كثيرة منها: أنه أول من خط بالقلم ـ وهذا لم يصح حديثًا ـ ومنها أنه هو أوزوريس .. الإله المصري (!!) الفرعوني الذي صعد إلى السماء ليرجح حسنات القاصرين .. وغيرها[١٩]، وحاشا النبي الصديق أن يكون سببًا في الإضلال أو يدعو إليه .. فتأمل .

ط ـ قياس الأثر (الأَطَرْ)

إذا مرض واحد أرسل للشيخ أثره ملفوفًا فيه شيء من النقود، ويعزّم الشيخ واضعًا الأثر قريبًا من فمه، ويتمتم ويقبض على الأثر بيديه، تاركًا بينهما مسافة يقيسها بإصبعه، ثم يعيد هذه المسافة، فإذا وجد أنها أقل، دل ذلك على قرب الشفاء، وإذا كانت أبعد قال إنه يلزمه حجاب[٢٠].

وقد يكون هذا الأثر قطعة من الملابس الداخلية أو منديلاً أو قطعة من ثوب خلق أو خصلة شعر أو غير ذلك .

وقد يستخدم الأثر ـ من القماش أو الحذاء أو ماء الغسل أو أي شيء يلامس جسم الإنسان ـ استخدامات أخرى غير استقراء الغيب، ففي **قطر**[٢١] يستطيع المشعوذ أن يصنع منه سحرًا فيه ضرر أو نفع للناس، لذلك تجدهم يحرصون على ثيابهم القديمة وثياب أبنائهم ـ أو أي أثر منها ـ خوفًا من وقوعها بين يدي مبغضيهم من الناس، وهذا بقية من آثار **الديانة الفتيشية**، التي تمثل عقيدة أن كل الأشياء التي يمتلكها الإنسان تكون ممتلكة لقواه، ومن ثم فإن قوة

---

١٨ ـ السابق .
١٩ ـ ظلال القرآن، ج: ٤، ص : ٢٣١٤
٢٠ ـ راجي الأسمر: ص: ١٠٠ وما بعدها، وأحمد أمين ص: ٣٢٩
٢١ ـ الدويك : القصص الشعبي في قطر، ص: ٢١٤ ـ ١٠٤

الإنسان تستكن في ملابسه وفي حذائه وفي شعره ودمه وعظامه، وتؤكد هذه العقيدة أن الجزء يحمل خصائص الكل ويؤدي وظيفته على أساس أن الروح تظل حية في المادة التي تتقمصها مهما اعترى هذه المادة من تغيير وتحور. وهذه عقيدة وثنية لا يقبل بها الإسلام الذي لا يؤمن بتناسخ ولا عودة للحياة الدنيا بأي شكل من أشكال العودة . . **﴿فهل من مدكر﴾** .

ي ـ حجر مراد:

وهو حجر يزعمون أن من يحمله تتبعه الشياطين ويعلمونه بما يزيد منهم، فهو وسيلة لمعرفة الغيب[22] .

ك ـ اللجوء للأولياء لمعرفة الغيب بعد تقديم نذر بين يدي الطلب[23]

ويرى المعتقد الشعبي أن خلوص بعض الناس للخالق يجعلهم قادرين على أن يعودوا إلى ذاته ـ تعالى وجل عما يفترون ـ **فيكشف عنهم الغطاء ويعرفوا الغيب والماضي**، وأن ذلك الكشف مستطاع حسب طقوس معينة .

وهي أفكار صوفية تبدو قريبة من أفكار **الغنوصيين** ، وهم طائفة من المفكرين النصارى واليهود والوثنيين عاشوا في القرون الأربعة الأولى من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام، ولهم نظريتهم في اجتياز الهوة بين المادة والذات الإلهية عن طريق الخلاص.

كما يقرر المستشرق الألماني **كارل هنريش بكر** أن روح الغنوص قد سادت فرق التصوف الذي لم يكن قاصرًا على طبقة المريدين والسالكين، وإنما كان ـ من بعض نواحيه ـ نوعًا من الفلسفة الشعبية في طبقات المثقفين .

وهذا التيار الصوفي قد صاحبه تيار ديني شعبي عبارة عن طائفة من السحر والنارنجيات الهيلينية النظرية والعملية، فالسحر والتنجيم وضرب الرمل والرؤيا وحساب الأعداد وفوائد الحب والتمائم من كل نوع كل هذه أصبحت عربية إسلامية[24] .

---

٢٢ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص : ٢٠٨، وانظر أيضًا: أحمد حمودي السامرائي : التأخيذ والخرز، التراث الشعبي ، ع٨/١٩٨١.

٢٣ ـ انظر كلامنا عن الأولياء وعقيدة العامة فيهم وانظر مثلًا: محمد الجوهري: ج: ٢، ص : ٤٧، وص: ٢٠١

٢٤ ـ أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص : ١٤٣

وقد أجرت الدكتورة سامية الساعاتي بحثًا ميدانيًا[٢٥] على عدد من السحرة أثبتت فيه أن ١٨, ٢٥٪ منهم تخصصوا في قراءة الفنجان، وأن نحو ٥٤٪ يقومون بأشياء سحرية أخرى كالكوتشينة والكف والمندل.

ل ـ حجارة الدرب :

وهي من عقائد أهل العراق، ففي ليالي الجمع من كل أسبوع، يرمي المستجلي للغيب المريد معرفة ما سيكون، يرمي حجرين في مفترق طريقين ويقول :

يا حجارة الدرب : احكي لنا على كل ما بالقلب / إذا كان زين ادّينا خير وخضرة/ وإذا كان مو زين راوينا عجّ وغبرة . . ثم يحتجب بحيث لا يراه المارة ـ لكن يسمع أو تسمع المرأة المستجلية ـ كلامهم من مكانه، فإن كان خيرًا استبشر وإن سمع شرًّا اعتقده قدرًا واقعًا[٢٦].

م ـ قراءة الكف :

ويضع المشعوذ كفًّا معدنية معلنًا عن بضاعته على المقاهي والبيوت لقراءة خطوط اليدين[٢٧].

وقد رأيت بنفسي في بنجلاديش ـ ثاني أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان ـ محلات عامة كثيرة مهمتها قراءة أكفّ البسطاء، ويعلقون على الواجهات لافتات ملونة عليها كف، وعبارة Fortune Teller أي عراف أو قارىء البخت ! !

ن ـ تلاوة أحراز معينة لكشف الغطاء ومعرفة الغيب:

وقد رأيت كتبًا من هذه الكتب الخرافية تحوى عزائم وأذكارًا وأرقامًا وخطوطًا يزعمون أن من نفذها أفادته في أشياء كثيرة وكشفت له الغيوب ليعرف الرصد والأوقات ويجلب الأخبار من الأقطار ومعرفة ما سيكون . . وسيأتي تفصيله .

س ـ اللجوء للأرواح لمعرفة الغيب والاتصال بعالم الأموات

وقد أصبحت عقيدة الاتصال بالأرواح بعد الموت ركيزة لحركة عالمية يتبعها الملايين، ولها

---

٢٥ ـ ص : ١٩٧ وما بعدها: السحر والمجتمع .

٢٦ ـ لا حول ولا قوة إلا بالله، وهل ثم شرك أكبر من الاستعانة بحجر ! انظر: استجلاء الغيب في المعتقدات الشعبية: عدنان غازي الغزالي: التراث الشعبي ، ع١٢/١٩٧٢

٢٧ ـ السابق .

جمعيات في كل مكان من بلاد الدنيا ـ بما فيها بلاد المسلمين !! ـ ويترأسها أكاديميون وأساتذة جامعات وعلماء في الطب النفسي وغير ذلك .

وقد كتب محمد حسنين هيكل في ١٩٧١/٦/١٤ عن قضية تحضير الأرواح المنسوبة لوزير الحربية **محمد فوزي وسامي شرف وشعراوي جمعة**، وكان الوسيط بين هؤلاء أستاذ جامعة !![٢٨] ـ وسنتكلم عن الأرواحية إن شاء الله ضمن دراسة لاحقة عن عقائد المثقفين .

ع ـ اللجوء إلى مدّعٍ لإخبار الناس ببختهم في الصحف

وعادة ما يتلون هذا الكاهن بلون المجتمع الذي هو فيه، فلو كان يخاطب الشباب حدثهم ـ أكثر ما يحدثهم ـ عن العلاقات بين الجنسين وعن الحب والوصال والهجر، وإذا كان في وسط يغلب عليه الموظفون والأفندية ـ المساكين ـ حدثهم عن الدخل الإضافي، والعلاقات مع السيد المدير والعلاوة المنتظرة، وإذا اقتربت أيام الامتحانات حدّث عن قرب الفرج والنجاح المنتظر والتوفيق في التحدي القادم . . وهم يتفننون في باطلهم، فهناك حظ اليوم، والأسبوع، والشهر، والعام ـ بحسب صدور المجلة ـ وهناك الأبراج الهاتفية، وبطاقات التارو، والتناسق بين الأبراج، وهناك الأبراج المائية وترهات كثيرة يروجها المفسدون لاستحلاب أموال المغفلين . . (انظر الشكل) إلخ هذا الهراء .

ومما جاء في إحدى المجلات من «الظلمات» : الشر لن يصل إليك، لأن جوبيتر يحمي برجك في هذا الفصل ، وفي الصفحة التالية ـ جوبيتر يحمي برجك لغاية ١٨ آب، وفي الصفحة التي تليها مباشرة ـ آلهة جوبيتر **يحيطك ويرعاك** خصوصًا في علاقتك مع الحبيب والأطفال، **إنهم يعيدون الناس إلى وثنيات اليونان والرومان بعد خمسة عشر قرنًا من مبعث محمد ﷺ بالتوحيد والتنزيه .**

وكنوعٍ من زيادة الظلمة بعد الإشارة إلى جوبيتر يقولون : رقم حظك كذا، ويوم سعدك هذا الاسبوع كذا . .

وإن تعجب فعجبٌ أن هذه المجلة تصدر في بلد من بلاد المسلمين !!

إنها «الحدارة» في القرن الحادي والعشرين !

---

٢٨ ـ عن د . سامية الساعاتي، السحر والمجتمع .

ف ـ قراءة الاسم لمعرفة الحظ

«موضة جديدة» ابتدعها كهان العصر، **وهي قراءة البخت من اسم الراغب، فقط** عليه أن يقدم اسمه ليكون مستقبله المغيّب كتابًا مفتوحًا يقرؤه الدجال . . وهاك نموذجًا من إحدى المجلات المرخصة في دولة متحضرة غالبية أهلها مسلمون .

اسم ضياء: خفيف لطيف، وأحيانًا تكون ثائرًا غاضبًا، تحقق هذا العام نجاحًا وأرباحًا مالية، وتستقر عواطفك وأحوالك، سفر متوقع إلى الخارج، تحقق أمانيك بفضل المثابرة والعزم، يزيد دخلك وتنشط مواردك. مفاجآت سارة في النصف الأول من هذا العام على الصعيد الاجتماعي، وخطوات موفقة في العمل .

رقم الحظ ٤، يوم السعد: الجمعة .

إنها نبوءات مفضوحة، تبين عن الدجل، وأكل المال بالباطل، وتشير أيضًا إلى أن هناك أيادي مشبوهة يهمها أن تغرق الناس بالجهالة والشرك والخرافة والمعصية . .

فأي توحيد وأية عقيدة يمكن أن تُدعى !؟ وأي تقدم وحضارة يمكن أن يزعمه من يستقرىء كفًّا أو إظفرًا أو حجارة ملقاة على قارعة طريقين ؟! وصدق الله العلي العظيم: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** يوسف : ١٠٦

عن انتشار الدجل والشعوذة، وكثرة المنتفعين بذلك، وظهور مريدين ومترددين عليهم تقول الدكتورة **عزّة كريم** الأستاذة **بمعهد البحوث الاجتماعية والجنائية** إنها ظاهرة ارتبطت ـ سابقًا ـ بالفئة التي تعاني من الجهل، **لكن انتشار هذه الظاهرة ـ هذه الأيام ـ بين المثقفين والمتعلمين وأنصاف المتعلمين يشكل مؤشراً خطيراً على غياب الوعي الديني الكافي**، ونقص مواد التربية الإسلامية في مدارسنا، وتغذيتنا لعقول أطفالنا منذ الصغر بالقصص التي تنمي لديهم الإحساس بوجود العفاريت ذوي القوى الخارقة وغير ذلك من الأساطير التي نرددها لأولادنا دون وعي. وتضيف الدكتورة **عزة كريم** :

أنا لا أنكر وجود الجن ولا السحر لأن هذه الأشياء موجودة بالقرآن الكريم، ولكن يجب أن يعلم الجميع أن المستقبل بيد الله وحده، وليس لأحد أن يتدخل فيه أو يتطلع إليه. وهذه النقطة لن تأتي من فراغ، ولكن من خلال الإيمان بالله تعالى وبقدرته وسلطانه، والإيمان بالقضاء والقدر.

وأنا أريد أن أسأل المترددين والمترددات على قارئة الفنجان أو الكف: كيف تصدقون أن بوسع امرأة ـ مهما كانت صلتها بالجن ـ أن تكشف من بواقي البن الموجودة في فنجان شربته ـ أو شربه الطالب ـ ما يخبئه المستقبل ؟

ولماذا فنجان البن بالذات؟

لماذا لا يكون فنجان الشاي كذلك . . أو غيره .

وبالنسبة لقراءة الكف فقد سمعت كثيراً أن قراءة الكف أصبحت علمًا له كتب، وأتساءل:

ما دخل الخطوط ـ التي غالبًا ما تتشابه داخل أيدينا جميعًا ـ **بمستقبلنا الذي لا يتشابه بين واحد وآخر ؟!**

إن خطوط الكف من وجهة نظري ما هي إلا رسم لأعصاب الإنسان أو أطراف الأعصاب، وهذه هي الحقيقة التي توصل إليها العلماء الصينيون الذين استخدموا ـ لذلك ـ الكف لعلاج الإنسان بالإبر الصينية .

أما الدكتور **أحمد المجذوب** الأستاذ **بمعهد البحوث الجنائية** فيفسر هذه الظاهرة بأنه رغم التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي يعيشه العالم فلا تزال هناك قلة تشدنا إلى الوراء وإلى الخرافات والدجل .

ورغم أن أحد الأبحاث الحديثة في المركز ـ **معهد البحوث الاجتماعية والجنائية** ـ يشير إلى أن نسبة السيدات المترددات على الدجالين وقارئي الطالع .

تبلغ نحو ١٠٪ **من سيدات مصر (!!)**

وأن بين هذه النسبة فنانات مشهورات

وأدبيات ومثقفات وزوجات مشاهير (!!؟)

إلا أنني أقول إن مصر بخير (!؟؟) فهذه النسبة في الولايات المتحدة الأمريكية ـ وهي عاصمة التقدم في العالم ـ نسبة مضاعفة، وليس معنى ذلك أننى أشجع الخرافة، ولكني **أطلب** من المرأة المسلمة **أن تعود إلى تقاليد الإسلام ، وأن تقرأ دينها جيدًا حتى تعود إلى رشدها، ولا تدع أحدًا «يضحك عليها» من أجل المال** . .

وقد كان هذا التعقيب من الدكتورين **عزة كريم وأحمد المجذوب** إجابة عن تساؤلات صحفية حول «**الموضة**» التي انتشرت بين **الطبقات الراقية** والبنات الكثيرات اللواتي يترددن على امرأة قارئة الفنجان كان منطلقها من مولد «**سيدي يحيى**» الذي تحول من مولد إلى موسم لضرب الودع وقراءة الكف والفنجان، ويقع في منطقة حوش قدم بالغورية . . في قلب القاهرة المعزية . . **بجوار جامعة الأزهر والجامع الأزهر** . . وقريبًا من **كليات الدعوة وأصول الدين والشريعة والدراسات الإسلامية**[٢٩] . . فتأمل . .

٢٩ ـ اقرأ مقالة أماني ضرغام: قراءة الفنجان عادة سيئة وموضة للطبقات الراقية، جريدة الشرق القطرية، الخميس ٦ أغسطس ١٩٩٢م .

لا يشك مطلع على أبجديات العقيدة الإسلامية، أن الوحي - على سماحته ورفقه - تعامل بصرامة شديدة مع هذه الأفكار المتخلفة، ولم يعتبرها ذنبًا عاديًا، ولا كبوة يسيرة، بل سماها كفرًا - نعم سماها كفرًا - على ثقل هذه الكلمة وبشاعتها .

فالمتكهن كافر، والمتكهن له كافر، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى . .

وليس بمقدور بشر - **ولو نبيًا أو وليًا** - فضلاً عن الحجر والشجر والجماد، أن يخبر بشيء من الغيب لأن الغيب لله تعالى : **﴿فلا يُظهر على غيبه أحدًا﴾** - الجن : ٢٦ - **﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾** - النمل : ٦٥

والكون يسير وفق سنن لا تنخرم، وضوابط لا تختل، وقد علم الإسلام أهله أن يحترموا هذه السنن لأنها من قدر الله وتقديره . . فلو حاول أحد القفز فوقها كان كالغنمة القاصية، تفترسها الذئاب بسهولة، والذئاب هنا : **رد الأعمال الصالحة، وبطلان الطاعات، والوقوع في دائرة الكفر، والسقوط في سواء الجحيم** إذا مات المرء على ذلك .

جاء بعض الوفود إلى النبي ﷺ ممن يظنون أنه - كالكهان - يزعم الاطلاع على الغيب، فخبأوا له شيئًا في أيديهم وقالوا : أخبرنا ما هو ؟

فقال في صراحة : [**إني لست بكاهن، وإن الكاهن والكهانة والكهان . . في النار**][٣٠] .

ولم تقتصر حملة الإسلام على الكهان والدجالين وحدهم، بل أشرك معهم في الإثم من يجيئونهم سائلين ويصدقونهم في أوهامهم وتضليلهم .

فقد أخرج مسلم في صحيحه مرفوعًا : [**من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه بما قال : لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**] .

---

٣٠ - الحلال والحرام : ٢٢٩، وانظر : أعلام السنة المنشورة : ١٥٨ وفتح المجيد : ٢٤٨ وما بعدها .

وفي البزار بإسناد جيد قوي : **[من أتى كاهناً فصدقه بما قال : فقد كفر بما أنزل على محمد]** وأخرجه أحمد والبيهقي والحاكم بسند صحيح .

وأخرج أبو داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم ـ وصححه الألباني : **[من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد]**.

فانظر إلى شدة الوعيد فيمن أتى عرافًا يصدقه فيما يزعم .

وشدة الوعيد تدل على أن هذا الأمر كبيرة من الكبائر .

بل لقد اختلف العلماء في قوله ﷺ : **[هل هو الكفر بمعنى الخروج عن الملة ككفر فرعون أم هو كفر دون كفر . . أم يتوقفون في ذلك فلا يقال: يخرج عن الملة أو لا يخرج.**

وانظر إلى قول النبي ﷺ : **[لم تقبل له صلاة أربعين يومًا]** . .

وقوله : **[إن الكاهن والكهانة في النار]**

واحترم عقلك، واحترم سنن الله تعالى، واحترم سنة نبيه ﷺ . . ودع عنك الذين يرجمون بالغيب، والذين يسرقون أموال الناس، والذين ينشرون بين عباد الله مخدِّرات خطرة اسمها **معرفة البخت ، والإخبار بالمستقبل.**

فلا الكوتشينة، ولا البلورة، ولا المندل، ولا الرمل ، ولا حجارة الطريق، ولا غيرها من الوسائل التي يرفضها:

من يحترم عقله .

ومن يتقي ربه عز وجل .

ومن يصدق نبيه ﷺ.

ومن ارتقى بذهنه فاستحق أن يعيش

بعيدًا عن الضلالات والجهالات . .

ومن يرتقي بمصيره ليتقي نارًا وقودها الناس والحجارة . . بمطلعةٍ أحدًا بشيء من الغيب ولو يسيرًا . .

لا إله إلا الله وحده . . لا شريك له .



على أثر النكتة[1] التي سمعها، أطلق الحاج محمد ضحكة مجلجلة ملأت المكان، واهتز بدنـه كله، وكـاد يستلقي على ظهـره من شدة السعـادة وفرط الابتهاج، واغرورقت عيناه بالدموع، لكنه أمسك فجأة عن الضحك، وقام يمسح عينيه، كاظمًا الضحكة المجلجلة، متمتمًا في شيء من الانقباض: اللهم اجعله خيرًا.

- خيرًا يا حاج محمد! ماذا دهاك؟ هل ثمّ سوء والعياذ بالله؟!

- لا، لا عليك. لكننا نعتقد أن وراء كثرة الضحك - والاستغراق فيه - شيئًا من الكدر، ونرتقب بعض البلاء!!

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. ما هذا الظن الباطل يا خاج محمد؟!

هذا الموقف جزء من عقائد العامة في التشاؤم، ذلك الخصمّ الذي نحاول فيما يلي اقتحامه والتعرف على آفاقه.

---

١ - النكتة في هذا الموضع معناها الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، وهي فصيحة الوسيط ج٢، ص ٩٥٠

الفأل كما عرفه صاحب **الوسيط** هو قول أو فعل يستبشر به، وقد تستعمل الكلمة فيما يكره فيقال: **لا فأل عليك**، أي لا ضير[2]. ويستعمل العامة لفظة الفأل كثيرًا - في مصر - في موضع التشاؤم فيقول أحدهم: **فال الله ولا فالك** - أي أبعد عني شؤمك وشؤم عبارتك.

ولم يعرفه صاحب **اللسان** [3] وإنما أورد تمثيلاً له مكان الحد، فقال: الفأل أن يكون الرجل مريضًا فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوجه في ظنه أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته - كما سمع - وكان هذا من أسرار تسمية العرب عبيدهم بأسماء طيبة المعاني كنجاح ويسار وسالم؛ حتى إذا نادوهم كان ذلك أبعث على التفاؤل وحسن الظن.

وأما **التشاؤم** فهو التطير وإساءة الظن بالحياة، وهو معنى محدث[4]. والشؤم خلاف اليمن، وهو ظنُّ ما تُكره عاقبته وتخاف[5]. قال الشاعر في قوم مشائيم:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً ... ولا ناعبٍ إلا بشؤم غرابها

وتستعمل العامة في مصر مكان مشتقات الفأل أو الشؤم ألفاظًا أخرى للدلالة على المعنى، ففي موضع مكان الفأل يقولون:

- **فلان قدمه قدم السعد - وشه «وجهه» وش الخير**
- **وشه حلو**، وفي الخليج يقولون: **وجه الخير**.

أما في موضع التطير فيقولون: **بوز فقر، بوز الإخص، بوزه أبرم، فقري، نحس، يقطع الخميرة من البيت** .. إلخ هذه المأثورات ذات الدلالة.

---

٢ - الوسيط، فأل ج ٢، ص ٩٧١

٣ - ج ٢، ص: ١٠٤٢

٤ - الوسيط، ج ١، ص ٤٦٩

٥ - اللسان، ج ٢، ص ٢٥٧

تشاءمت أمة العرب من رموز كثيرة عدّتها جالبة للنحس وسوء الطالع، وترجموا تشاؤمهم إلى سلوكٍ عملي، فكانوا إذا نووا سفرًا رجعوا، وإذا خرجوا في سبيل تركوا، وإذا تزوجوا طلقوا، وإذا أرادوا شيئًا أعرضوا عنه متطيرين خائفين، لأن لما توسموه شؤمًا دلالةً تحذيرية من شر مستطير وبلاء يتربص بهم.

فكان بعضهم يتطير من الطير الآتية من الشمال، ويتفاءل بالآتية من اليمين، وبعضهم كان يعكس ذلك.. يقول النابغة:

زعم البوارحُ أن رحلتنا غدًا وبذاك خبّرنا الغداف الأسود

وقال الآخر:

زجرت لها الطير السنيح وإن يكن هواك الذي تهوى يُصبْك اجتنابُها[6]

● وكان الرجل إذا خرج فاستقبلته جنازة يرجع ولا يعود لحاجته لأنها - في ظنه - لن تكون مقضية، فإذا خرج ورأى بعيرًا قد شرد ووراءه من يطلبه، تفاءل بأنه ينجو ويأتيه فرج قريب[7].

● وأرجع بعضهم سبب وأد البنات إلى صفات في المؤودة كان يتشاءم منها أهلها، فكان بعضهم يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء - سوداء - أو برشاء - برصاء - أو كسحاء[8].

● واتخذ العرب بعض النجوم للنحس وبعضها رموزًا للسعد، ولم يتفقوا في ذلك، فكلٌّ رَمَزَ بحسب تجاربه الشخصية التي تصادف طلوع الكواكب، فزحل عند اليمانيين رمز للنحس، وعند الصابئة رمز للثبوت، وعند بعض المسلمين رمز للخير[9].

● وكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره، فإذا التفت تطير، كما كانوا يتشاءمون بولادة الوليد في ليلة قمراء، يقول الأخطل:

---

٦ - من رموز الفأل والطيرة في الشعر العربي، التراث الشعبي، ع ٢/١٩٨٠، ص: ١٠٧ وما بعدها.

٧ - د. نبيلة إبراهيم، ص: ٩٥

٨ - تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص: ٤٥١

٩ - الأنواء والحياة اليومية عند العرب، التراث الشعبي، ع ١٠/١٩٧٥، ص ٦ وما بعدها

فهلاّ زجرت الطير ليلة جئته بضِيقة بين النجم والدبرانِ

وهو مكان تزعم العرب أنه نحس[١٠].

● وتشاءمت العرب من الغراب ـ ولا يزال كثيرون في أيامنا هذه يتشاءمون منه[١١] ـ يقول الجاحظ:

وليس في الأرض بارح، ولا نطيح، ولا قعيد، ولا أعضب ـ مما يتشاءمون به ـ إلا والغراب عندهم أنكد منه.

وقد تشاءم العربي من لونه ومن صوته، فعن صوته يقول قيس بن ذريح:

ألا يا غرابَ البين فيم تصيحُ فصوتك مشنيٌّ إليّ قبيحُ
وكل غداة البين لا أبا لك تنتحي إليّ فتلقاني وأنت مُشيح
تحدثني أن لستُ ألقى نعمةً بَعُدْت، ولا أمسي لديك نصُيح

وقال شاعر آخر:

إذا ما غراب البين صاح فقل له ترفّقْ رماك الله يا طيرُ بالبعد
لأنتَ على العشاق أقبح منظرًا وأبشعُ في الأبصار من رؤية اللحد
تصيح ببينٍ ثم تعثر ماشياً وتبرز في ثوبٍ من الحزن مسودّ
متى صحتَ صحَّ البينُ وانقطع الرجا كأنك من يوم الفراق على وعد

وقد يتفاءل بعض العرب بالغراب ـ وهو قليل ـ يقول قيس بن الرقيات:

بشّر الظبي والغراب بسعدٍ مرحبًا بالذي يقول الغراب
قال لي: إن سعدي قريبٌ قد أنى أن يكون منه اقتراب
قلت: أنّى يكون ذاك قريبًا وعليه الحصون والأبواب[١٢]

كما تشاءمت العرب بالبومة، ولعل السبب يرجع إلى صورتها وشكلها، ولظهورها في الليل الذي هو رمز للشر عندهم.

---

١٠ ـ من صور الميثولوجيا في الأدب العربي، التراث الشعبي، ع ١٩٧٤/١٠، ص: ١٧ وما بعدها.

١١ ـ كما هو الحال في قطر والخليج، انظر محمد طالب الدويك، ح ١، ص: ١٢٢ القصص الشعبي في قطر.

١٢ ـ من رموز الفأل والطيرة في الشعر العربي، قاسم راضي مهدي، التراث الشعبي، ع ١٩٨٠/٢.

ويقال للأنثى منه الهامة. وتكنى بأم الخراب. لأنها تقع على الأرض التي رحل عنها أهلها[13]. ولا يزال القطري والخليجي يتشاءم منها حتى الآن[14] - ومثلهم كثير - لكني رأيت مفكرا عملاقًا كالعقاد رحمه الله يتحدى هذا المعنى. ويضع على مكتبه تمثالاً لبومة. طردًا للمفهوم الشائع عن النحس الملازم لهذا المخلوق في أذهان الناس. وقد أورد هذا الأمر الأستاذ **عامر العقاد** في كتاباته عن عمه في أكثر من موضع وإن كنا نرفض فكرة التمثال لحرمتها القطعية

● وقد حاول بعضهم أن يؤكد على مفهوم الطيرة بعد الإسلام - شذوذًا وانحرافًا - كأبي نواس **الحسن بن هانيء** الذي يقول

واستقبل الملْك في مستقبل الثمر
قام الأمير بأمر الله في البشر ... عن طيب عيشٍ وعن طول من العمر[15]
فالطير تخبرنا - والطيرُ صادقة -

بينما اعتقد آخرون - بل كل المسلمين المتبعين - فساد الاعتقاد في الطيرة وأنكروها، قال **علقمة الفحل**.

ومن تعرّض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بدَّ مشؤومُ

وقال آخر

لعمْرُك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما اللهُ صانعُ

وقال الكميت :

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غرابٌ أم تعرّض ثعلب
ولا السانحاتُ البارحات عشيةً ... أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب[16]

وكان مما يلعب بلبهم رؤية ظبي أعضب - مكسور القرن - أو تعرُّض ثعلب لهم. أو بدّو الطير عن شمائلهم. وكأن هذه المخلوقات تتدخل في قدر الله تعالى وتأتي بما لا يريد - سبحانه -

---

١٣ - السابق

١٤ - الدويك مرجع سابق. وكذلك هي في عقائد العامة من المصريين

١٥ - تثور حول أبي نواس شبهات كثيرة بسبب دعوته للشعوبية والزندقة والإباحية. ويؤكد هذا احتفاء عدد من المستشرقين به وولع كثير من أعداء الإسلام في زماننا بإحياء سيرته فتأمل

١٦ - من رموز الفأل والطيرة. مرجع سابق

وقد جاء أن عكرمة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند ابن عمرو وابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فمر طائر يصيح ، فقال رجال من القوم : خير ، خير

فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . . لا خير ولا شر !!

فقال كعب الأحبار له : ما تقول في الطيرة؟

قال : وما عسيت أن أقول فيها !! لا طير إلا طير الله، ولا خير إلا خير الله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

فقال كعب : إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل، يعني التوراة [١٧].

الغربيون ورد النحس :

وعن الغربي المعاصر حدِّث ولا حرج، فهو رغم التطور المادي الباهر ـ لا يزال متخلف العقل سيىء العقيدة، يستجلب الحظ أو يستدفع النحس بقطعة من «الزلط» يجدها على شاطىء نهر، أو بقطعةٍ من البلاستيك جميلة الشكل، أو عملة معدنية، أو خشبة أو حديدة أو قوقعة أو سنٍّ أو أي شيء ـ أي شيء ـ فإذا فقده اغتمّ وحزن واعتقد أو توقع شرًّا لأنه فقد جالب حظّه وحاميه من الشر !!

لا إله إلا الله . .

● وهم يتشاءمون أشد التشاؤم من رقم ١٣ ، وابحث عنه في فندق أو مستشفى أو مصعد أو ناطحة سحاب فلن تجده ـ ولو حرصت ـ لأنهم في غالب الأحيان يلغونه أو يحلون محله رقم ١٢أ[١٨].

لقد شاهدنا في الحياة اليومية ـ عشرات المرات ـ شخصيات تؤدي أدوارًا اجتماعية محترمة ـ كأساتذة الجامعة أو علماء الفيزياء أو الأطباء أو غيرهم ـ يتفاءلون بزلطة . . إي وربي زلطة !

وهناك «موضة» دولية، اسمها «التعويذة» نراها بأمهات أعيننا، وهي اختراع أوربي خالص، لا يشاركهم فيه مشارك .

---

١٧ ـ أديان العرب في الجاهلية، ص: ٣٧٩ عن عيون الأخبار لابن قتيبة ص: ٤٢

١٨ ـ برنارد الأسطة، ص : ٢٢ ـ السحر والقوى الخارقة في الإنسان، ط: دار ميوزيك ببيروت .

ففي الـدورات الأولمبية والمسـابقات الكبرى يعملون تعويذة لجلب الحظ، تكون شعارًا وحـارسًا للدورة وتقلدهم للأسف في ذلك الدول الإسلامية تقليدًا أحمق؛ فصار قرن الشطة تعويذه مكسيكية عالمية، والدب تعويذة كورية عالمية، والكلب - إي والله - تعويذة إسبانية عالمية غطت وجه الكرة الأرضية أثناء أولمبياد برشلونة الذي لا تزال أخباره تطاردنا صبح مساء، وصار «حورس» تعويذة مصرية في كأس الأمم الأفريقية، وصار الجمل تعويذة كويتية وهلمّ خيبةً.

واقرأ معي عن هذه التعاويذ «الجالبة للحظ» كما نشرت وكالات الأنباء في ١٩٩٢/٧/٢٥ لتطلع على نفسيات بعض أناسي القرن الحادي والعشرين الذين لا يزالون يؤمنون بالخرافات، ويعتقدون أن من الحجارة أو المعدن ما يرد قدر الله - سبحانه وتعالى عما يعتقدون -

* رياضيو أيسلنـده جلبوا معهم صخورًا بركانية لجلب الحظ، وبعضهم جلب مياهًا من الينابيع للتفاؤل[١٩].

* رياضية من أمريكا تتفاءل بقبعة حققت انتصارات وهي تلبسها !!

* رياضية أخرى من أمريكا تتفاءل بدمية دبة !!

* ومصارع برتغالي يتفاءل بزوج من الأحذية.

* وعداءة من جامايكا تتفاءل بساعةٍ أهداها لها «صديقها» لأنها - كما تزعم - تجلب لها كثيرًا من الحظ.

* وفي النهاية يقول أحدهم: لا أعتقد أنني التقيت قط برياضي غير متطير، فبعضهم يرفض حتى تغيير أغطية الأسرة لاعتقادهم أن ذلك يجلب سوء الحظ !!



١٩ - اعتقاد أن بعض الينابيع مسكونة بالجن والأرواح اعتقاد عالمي، وينتشر أيضًا في بعض بلاد المسلمين

وأما عقائد العامة ـ من العرب على اختلاف أقطارهم ـ فتؤكد أن الجهل بالعقيدة الصحيحة ألقى بكلكله ـ كما يقول المتقعرة ـ وباض وفرّخ بينهم، فهم يتفاءلون بأي شيء، ويتشاءمون من أي شيء . .

وقد أجرى الدكتور **عبد الرحمن عيسوى**[20] دراسة على **٤٣٥** شخصًا من المصريين واللبنانيين فوجد أن :

- ـ ، ٢٣٪ من المصريين يتشاءمون من الأرقام .
- ـ ، ٢٢٪ من اللبنانيين يتشاءمون منها كذلك .

ووجد أن ١ , ٢١٪ **يتشاءمون من الغراب** .

ومن دراسة على ٦٠٤ طلاب وطالبات في لبنان وجد أن :

٩٢,٧٪ منهم ومنهن يرى أن تعليق حدوة الحصان على مدخل الدار يجلب الحظ الحسن !!

ووجد أن من أكثر الخرافات شيوعًا في مصر اعتقادهم :

- **أن صوت البومة بجوار البيت نذير الخراب .**
- **وأن فتح المقص يجلب سوء الحظ .**
- **وأن كسر المرآة ـ كذلك ـ يجلب سوء الحظ، أو أي إناء لأنه «خد الشر وراح» .**
- **وأن الحذاء المقلوب يجلب النكد .**

- **وأن يوم الجمعة فيه ساعة نحس** . رغم أن السنة المشرفة صرحت أن بها ساعة مباركة يجاب فيها الدعاء، ورغم أن الأحاديث جعلت يوم الجمعة أكثر أيام الأسبوع بركة ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا :

---

٢٠ ـ سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي ـ ط دار النهضة العربية، بيروت، انظر صفحات : ٢٢، ٨٢، ١٢٧، ٢٣٥

[فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه] وقال في حديث أخرجه مسلم مرفوعًا [خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة] وحديث أوس بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا: [إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي] رواه أبو داود بإسناد صحيح[٢١].

● ويتشاءم المصريون وغيرهم من طنين الأذن ورفيف العين وأكلان اليد وخدر الرجل[٢٢].

● ويتشـاءمون كذلك من بعض الأشخاص ذوي الوجوه التي «تقطع الخميرة من البيت» وكانت التقاليد الشعبية في مصر حتى أواخر القرن التاسع عشر. تقول إن من العوائد القديمة عدم إعارة الخميرة بعد غروب الشمس، وإذا احتاج الأمر قدموها ـ ومعها قليل من الملح[٢٣] ـ ولا يزال هذا التعبير الكنائي وهذا الطقس شائعًا في الريف المصري إلى اليوم

● ويضع بعض النصارى ـ في مصر ـ تمساحًا على باب البيت لجلب السعد

● وتتشاءم المرأة المصرية من اللونين الأسود والأزرق ـ النيلة ـ ولا يلبسان إلا في الحداد عادة !

● ويتشاءمون من الضحك الكثير ويظنونه جالبًا للشر، ويقولون: اللهم اجعله خيراً[٢٤].

● كما يتشاءمون من الكوسج ـ الذي لا شعر على عارضيه ـ ويقولون في الأمثال: «صباح القرود ولا صباح الأجرود».

● ويتشاءمون كذلك من الأعور قائلين: «الأعور إن طلع السما يفسدها»[٢٥].

وفي لبنـان: يتشـاءم الناس من رؤية قسيس في الصباح، لذلك فإن أمثالهم لا تخفي عقيدتهم حين تجد فيها:

---

٢١ ـ اقرأ في رياض الصالحين باب فضل يوم الجمعة والدعاء والصلاة على النبي ﷺ وساعة الإجابة إلخ.. ص: ٤٢٦

٢٢ ـ أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص: ٢٩

٢٣ ـ سعد الخادم: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، الألف كتاب، رقم ٤٨٦، ص: ٤٢

٢٤ ـ د. كمال نشأت: الخرافات الشعبية، التراث الشعبي ع ١٩٧٤/١٢

٢٥ ـ انظر الأمثال العامية: تيمور باشا.

صباح إبليس، ولا صباح القسيس
صباح النوري، ولا صباح الخوري
صباح الشيطان، ولا صباح الرهبان[٢٦]

وأما في الأردن[٢٧] فمن عاداتهم أن يعدوا أفراد العائلة الذكور بواسطة حبات المسبحة طردًا للشيطان ودفعًا لعيون الحاسدين، كما يعتقدون أن العد على أصابع اليد هو محق للعائلة ودعاء عليها بالموت

● ويتشاءم بعض الأرادنة من شرب الماء عند اصفرار الشمس، لأن هذا هو الوقت الذي ينتشر فيه الجن على الأرض

● ويتشاءمون كذلك بحك أخمص القدم اليمنى، فهو نذير بوفاة حبيب أو خسارة مالية !!
● ويتشاءم بعضهم من كنس الدار عند توديع مسافر فربما لا يعود .
● ويتشاءمون من تناثر قشر الثوم على أرضية المنزل، فلو مشى عليه أحد الزوجين لكان إيذانًا بالفراق .

* وفي العراق رموز عجيبة للفأل والشؤم[٢٨] .

فالكنس بمكنسة جديدة قبل تقليم أطرافها يجلب الفقر لأهل الدار، وكذا منع الخميرة ممن يطلبها بعد غروب الشمس (عكس المعتقد الشعبي المصري !!)

ووضع قليل من الرز والملح في أساس الدار عند بنائها يجلب المسرة (!!).

● وغسل كيس النقود ـ مهما بلغ من الاتساخ ـ لا يجوز لأنه ينذر بانقطاع الرزق .
● وتراكب فردتي حذاء ـ إحداهما فوق الأخرى ينبىء بقرب سفر صاحبهما، وتلامسهما من المقدمة دليل الرزق الآتي !!
● كما يتشاءمون من نهيق الحمير ـ للدلالة نفسها ـ ومثلهم في ذلك أهل قطر الذين يزيدون

---

٢٦ ـ المعتقدات والخرافات الشعبية اللبنانية، راجي الأسمر، ص: ١٢٢

٢٧ ـ د. سليمان عبيدات: دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، ص: ٢٥٣، ٢٩١

٢٨ ـ انظر التراث الشعبي. ع ١٢/١٩٧٣، ص ٣١ وما بعدها ع ١/١٩٧٤

عليهم بالتشاؤم من رغاء الناقة .

وفي قطر يتشاءمون من الدجاجة إذا أذنت مثل الديك ويذبحونها اتقاء الشر . ولا تغسل المرأة ثيابها ولا ثياب أسرتها يوم السبت والثلاثاء لاعتقادها أن ذلك شر مستطير وكذا التنظيف - الخمم - عند الغروب ، وخياطة الثياب البيض في الليل والنعال المقلوبة «المكبوبة» وتحريك المفاتيح في الأبواب حتى لا تنشأ المشاكل بين الزوجين، ولا يفتح المقص في وجه الصغير «الجاهل» ولا ينظر المرء في المرآة «المنظرة» ليلاً لأنه يجلب الشر . . إلخ[٢٩] .

وقد أشار الشيخ أحمد بن حجر في تحذير المسلمين[٣٠] إلى بعض عقائد العامة - من النساء - فذكر أن منهن من إذا سافر من بيتها أحد تترك كنس البيت وتنظيفه يومين أو ثلاثة تشاؤمًا، زعمًا أنها إذا كنست البيت فكأنها كنست أثره من بيتها فلا يعود إليه . ومنها أن بعضهن لا تُخرج من بيتها - بعد المغرب - نارًا ولا قدرًا ولا منخلاً ولا غربالاً ولا خميرة ولا شيئًا من الماعون لأنها إن فعلت ذلك خرج زوجها من البيت بموت أو غيره .

كما ذكر في موضع آخر - ص : ١١٣ - عن تطير بعض الجهال بامرأة يتزوجها أو بدار يسكنها وبشهر صفر، وبيوم الأربعاء من آخر الشهر، أو بالعطاس - كأن يريد أن يذهب إلى مكان أو يعمل شيئًا، فإذا عطس أحد الحاضرين تشاءم فلم يذهب إلى وجهته ولم يؤد عمله !!

وبعضهم لا يتزوج في شوال وذي القعدة لأنهما يقعان بين عيدين !! وآخرون إذا مات لهم شخص لا يتزوجون ولا يزوجون حتى تمضي سنة كاملة أو عيد من العيدين



٢٩ - د. الدويك، ج ١، ص ٢٢٢ وما بعدها

٣٠ - تحذير المسلمين عن البدع والابتداع في الدين، ط ١٩٨٢/٢ الدوحة ص ٢٩٠

المأثور من ألفاظ التشاؤم والتفاؤل بين المصريين :

تدور جملة من الألفاظ الشعبية والكنايات العامية التي تومىء إلى عقيدة الناس وعقليتهم الخرافية التي استباحت الجنوح العقيدي خوفًا من حذاء مقلوب أو مقص مفتوح أو رجل قد خدرت !!

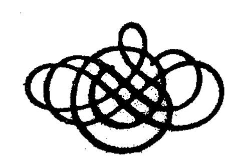
فمن مأثوراتهم عند التفاؤل قولهم : **فلانة قدم السعد، وفلان وشّه «وجهه» حلو - وشه وشّ الخير** - وفي الخليج يقولون : **وجه الخير** .

ومن مأثوراتهم عن التشاؤم قولهم : **فلان بوز الإخص - بوزه فقر - بوزه أبرم - فقري - وشه نحس - يقطع الخميرة من البيت - قطع الحلبية والرايبة - وشه فيه بَعَتَ الله** - وغيرها من الألفاظ التي تدل على التشاؤم والاستقباح .

ومن كناياتهم أيضًا قولهم: **أنا اصطبحت بوش مين أو : أنا استفتحت بوش مين ع الصبح** .

اعتقادًا أن رؤية بعض الوجوه - كالأسود والأعور والكوسج والأصفر - جالبة للنحس سادّة للرزق

ولا إله إلا الله . .



لا يخفى على أي مسلم له قدر يسير من المعرفة بالإسلام أن هذا الدين يركز على التوحيد، ويعمل على تنقية عقائد المسلمين من كل شائبة تشوب إفراد الله تعالى بالقدرة والهيمنة، وتبطل كل تصور فاسد يذهب إلى أن هناك مؤثرات أخرى تغير من أقدار الله تعالى أو تتدخل في إرادته عز وجل، لأنها شرك، فالله تعالى أحد صمد، ليس له ولد ولا شريك، ولا يكرثه شيء، ولا يحول دون إرادته حائل.

لذا كان موقف الإسلام صريحًا في إبطال عادة التطير والإحساس النفسي بالنحس الكامن في بعض الأشياء، وقد كان لعرب الجاهلية سبح طويل في هذا الجانب واعتقادات شتى حتى جاء الإسلام وردهم إلى النهج العقلي القويم.

فقال النبي ﷺ: [**ليس منا من تطير أو تطير له**] الطبراني عن ابن عباس بسند حسن

لأن هذا التطير أمر قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح، إنما هو انسياق وراء الضعف، وتصديق للوهم، وإلا فما معنى أن يصدق إنسان عاقل أن النحس في شخص معين أو مكان معين، أو ينزعج من صوت طائر أو حركة عين أو سماع كلمة[٣١]

وإذا كان في الطبع الإنساني شيء من الضعف يسول للإنسان أن يتشاءم من بعض الأشياء - لأسباب خاصة - فإن عليه ألا يستسلم لهذا الضعف أو يتمادى فيه، وخاصة إذا وصل إلى مرحلة العمل والتنفيذ.

وقد روى الطبراني مرفوعًا: [**ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الظن والطيرة والحسد فإذا ظننت فلا تحقق.**

وإذا تطيرت فلا ترجع

وإذا حسدت فلا تبغ].

---

٣١ - الحلال والحرام في الإسلام للدكتور القرضاوي، ٢٣٦

وبذلك تكون هذه الأمورالثلاثة مجرد خواطر وأحاديث نفس لا أثر لها في السلوك العملي. وقد عفا الله تعالى عنها .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: [الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك] . . قال ابن مسعود: «وما منا إلا - وقد وقع في قلبه شيء من ذلك - ولكن يذهبه الله بالتوكل»[٣٢]. أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في الصحيحة - ٤٢٩ -

وينهى النبي ﷺ عن اتباع النفس ومطاوعتها في ظنها في شؤم شيء فيقول في حديث أخرجه أحمد بسند صحيح : [من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك] قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول [اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك].

واستحب النبي ﷺ التفاؤل، وكان يغير الأسماء القبيحة تفاؤلاً،

والفأل كما قال في فتح المجيد[٣٣] أحبه النبي ﷺ لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلي ما يوافقها ويلائمها، وبالجملة تحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى ونحو ذلك . . فإذا قرعت هذه الأسماء النفوس استبشرت بها وانشرح الصدر وقوي القلب.

وقال الحليمي : وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن .

---

٣٢ - ص: ٢٦٨ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ط مكتبة الرياض الحديثة .

٣٣ - اقرأ في ذلك : أديان العرب قبل الإسلام لجرجس داود ، و تاريخ العرب في عصر الجاهلية للدكتور السيد عبد العزيز سالم تجد مصداق ذلك.

وقد روى الترمذي وصححه أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع : يا نجيح ، يا راشد .

وروى أبو دواد عن بريدة أنه ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث حاملاً له سأله عن اسمه فإذا أعجبه فرح به

وتلخيصًا لنظرة الإسلام : نقول إن التطير أو التشاؤم مرفوض رفضًا باتًّا في عقيدة الإسلام باعتباره شركًا وتطاولاً على أقدار الله تعالى .

● وإن التفاؤل على طريقة العوام أو الغربيين مرفوض رفضًا باتًّا ، ولا يختلف حكمه عن حكم التشاؤم لأنه يذهب إلى أن الحجارة أو القواقع أو المعادن تؤثر في أقدار الله تعالى ، فهو شرك لا يختلف عن ظن أهل الجاهلية الأولى الذين كان إذا وجد أحدهم حجرًا أعجبه ملمسه أخذه ومجّده ، وجعله إلهًا ، فإذا وجد حجرًا آخر أجمل من الأول ألقاه وعبد الثاني[٣٤] !!

وإن التفاؤل بمعنى ارتياح النفس وانشراحها لسماع كلمة طيبة أو لفظة مبشرة أمر لا بأس به في نظر الإسلام ، لكنه لا يرد قضاءً ولا يجلب خيرًا ، بل هو من باب مراعاة نزوع النفس الإنسانية إلى ما يريحها ويبث فيها الأمل والسكينة .

وإن عقائد المعاصرين في التفاؤل والتشاؤم ـ سواء كانوا من الغربيين «المتحضرين» أو من العرب أو المسلمين ـ هي عقائد متخلفة وخرافية يجب أن يترفع عنها العاقل ، فضلاً عن المؤمن الذي يسلم بأنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد .

إن النبي ﷺ قاوم العقائد الخرافية ومنها التطير، حين قال : **[لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر]** وحين قال : **[من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك]** ، وهذا واجبنا في تنبيه الناس إلى العقائد الخرافية وخطرها في الأولى والآخرة .

والله أعلى وأعلم .

الفصل الثاني

الوشم والشلخ في عقائد العامة

- الوشم والشلخ في عقائد العامة
- كَهَيْعَصْ : تحريف وتعوّذ
- القمر بين الحوتة وعمر
- تريدين أن يعيش ؟ جرسيه
- عقم وجاهلية



الوشم والشلغ في عقائد العامة

ربما يختلف الناس في النظر إلى الوشم كشكل من أشكال التجميل التي تستخدمها بعض المجتمعات، لكن لا بد أن هناك فريقًا من الناس يستحسنه، ويراه وسيلة تزيينية جذابة، بل ويفرط في استخدامه، فللناس فيما يعشقون مذاهب، ولكل ساقطة في الحي لاقطة، ولولا اختلاف الأذواق لبارت السلع.

لذلك فإن القارىء لحديث النبي ﷺ في الوشم سيلحظ شدة لهجته، وشدة الوعيد فيه، وربما استغرب - كما استغربتُ - **لماذا جاء هذا التقريع والتحذير والتخويف من الوشم . . إنها مسألة تجميلية تخضع لأذواق الناس، أفتستحق هذا كله؟!**

أفتستحق الواشمة اللعن . . كما جاء في حديث ابن مسعود في البخاري ومسلم : [**لعن الله الواشمة والمستوشمة . .**]

إنها - ولا شك - مسألة لافتة للانتباه، ولا بد أن خلف هذا الوشم أسرارًا أبعد من كونه مسألة تجميلية، ليكون جديرًا بالتحريم والإنكار والرفض، وهذا ما جعلني أفتش وراءه لأقول: صدق رسول الله ﷺ، **فإنه لا ينطق عن الهوى . .**

لقد أصر كثير من شراح الحديث على أن المراد به التغيير - وحده - لخلق الله تعالى، وربما لم ينتبه كثيرون إلى أنه من أمر الشيطان الذي أقسم في سورة النساء - ١٩ - أن يتخذ من عباد الله - نصيبًا مفروضًا، وأقسم الخبيث قائلًا: **﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾** في سياق الكلام عن الشرك والسلوكيات الوثنية من دعاء الإناث، وعبادة الشيطان، ووقف الأنعام على الجن والأصنام.

ففي القضية - إذًا - جذور تضرب عميقًا تحت الأرض لتمتاح من ماء الوثنية والشرك، وليست المسألة مجرد زينة أو تغيير، فبعض التغيير مباح كالتكحل، والتخضيب بالحناء، واستخدام الأصباغ والملونات !!

فتعالوا نقرأ التاريخ، ونتأمل الحاضر، لنعرف لماذا لعن الله الواشمة والمستوشمة :

● **ما هو الوشم . وما هو الشلخ :**

الوشم : هو ما يكون من غرز الإبرة في البدن، وذرّ النِّيلج عليه حتى يزرقّ أثره أو يخضرّ جمعه وشوم ووشام، واستوشم فلانًا أي طلب منه أن يشمه، والفعل وشم ووشَّم واتّشم[1].

ويُعمل الوشم بتثبيت الرسوم والخطوط ـ المعدة سلفًا ـ بالجلد، وذلك بالضرب بالإبرة حتى يدمى ثم يحشى بالنؤور والنيلج .

وقد قال أبو عبيدة في الوشم في اليد : إن المرأة كانت تغرز ظهر كفِّها ومعصمها بالإبرة حتى تؤثر فيه، ثم تحشوه بالكحل، أو النيل، أو النؤور فيزرقّ لونه أو يخضر

وقيل في الشعر العربي في موشومة :

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشًا على معصمٍ أوهت به جلدي[2]

وقال لبيد ـ رضي الله عنه ـ في معلقته التي مطلعها :

عفت الديارُ محلُّها فمقامُها بمنىً . . تأبّد غولُها فرجامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها زُبُرٌ تجدُّ متونها أقلامُها

أو رجع واشمة أُسفّ نؤورُها كِففًا تعرّضَ فوقهن وشامُها

وأما الشلوخ ـ جمع شلخ ـ فهي خطوط وشطبات بالموسى على الوجه بطوله أو بعرضه في سمتٍ ثابت متفقٍ عليه قبليًّا .

وهي منتشرة بين القبائل السودانية، وبين بعض القبائل الأفريقية كما في نيجيريا[3].

فإذا دخلنا في التاريخ لرأينا أن الواشمة ـ بين القبائل الوثنية التي تقدس الطواطم ـ كانت تطبع صورة الطوطم على جسم الإنسان المراد امتزاجه بطوطمه المقدس، وكان خروج الدم شعيرة دالة على امتزاج الفرد بالطوطم امتزاجًا ماديًّا ومعنويًّا .

ومن هنا نشأت عادة الوشم أول ما نشأت .

---

١ ـ المعجم الوسيط، ج : ٢، ص : ١٠٣٥

٢ ـ ليث الخفاف : الوشم ووحدة الفلكلور العربي ـ التراث الشعبي، ع ١٠/ ١٩٨٠م

٣ ـ أبو بكر باقادر ، الوسم والوشم والشلوخ، المأثورات الشعبية، ع ١٠/١٩٩١م

ويؤكد بعض علماء المصريات الباحثين في تاريخ مصر القديمة أن المصريين القدماء عرفوا الوشم ومارسوه في ظل ديانتهم القديمة، وربطوه بها ربطًا كبيرًا.

ولم يقتصر أمر الوشم على التجميل فحسب ـ أيام الفراعنة ـ إذ كان وسيلة علاجية لشفاء الأمراض، كما ظُن هذه الأيام أنه يمنع الحسد. والوحدة المثلثة الشكل التي لا تزال تستعمل في أيامنا هذه في شكل حجاب، وكذلك التعويذة المسماة خمسة وخميسة، ما هي إلا بقية من معتقدات المصريين القدماء في الماضي السحيق[٤].

ويعتبر الوشم أيضًا نوعًا من افتداء النفس، فلقد كان من تقاليد فداء النفس للآلهة ـ أو الكهنة أو السحرة الذين ينوبون عنها قديمًا ـ أن الشاب أو الرجل تتطلب منه الظروف في مناسبات خاصة أن يعرض جسمه لأنواع من التشريط والكي على سبيل الفداء، ولتكسبه آثار الجروح مناعة، وتجلب له الخير!![٥].

وفي غينيا كان الوشم وسيلة انتقال الصبية إلى الرجولة، ويقال حينئذٍ إن الإله يفتك بأسنانه وأنيابه بالموشومين، ليثبت انتقالهم إلى فترة الرجولة، وهذا الحفل يتكرر عادة كل خمس أو سبع سنوات.

وعلى أهل الصبية تقديم قرابين هذا الحفل الذي يشترك فيه ما يزيد على ثلاثة آلاف فرد.

أما الموشومون ـ بعد دق الوشم على ظهورهم ـ فيجبرون على الاضطجاع على حصير دون حركة. ويقال في هذا الشأن إن الصبي في فترة المراهقة يتحتم عليه أن يموت كطفل، ليولد كرجل مدركٍ حقوقه الاجتماعية، ولذلك يقال لأهل الصبية في هذه المناسبة إن الأرواح التهمت أبناءكم، ومتى هضمتهم سيعودون إليكم سالمين[٦].

وأما نساء الفولاني في غربي أفريقيا فتغطي جلودهن مساحات من الوشم برسوم الحيوانات «المفترسة» والكتابات العربية وآيات القرآن والحروف اللاتينية والتمائم والتعاويذ[٧].

---

٤ ـ سوسن عامر: الوشم في الفن الشعبي، التراث الشعبي، ع ١٩٧٨/٩م

٥ ـ سعد الخادم: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص: ٣٦ وما بعدها.

٦ ـ المرجع السابق.

٧ ـ ليث الخفاف، مرجع سابق.

وتستخدم بعض الشعوب الوشم رقية لإبطال الأعمال السحرية، أو ضد أعمال الشر، أو تميمة واقية من الحسد والإصابة بالعين.

● ولا تزال هذه الممارسة سارية حتى الآن لدى السكان الأصليين في استراليا وأفريقيا - وحتى القبائل العربية - حيث تقوم بعض القبائل بممارسة الوشم باللون الأخضر للتعبير عن السعادة والسلام والأمن، وباللون الأسود ضد العين والحسد.

● ويتجسد دوره السحري عند بعض النوبيين الذين يعتقدون أن الوشم فوق العين من شأنه تقوية البصر.

● ويعتبر الوشم في تاهيتي مناسبة للاحتفالات العائلية والدينية التي تشبه - إلى حدٍّ كبير - حفلات الختان في الدول العربية، فيعتبر سكان تاهيتي الوشم تقليدًا دينيًّا عريقًا ينبغي أن تصاحبه الموسيقى والأغاني والرقص، ويقوم به رجال الدين هناك[٨].

* * فأما في المغرب فلقد لوحظ أنه من ٥ - ٩٪ من مجمل السكان يستوشمون[٩]

* * كما لوحظ أن الفترات التي يمارس فيها الفرد الوشم تتطابق مع فترات الاختلال النفسي، والقلق العاطفي، والتغيرات التي تطرأ على الشخصية أو الحياة الاجتماعية.

* * ولوحظ - أيضًا - أن ٦٢٪ من الموشومين يعانون من تعبير شفوي ضحل، بينما يتمتع ٣٢٪ منهم بتعبير شفوي دون مستوى متوسط الذكاء، وهو في الغالب منخفضٌ قياسًا على غير الموشومين في نفس الأعمار.

* * ولوحظ أن ٤٢٪ من هؤلاء يعانون من عدم الاستقرار في الشخصية، واختلال الأحاسيس والانفعالات، ويمثل الوشم لهم مهربًا من واقعهم النفسي.

وقد لاحظ الدكتور **فؤاد كاظم**[١٠] في دراسته عن الوشم أن الذين يمارسونه في أوروبا هم - في الغالب - من الشبان الصغار من ذوي المستوى العائلي المتدني، وأكثرهم من العاطلين أو الفاشلين دراسيًّا - ٥٦٪ منهم - ووظائفهم تمتاز بعدم الكفاءة والمهارة، كما أنها وظائف غير مستقرة.

---

٨ - د. فؤاد كاظم، الوشم، المأثورات الشعبية، ابريل ١٩٨٩م باختصار وتصرف.
٩ - المأثورات الشعبية، ع ١٠/١٩٩١م الهامش: ٣٣
١٠ - المرجع السابق، وعنه نقلنا الإحصاءات السابقة.

*** وقريب من ذلك ما حُدثت به من أن المجرمين المحكوم عليه بعقوبات طويلة المدى يشمون أنفسهم داخل السجون، وأن نسبة الموشومين منهم عالية جدًا، وليس الوشم وحده منتشرًا بينهم، بل تنتشر فيهم جرائم الشذوذ وتعاطي المخدرات وغيرها !!**

* والملاحظ أنه من ٥ - ٩٪ من النصارى والمسلمين يستوشمون، رغم تحريم الديانتين للوشم . . فإذا كان الإسلام لعن فاعليه، فإن النصرانية حرمته أيضًا منذ **مجمع نيقية**، ثم حرمه **المجمع الديني السابع** تحريمًا مطلقًا باعتباره من العادات الوثنية .

وقد تقدم مارتن مادون عام ١٩٦٩ بمشروع قانون بتحريم الوشم رسميًا في انجلترا .

وأصدرت الحكومة اليابانية عام ١٨٧٠ مرسومًا يحرم الوشم .

وقد كان من الموشومين في أمريكا من المشاهير: الرؤساء **فرانكلين، وروزفلت، وترومان، وكنيدي** - الذي كان يحمل وشمين على جسده يعودان لفترة خدمته العسكرية في البحرية - وكذا ستالين - الذي كان يحمل فوق صدره وشمًا لجمجمة - وتيتو، **ومونتغمري، ودوق إدنبره، وتشرشل** .

عند العرب المعاصرين :

إذا كان المصريون - وخاصة المتعلمين منهم - **يعتبرون الوشم صورة من صور الغباء والانغلاق وضيق الأفق** . . وإذا كانت مأثوراتهم العامية تسخر من الشخص «**المختوم على قفاه**» وينفي أحدهم عن نفسه أنه «**داقق عصافير**» وليس على جانبي جبهته «**١١١**» التي تدل على الغباء والغفلة .

فإن الوشم لا يزال منتشرًا في مناطق كثيرة في المغرب العربي، وفي العراق وبين البدويات في الشام وفلسطين والأردن وفي النوبة وغيرها .

«ولا تزال نساء البدو يشمن أذرعهن بأشتات الأشكال، وينقطن وجوههن بنقاط زرقاء، لا للتجمل فحسب بل لإيقاف الأنظار عند هذه النقاط، لئلا يتجاوزها خبث السحرة إلى أشخاصهن فيؤذيهن»[11] .

---

١١ - ليث الخفاف، مرجع سابق .

ويؤكد هذا المعنى **أكرم قانصو**[12] فيقول بأن الغاية من الوشم قد تكون جمالية أو استشفائية من بعض الأمراض، أو ذات علاقة بالسحر والشعوذة. وكل من دار قليلاً في أرجاء العالم العربي سيلحظ بلا عناء انتشار هذا الأمر بين البدويات والريفيات والغجريات وأمثالهن، كما ينتشر إلى حد ما بين الرجال ذوي الوظائف العضلية وذوي الثقافة المحدودة.

جدير بالذكر أنهم يطورون الوشم الآن في أوروبا ويستخدمون آلات مختلفة ويرسمون لوحات معقدة على الصدور والبطون والأفخاذ، بل أحياناً ينفذون اللوحات العالمية كالموناليزا، ولوحات القديسين كأبي سيفين، وكالتنين وغير ذلك. كما يجدر أن ألفت النظر إلى أنه تتسلل بضاعة مشبوهة في الأسواق العربية، وهي أوراق مجهز عليه رسم الوشم - أي وشم - يلصقة الأولاد الصغار على أجسادهم بمجرد أن يبتل بالماء، ويحدث شيئاً من التهيج للجلد ولعل به شيئاً من المواد المخدرة. فليعلم

الرمز في الوشوم

تركت الأهمية السحرية للوشم تأثيرها على الرموز والنقوش والصور المستعملة في التنجيم ومنها صور النجوم والشمس والقمر. فقد صُورت الشمس - في الوشم - أشكالاً دائرية مشعة أو ما يشبه النجم الكبير، وأحياناً تُرسم دائرةً في وسطها نقطة، أما القمر فقد اعتبره الإنسان منذ القدم رمزاً للسحر، وصوّره بهيئة قرني حيوان، ثم اتخذ من قرني الثور دلالة ورمزاً. ونراه أحياناً ممثلاً على هيئة امرأة واقفة مفتوحة الذراعين إلى الأعلى بما يشبه الهلال.

وفي أسلوب آخر يصور القمر بالطريقة التي تصور بها الشمس إلا أنه يكون أصغر حجماً. ونرى ذلك واضحاً في رسوم وشوم الجبهة والأنف، وهي أهلّة ونقاط تبعد - في زعمهم - الشر والحسد[13] انظر: شكل (٢).

وربما نحتاج إلى استطرادة يسيرة هنا لنتحدث عن الرموز الشائعة بين العامة - إن في الوشم

---

١٢ - المأثورات الشعبية، ع ١٠/١٩٩١م

١٣ - ليث الخفاف، مرجع سابق

أو الرسوم والتصاوير الشعبية أو على الثياب أو غير ذلك ـ وتكون ذات دلالات عقيدية خاصة .

ولنأخذ مثلاً نقوش الثياب الفلسطينية[١٤] لنقرأ ما بها من رموز تكون ذات دلالات وثنية والثوب الفلسطيني ثوب جميل يعتمد التطريز اليدوي ـ عادة ـ مما يجعل المعاني الشعبية تنتقل فيه باستمرار ومن جيل إلى جيل، ويعتمد الرموز الهندسية والخطوط، فالخط الأفقى يرمز إلى الشر، بينما العمودي يرمز إلى الخير .

والمثلث يرمز إلى السماء إذا كان رأسه لأعلى، فإذا عكس مثّل الأرض .

واجتماع المثلثين يعني الخصب، واجتماعهما على شكل معينٍ هندسي ـ بجانب كونه يمثل الخصب ـ فإنه يرمز إلى منطقة «الفرج» في تمثال «عشتار»، وعلى هذا يمكننا أن نفسر: لماذا أخذ «الحجاب» شكل المثلث .

وهنـاك أشكـال تمثـل بعض الأزهـار، وخصوصًا شقائق النعمان لما لها من تأثير وارتباط بأسطورة أدون .

وهناك تطريزة الحمام المكتف، والوثن الجاهلي مناة كان يرمز لها بالحمامة، وهي إلهة الحب والحرب عند الكنعانيين، وهناك أشكال بعض الطيور كالديك لعلاقته بالنور والشمس .

وهناك شكل إنسان يطرز على الثوب أو يدق في مكانٍ ما بجسد المرأة ـ وشمًا ـ لتحصينها، ومناطق تزيين الثوب الفلسطيني هي أسفله وجانباه وأكمامه وقبته، وهذا نابع من اعتقاد شعبي بأن الأرواح الشريرة يمكن أن تتسلل من الفتحات الموجودة في جسم الإنسان، لذا تضطر المرأة لتطريز فتحات ونهايات الثوب[١٥] .

الشلوخ :

قلنا إن الشلوخ منتشرة في السودان وأفريقيا . وهي ـ بجانب كونها بطاقة هوية وعلامة انتماء ووسيلة تزينية ـ اعتبرت وسيلة للتخلص من بعض أنواع السحر والحسد، مثل الطفل الذي

---

١٤ ـ اقرأ في ذلك : الزخارف والنقوش في الثوب الفلسطيني، عوض سعود عوض، المأثورات يناير ٨٩

١٥ ـ رغم رفضي لمنهج التفسير للرموز بهذه الطريقة لكنها وجهة نظر أحببت عرضها، وسأفصل التعليق على مناهج الفلكلوريين في مبحث تالٍ بأمر الله

يولد بعد عدد من الأطفال ماتوا في صغرهم، عندها قد يغير والداه شلخه القبلي التقليدي إلى شلخ قبيلة أخرى اعتقادًا منهم أنهم يضللون ملك الموت ومن ثم ينجو الطفل ويعيش .

وكذلك يفعلون إذا ولد طفل بعد موت والده مباشرة اعتقادًا منهم أن ذلك يساعد على عدم تعرف روح أبيه عليه، ومن ثم لا يختطفه الموت أو حتى لا تحلق روح الميت فوق الطفل .

وقد يوضح الشلخ للحماية من الحسد وإن لم يكن هذا التقليد واسع الانتشار[١٦] .

لماذا لعن الواشم والمستوشم ؟

هكذا وجدنا من الاستعراض السابق أن الوشم استخدم في أغراض عقدية كثيرة:

- فهو مرتبط بالديانات الفرعونية والوثنية الأخرى.
- ويستخدم تعويذة ورقية ضد الموت، وضد العين الشريرة، وضد الجن .
- ويستخدم للحماية من السحر .
- ويستخدم قربانًا لفداء النفس في العقائد البدائية الوثنية .
- ويقترن في بعض المجتمعات ـ بالموسيقى والأغاني والرقص بمشاركة الكهنة والمشعوذين.
- ويستخدم في رموز وثنية كثيرة تعود إلى الكنعانيين أو الفراعنة أو غيرهم .
- بجانب استخدامه وسيلة للتزين والتجمل .

ألم يكن الرسول ﷺ يصدر عن وحي الله تعالى حين لعن الواشمة والمستوشمة وكذا الواشم والمستوشم ؟!

واللعن طرد من طاعة الله ورحمته. فالواشم والموشوم يدوران في فلك الجن والسحر والشعوذة والوثنية، وهذا كله يتناقض مع الإسلام ظاهرًا وباطنًا، وشكلًا وموضوعًا.

وإني لأعجب أشد العجب أن كثيرًا من كتب العقائد لم تدرج الوشم ضمن مادتها، وإنما

---

١٦ ـ أبو بكر باقادر ، الوسم والوشم والشلوخ، المأثورات، ع ١٠/١٩٩١م

يُجعل ـ عادة ـ ضمن أبواب الآداب الاجتماعية أو اللباس والزينة . وقد فحصت عددًا لا بأس به من كتب العقائد فلم أجدْ بها، وإنما كان في كتب السنّة الجامعة، رغم أن أليق الأماكن به أن يكون ضمن العقائد المرفوضة المزدراة.

وقد أورد فضيلة الدكتور القرضاوي كلامًا عن الوشم ضمن كلامه عن اللباس والزينة في «الحلال والحرام في الإسلام» وأشار إلى الجانب الوثني فيه فقال :

أما الوشم ففيه تشويه للوجه واليدين[17] بهذا اللون الأزرق والنقش القبيح .

وقد أفرط بعض العرب فيه ـ وبخاصة النساء ـ فنقشوا به معظم البدن، هذا إلى أن بعض أهـل الملل كانـوا يتخـذون منه صورًا لمعبوداتهم وشعائرهم، كما نرى النصارى يرسمون الصليب على أيديهم وصدورهم. أضف إلى هذه المفاسد ما فيه من ألم وعذاب بوخز الإبر في بدن الموشوم.

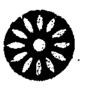
وكلام فضيلة الدكتور ينطبق أيضًا على الشلوخ .

فالتعذيب بها شديد لأنها تكون عميقة بالوجه، وتغطي طوله وعرضه أحيانًا،

ولأنها تستخدم للأغراض التي لخصناها، فما يجري على الوشم يجري عليها شرعًا.

وأشار الأستاذ سيد قطب ـ عليه رحمات الله ـ[18] إلى أن الوشم فعل وثني، وأن الشيطان ـ عليه لعائن الله ـ هو الذي يأمر بهذا الشرك وتوابعه من الشعائر الوثنية ، وذكر أنها حالة استهواء تنحرف بالفطرة البشرية عن الإيمان والتوحيد إلى الكفر والشرك.

وذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثًا . . . ﴾ النساء: ١١٧ وما بعدها أن الشيطان يدفع الناس للأفعال القبيحة والشعائر السخيفة والأساطير . . فتأمل .



١٧ ـ تشم المرأة ـ أحيانًا ـ بدنها كله، حتى مواضع العفة منها، ولكل موضع من الساعدين أو الكفين أو الوجه أو الصدر أو الأرداف أو الظهر نوع من الوشم خاص به، لكن لم أشأ التوسع في ذلك لأن المقام لا يحتمله ويمكن الرجوع إلى المصادر المذكورة بالمقالة للتوسع .

١٨ ـ الظلال، ج: ٢، ص: ٧٦١ في تفسير سورة النساء .

كَهَيْعَصْ تحريف وتعوّذ

الحسد وشعائره بين العامة

جاءني أحدهم ذات مرة يطلب أن أخطّ له على السيارة كلمتين يقرؤهما على السيارات كثيراً، ولا يعرف ما هما . . فقلت: وما الكلمتان؟ قال كَهَيْعَصْ - على وزن: غضَنْفَرْ - وحَمَ عَسَقْ - فضحكت وقلت مصححًا: إنهما لا تنطقان هكذا، كما أنهما ثلاث آيات من القرآن الكريم . . فقال: وما أدراني؟! إن الناس يكتبونها حرزاً على السيارات يستدفعون بها الحسد، كما يكتبون ويفعلون أشياء أخرى كثيرة . . فقلت له نعم: إن إبليس عليه لعائن الله لا يضيع وقته، فإنه يصر على أن يبر بقسمه الذي قطعه على نفسه بألا يألو جهدًا في إغواء وإضلال وإكفار بني آدم ليكونوا رفاقه في سواء الجحيم . . نعوذ بالله من الشيطان وهمزه ونفثه، ونعوذ به من النار.

فما الحسد؟ وما شعائره بين العامة؟ وما موقف الشريعة منه؟

إن المعنى الشعبي للحسد موافق للمعنى اللغوي والديني له، ففي لسان العرب[1]:

حسده يحسُده حسْداً: أي تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يُسلبهما هو.

قال الشاعر:

وتـرى اللـبيبَ محسّدًا لم يجترم شـتْـمَ الرجـال . . وعـرضُـهُ مـشـتـومُ

والرجل حاسد وحسود، والمرأة - كذلك - حسود.

والحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه. قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[2]:

---

١ - لسان العرب، ج: ١، ص: ٦٣٢

٢ - العقد الفريد، ج: ٢، ص: ١٧٠

كل الناس أقدر أرضيهم إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها

ومن أكاذيب العرب أن الجن تحسد الإنس على الطعام[٣]، قال شمّر بن الحارث الضبي:

أتوا ناري فقلت مَنُون أنتم؟ فقالوا: الجنُّ . قلت عموا ظلاما
فقلت: إلى الطعام، فقال منهم زعيمٌ: نحسد الإنس الطعاما

ويراد بالحسد عند العامة ظاهر المعنى السابق، فالحسود شخص مريض النفس كاره لما عليه غيره من النعمة. والنعمة معنًى متسع يشمل كل شيء من الصحة والمال والبنين والجاه والسعة في العيش . . إلخ .



٣ ـ قاله ابن بري في اللسان، ج: ١، ص: ٦٣٢

وتأثير الحاسد إنما يقع بعينه، لذا فإن كلمة «العَيْن» معناها أن تصيب الإنسان بالعين.

يقال: عان الرجل يعينه عينًا فهو عائنٌ، والمصاب معينٌ أو معيونٌ، فالمعيون الذي فيه عين، قال عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه:

قد كان قومك يحسبونك سيدًا وإخال أنك سيدٌ معيون

ويقال: رجل معيان وعَيون: شديد الإصابة بالعين.

ويقال: أصابت فلانًا عين، إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها[٤].

ويعتقد كثير من الناس أن بعضهم لديه خاصية في عينه، فإذا نظر إلى شيء أماته أو أتلفه - وهو العائن - ويحكي ابن خلدون أنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروفٍ أو نعجة نظرة خاصة أماتها، ثم إذا شُرِّحت وجد قلبها وقد تحتت[٥].

ويفرق فضيلة الدكتور موسى لاشين بين الحسد والعين، ويرى أنهما متغايران، فإن أطلق أحدهما وأريد الآخر فعن طريق المجاز، فالعامة مثلاً يقولون: ما يحسد المال إلا اصحابه، يريدون: ما يصيب المال بالعين إلا صاحبه، لأنه الذي يعلم تفاصيله، وخفايا حسنه وجماله.

ويؤكد هذا التغاير حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل وقال: [بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين].

ويزيد هذا التغاير تأكيدًا أن علماء الحديث الذين خاضوا أسراره وأسرار الشريعة - كالبخاري - يضعون الحسد في كتاب الأدب، ويضعون العين في كتاب الطب، وفرق بين الأدب وموضوعاته وبين الطب وأمراضه*.

---

٤ - اللسان، ج: ١، ص: ٩٤٦

٥ - أحمد أمين: ١٦٧

* مجلة بحوث السنة والسيرة، العدد ٥، ص: ٤٩



وعلى كلّ حال فليست القضية مصرية أو عربية بل هي عالمية، للناس إزاءها كثير من السلوكيات الخرافية الجانحة ما بين رسمٍ للصليب، أو نقرٍ للخشب، أو نطقٍ بتعاويذ خاصة.

ويعترف **آلان دندس** أن العين الشريرة هي أحد المعتقدات الشعبية الشائعة في العالم، وتقوم على فكرة أن الفرد سواء أكان ذكرًا أو أنثى يمتلك القدرة على إلحاق الأذى بغيره من الأفراد والممتلكات ـ بشكل إرادي أو غير إرادي ـ عن طريق مجرد النظر أو الإطراء، فالمفهوم إذن عالمي .

بينما تضم وسائل الوقاية من العين الشريرة حمل التعاويذ والتمائم، وأداء بعض الإشارات لإبعاد الأذى، أو التعوذ ببعض الصيغ اللفظية قبل أو بعد سماع الإطراء.

ويعزو **الأزاندي** في جنوب السودان كل الكوارث والشدائد والأحداث السيئة إلى فعل العين الشريرة، وهم يسلّمون مثلاً أن العين الشريرة تحدث الوفاة، وأن السحر الانتقامي يقتص بالموت من صاحب العين الشريرة(٦).

---

٦ ـ د. أحمد أبو زيد، المدخل الأنثروبولوجي لدراسة الفلكلور، ندوة التخطيط، ج: ٣، ص: ٣٨ ـ ٤١

فإذا رجعنا بالذاكرة قليلاً لنتأمل عادات العرب قبل الإسلام لوجدنا عجبًا، فقد كانت لهم طقوسهم وأحرازهم لمواجهة العين . .

فقد استعمل الجاهليون **الخرز والتعاويذ والرقى**. يقول **سلمة بن الخرشب الأنماري** مشيرًا إلى تعويذه فرسَهُ بالرقى، وتقليدها عقدًا من التمائم :

تعـوّذُ بالـرقـى من غير خبـلٍ ... وتُـعـقـد في قلائـدهـا الـتـمـيـم

أما **سويد بن أبي كاهل اليشكري** فينسب قائلاً :

ودّعـتـنـي بـرقـاهـا إنـهـا ... تُـنـزل الأعـصـم من رأس الجـبـل[7]

وظنت العرب أن من تعلق كعب أرنب لم تصبه العين ووقي السحر، وفي هذا يقول **امرؤ القيس** مخاطبًا امرأة:

يا هـنـد لا تـنـكـحـي بوهـةً ... عليه عـقـيـقـتُـهُ أحـسـبـا
مـرسـعـة بـين أرسـاغـه ... به عَسَمٌ يـبـتـغـي أرنـبـا
لـيـجـعـل في ساقـه كَعْـبَـهـا ... حذار المـنـيـةِ أن يـعـطـبـا[8]

ومن الخرز الشهير الذي كان أهل الجاهلية يستدفعون به العين :

التميمة : وهي خرزة رقطاء تنظم في سير من الجلد يعقد في العنق، أو عوذة في أعناق الصبيان أو من خرزات الأعراب ينفون بها عن أبنائهم وأنفسهم العين .

ومنها **الغضار** : خرزة أو قطع من الخزف الأخضر تعلق على الإنسان لتقيه العين . قال الشاعر:

ولا يـغـنـي توقّـي المـرء شيئًـا ... ولا عقـدُ الـتـمـيـم ولا الـغـضـار
إذا لاقـى منـيـتـه فأمـسـى ... يسـاق به وقـد حقّ الحـذار[9]

وكان الرجل من أهل الجاهلية إذا **بلغت إبله مائة عمد إلى البعير الذي أمأت به فنزع سناسن فقرته** وعقر سنامه. **وإذا بلغت ألفًا فقأ عين الفحل الذي تم به الألف** لدفع العين

---

٧ ـ أديان العرب قبل الإسلام : ٣٧٧

٨ ـ النفرات ، جميل حسين الحرباوي .

٩ ـ التأخيذ والخرز، أحمد حمودي السامرائي ، التراث الشعبي ، ع ١٩٨١/٨ ، ص: ٥٩ وما بعدها .

والغارة، قال الشاعر:

وهبتها وأنت ذو امتنان تفقأ فيها أعين البعران

وتفسير هذا أن العربي كان يعتقد أن الروح الشريرة تتربص بإبله التي يتزايد عددها على الدوام، فإذا وصل المائة ثم الألف ـ وهو العدد الذي تحسده عليه العين الشريرة ـ عمد إلى البعير الذي اكتمل به كلا العددين فأصابه بسوء، على سبيل تضليل الروح الشريرة التي إذا أبصرت البعير وقد أغلق ظهره أو فقئت عينه ارتدت حاسرة، فلا تصيب سائر الإبل بسوء.

وليس هذا التصوير بعيدًا عنا اليوم، فعندما يضطر أهل الريف ـ على سبيل المثال ـ إلى كيل غلالهم فإنهم لا يذكرون العدد ذكرًا مباشرًا، حتى لا تصيبهم الروح الشريرة بأذىً فيقولون: **الله واحد.. مالوش تاني.. عليه تُكالي..** وهكذا[10].

ودفعًا للعين كانوا يلجأون للتقبيح، فيذكر **الجاحظ** أن العرب إنما كانت تسمى بكلب وحمار وحجر وجعل وحنظلة وقرد جلبًا **للتفاؤل وطيلة العمر**.

وقال أعرابي: لما ولدت قيل لأبي: نفِّر عنه ـ أي أبعد عنه العين ـ فسماني قنفذًا وكنّاني أبا العداء[11]. ولا تزال هذه العادة قائمة حتى أيامنا فالناس يسمون بجعلص وشحاته وعفش ومعفّن والدُهل وصلاع النبي وغيرها لدفع العين.

في الوطن العربي

في كتابه عن «الخرافة» بين مجموعات من الطلاب العرب اللبنانيين أشار د. **زعرور** أنه أجرى استبانة على ٦٠٤ طلاب وطالبات فوجد أن ٩٦,٢٪ **منهم يؤمنون أن وضع الخرز الأزرق يحمي من الحسد!!**

ووجد د. **عيسوى** في دراسة ميدانية له ببيروت على **٤٣٥** شخصًا أن مما يؤمن به أفراد الدراسة وضع العجين دفعًا للحسد، وكذا تعليق الخرز والحدوة وإمساك الخشب واستخدام فص الملح.

كما وجد أن ٧٠,١٪ منهم يؤمنون بالتأثير الزائد للحسد.

---

١٠ ـ د. نبيلة إبراهيم، ص: ٨٩

١١ ـ جواد علي، المفصل، ٧٤٦/٦ وشوقي عبد الحكيم موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، ١٦٠

وفي استبانة ثانية بين مجموعتين مصرية ولبنانية وجد أن ٢١٪ من العينة المصرية و ٤١٪ من اللبنانية يؤمنون بأن الأحجبة تدفع الحسد، ووجد أن ١٢٪ من العينة المصرية مؤمنين بأن حدوة الحصان ذات أثر في منع الشر (؟!!)[١٢].

وسائل دفع الحسد

من قبيح ما يشيع - على نطاق واسع - أن الغربيين ومن يتشبه بهم من أبناء المسلمين يستدفعون الحسد بلمس الخشب، فإذا ما خاف إنسان من آخر حسدًا قال له: **أمسك الخشب أو المس الخشب أو Touch wood** والأدهى من ذلك أن بعض المتفرنجة من أبناء المسلمين يصلّب بيديه أو يقول كما يقول النصارى: Make fingers crossed **أي اعقد الصليب بأصابعك** ! وذلك طردًا للعين الشريرة.

وللحذاء - في العراق - حين يعتق ويهترىء بعض الفوائد، **أهمها** تسميره على جبهة الدار بقصد طرد الحسد، وهو ثالث ثلاثة تستعمل لهذا الغرض أولها: **الحذاء العتيق، وثانيها: إبريق الخزف الصغير، وثالثها**: نعل حديدي ينتزع من حافر الحمار أو الحصان (الحدوة) ويسمر فوق أبواب الدور أو أبواب الغرف !![١٣].

وقد ارتبطت حدوة الحصان بالبرق والبركة، وارتبطت - منذ الجذور الوثنية السابقة على الإسلام - بالخصوبة والجنس والحياة الوفيرة. كما ارتبطت بالظواهر الكونية، وبتفسير الحياة، والرغبة في الوفرة والتناسل وبالقمر وبالأنثى وبالبرق والسحاب.

إن هذه المعتقدات غير الدين، إنها تنمو على جوانبه[١٤].

ومن عادات أهل العراق - وغيرهم - أن **يحصنوا سياراتهم بأحراز وأحجبة ورموز**، فتراهم يكتبون عليها: يا الله يا محمد يا علي / الحسود لا يسود/ عين الحسود بيها عود / عين الحسود تبلى بالعمى. كما يضعون جزءًا من الثور المجنح المستعمل لطرد الأرواح الشريرة أيام الأشوريين.

---

١٢ - انظر: د. عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، ص: ٢٢

١٣ - جعفر الخليلي، شيء عن الأحذية، التراث الشعبي، تشرين ١٩٦٤

١٤ - التراث الشعبي، ع ١٠/١٩٧٥، ص: ١٦٥

وأحيانًا **يضعون صور بعض الأنبياء !! والأئمة**، كادم وحواء وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وسليمان، وعلي والحسين والعباس وغيرهم[15].

وفي العراق أيضًا يرى العامة أهمية **تعليق سنّ الحيوان على الطفل**، والشائع في حديثة ـ مدينة عراقية ـ تعليق سن ذئب بعد أن تصاغ له حلقة من الذهب أو الفضة وتعلق معه خرزتان تسمى إحداهما ودعة والأخرى خُضرُمة. وتحتل مكانها إما على صدر الطفل أو بشعر رأسه من الأمام أو على أحد جانبي الرأس، كما يعلقون أيضًا **سن الخنزير**[16].

وشعيرة أخرى تتعلق بالذئب[17]، إذ يوضع شعره في حجاب تتلى عليه عزائم، ويعلق على صدر الصبي أو يعمل حجاب من جلده ـ الذئب ـ لمنع العين.

وفي الأردن يستعملون لعلاج ألم الرأس بخورًا للطفل بحرق كمية من شعير معين، ويقال على رأسه: [**محوط بالله والملح والطحين، ومن عيني وعين الحاسدين المبغضين**][18].

وفي الشام: عندما يعقد البنّاء شاشية باب البيت فإنه يعلق على الحجر هنالك خرزة زرقاء وثومًا وقطعة من الشب وبيضة مفرغة. وهناك من يعلق شكل يد بشرية أو صليبًا بهدف حماية البيت من شر العيون الحاسدة[19].

ومثل هذه الممارسات موجودة بين قطاعات مصرية مختلفة.

وفي قطر والخليج يستخدمون أساليب مختلفة لدرء الحسد منها:

- تبخير المولود بالبخور أو الشبة أو السويدة منعًا للحسد، كما يستخدم الحرز ـ **اليامعة ـ للرجل والمرأة للغرض نفسه**[20].
- ويرشون الملح أو يضعون بعضه في خرقة يدسونها تحت كراسي السيارات الجديدة حرزًا من القدر وحفظًا من العين كما حدثني غير واحد.

---

١٥ ـ كاظم سعد الدين: الكتابة على السيارات، ص: ٥٩ وما بعده.
١٦ ـ التراث الشعبي، كانون أول، ١٩٦٥
١٧ ـ التراث الشعبي، ع ١٩٧٤/١، ص: ١٦٥
١٨ ـ د. سليمان عبيدات، ص: ٢٣٨
١٩ ـ حسن الباش وزميله، ٣٦٣
٢٠ ـ فاروق العادلي، ص: ٩٨ ـ ٢٠٨

● وفي الأربعين يضعون تحت رأس الصبي ملحًا وسكينًا لإبعاد الحسد والشر.

كما يغطون ـ يوم الأربعين ـ نصف وجه الطفل الأعلى بالكحل، ليظهر قبيحًا ويبتعد عنه الحسد[٢١].

● ويأخذون ترابًا من عتبة المسجد وسبعة أبواب في الحي، ويقلى على النار حتى يتغير لونه ويضرب إلى السواد فيرش تحت ثياب المريض للتبخير، ويأخذون خليط التراب بالماء الناتج من العملية، ويمسح بذلك كله باطن يد المريض ورجله اتقاءً للحسد.

● الخرزة الزرقاء والخضراء تمنعان الحسد.

● تحرق الأم شبة إذا أصابت ابنها العين، وتنظر في الشكل الناتج أهو لامرأة أو الرجل، وبعد أن تبرد تفركها في قاع الرجل أو راحة اليد.

ويسـود عمـل الحجـاب في المجتمع القطري في أوساط العامة غير المتعلمين إلى اليوم، فالمطوع يضع للولد المحسود **جامعة** ـ أو حجابًا ـ من أسنان ذئب أو جلده ـ كأهل العراق ـ أو يضع جامعة من ملح ومسمار ـ أو حافور ـ أي ظلف ذبيحة.

● وفي السعودية: يرمي بعض الناس ـ عندما يرى من ينظر إليه وهو يأكل ـ جزءًا من الطعام خوفًا من العين، وهو اعتقاد فاسد مخالف لقول النبي ﷺ: [**إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها**][٢٢].

وفي اليمن: يعتقدون أن المرأة إذا طعنت في السن ونظرت إلى شاب أو شابة ـ أو غيرهما ـ فإنها تقبض روحه وإذا شاءت أحيته من جديد.

والمرأة التي تتهم بمثل هذا يخرجها عائلها من منزلها، وترمى في الشمس المحرقة، ولديهم رجل يحكّمونه فيهن فيبرىء من يشاء ويحكم بقتل من يشاء[٢٣].

أمـا في مصر فالـطقوس كثيرة والمعتقدات متباينة، ونبدأ بلمحة ساخرة من لمحات بيرم التـونسي يسخر فيها من ممارسات النساء لرد أثر العين. وبيرم راصدٌ حساس لما كان يدور بالمجتمع المصري ـ وما لا يزال موجودًا ـ يقول:

---

٢١ ـ هذا وما بعده عن الدويك: ٢١٣ ـ ٢٢٣

٢٢ ـ مجموع فتاوى ابن عثيمين، ج: ٢، ص: ١٠٢

٢٣ ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ج: ١، ص: ٣٦٦

قالـت لـي أم المـرَةْ: انـزلْ وهـات لي قـوام
رَتَمْ .. وتـنـفـيـلْ .. وإيدْ مريـمْ .. وسُنبـلْ خام
وعـكـنـة .. ومـغـاتْ .. ومحـلبْ عفـصـلي .. وخـزام
ونـخـشبان هـنـدي أزرق: كلٍّ شيءْ رطلين

قـلت لها دا الـنـخـشبـانْ بطّال على الـصـحـة
والـعـفـصـلي والـبـابـونَجْ يورثـو الـكـحـة
والـشـبّـة والمـيـعـة - رُخْـرَه - يورثـو الـبـحـة
قالـت لي: لكـن دا شيءْ موصـوف لمنع الـعـين!!

ومن البداية تصاحب الأغاني الطفل - في الصعيد - من يوم مولده، فإذا ما استحم غنت له أمه مشيرة فحسب إلى الأحجبة التي تلبسه إياها:

جـلـعـتـك حـرز ولـبـسـتـك حـرز
حرز الحـسن والحـسـين ما تـنـوبـك عـين

ونسمع في أغاني السبوع وفي الحواديت باستخدام الملح لطرد الشر والحسد، فنجد النساء والأطفال يلقون به خلف ظهورهم. وتتردد في أغانيهم ومأثوراتهم:

ملحة ف عين اللي ما يصلي على النبي، أي الحاسد. وقد لاحظ الفلكلوريون أن الإيمان بالحسد والشر كثيراً ما يرتبط بمظاهر التعفن في الطعام أو الفساد في الكائن الحي بسبب توالد الجراثيم.

وأنت تجد في الأساطير القديمة الظن باستطاعة قتل الشياطين والأرواح الشريرة الخبيثة عن طريق إضافة ملح الطعام[٢٤].

ولم تزل أجزاء من **رقوة عاشورة** - رقية عاشوراء - مستعملة حتى الآن في المنظومات الشفهية التي تستخدمها النساء في الريف لرد الحسد. وتشير الرقية - بجانب الحسد - إلى شر إبليس

٢٤ - الأدب الشعبي، ١٨٤، ٢٥٢

بالنسبة لما يلبسه الإنسان ليستر أعضاءه الجنسية ومما كان يقال فيها ـ واختصرنا كثيرًا ـ :

قول النبي حق . . لما رقى واسترقى . . من كل عين خاينة أو زرقا:

إن العيون شدة . . أربعة معدّة . . للوجع والشدة:

منهم عين الراجل الفاجر . . أحمى من المجامر

وعين المرة أحمى م الشرشرة

وعين البنت أحمى م الخشت

وعين الولد أحمى من الزرد

رقوتي تمام من بركات الإمام

رقوتي تملي من بركات المتولي

بخوري نعناعي من بركات الرفاعي

بخوري ريفي من عند العفيفي

بخوري ندوي من عند أحمد البدوي

رقيتك بالاتنين : بالحسن والحسين

بخوري جاوي من عند القناوي[٢٥]

وعن الرقية والبخور والمرور فوق تحويجة أو خلطة من الملح والبخور واللبان الذكر وغيرها يقول بيرم:

والأمّهات . . وانت عليهمْ ترسي

الصبح نينتُه لما يخرج مرسي

ترقيه تلات مرات بآية الكرسي

ويفوت سبع خطوات على الدّفاية

وفي رشيد ـ وغيرها ـ لا يزالون يضعون بجانب المولود سكينًا ونباتًا أخضر لمنع الحسد والعين

٢٥ ـ السابق، ص: ٣٤٦، ٣٥٤ وما بعدها .

والأرواح الشريرة، كما يعلقون على صدره خرزًا وأحجبة وعملة فضية وغير ذلك[٢٦] .

● ومما يدفع به الحسد عند العامة الخمسة وخميسة، وهي كف من معدن أو غيره ذات خمسة أصابع، يُعتقد أنها تستلفت نظر العائن فتقع عليها عينه فلا يؤذي الشيء الذي وضعت عليه.

ويعتقد **بعض المسلمين أن الكف** ـ الخمسة وخميسة ـ **يمثل يد السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهو عند الشيعة كف العباس، وعند النصارى هو كف السيدة مريم رضي الله عنها، وعند اليهود هو كف الإله يهوه**[٢٧] .

● ومن ممارساتهم وضع رغيف فوقه بعض الملح بجانب رأس الوليد.

ومن أساليبهم أيضًا: [٢٨]

استخدام **الأطر** ـ الأثر ـ وهو قطعة من طرف ثوب صاحب العين، وتحرق في النار وتتلى عليها تعاويذ.

● إذا حُسد أحد الأولاد قصت أمه قطعة من الورق على شكل إنسان، وأخذت تثقبها بإبرة، ذاكرة ـ مع كل شكة إبرة ـ اسم واحدة ممن تظنهن حواسده، ثم تحرق الدمية الورقية حتى تصير رمادًا، فيؤخذ الرماد، وترسم به علامة الصليب على جبهة الطفل المريض، وقد تستخدم هذه الطريقة علاجًا للمحصوب أيضًا. وهي مع كونها جهلاً بالأسباب الصحيحة فيها خلط بين الإسلام والنصرانية.

● إذا قيل إن أحد الأبناء مريضٍ، مُرّ به على سبع من بيوت الجيران التي يغلب على ظن أمه أن بها حسادًا أو حواسد لجمع قدر من الكزبرة يمضغها المحسود ليبرأ.

● ومن أساليبهم أن من حُسد له ولد، حرقوا له قطعة من «الشبة» بعد إمرارها على جبهته سبع مرات، فإذا أصابتها النار انكمشت وتغير لونها، وتشكلت بشكل ـ أي شكل ـ يحاولون أن يشبهوه بأية امرأة ممن يُظن أنهن حسدن الطفل.

---

٢٦ ـ المأثورات الشعبية، يولية ١٩٩٠

٢٧ ـ المأثورات، يولية ١٩٩٠ وأكتوبر ١٩٩٠

٢٨ ـ عن مقالنا عن الحسد في الأمثال الشعبية المصرية بالمأثورات الشعبية، ع: ١٤ إبريل ١٩٨٩م.

ثم يلفون قطعة الشبة مع شيء من الملح في صرة صغيرة، وتعقد ثم تدلك ـ تُصحَن ـ بكعب الرجل اليسرى للمحسود، كأنما يغيظون الحاسد ويفهمونه أنه كيده ردّ عليه. ثم يحمل شخصٌ الصرة في يده اليمنى ويسير ـ دون أن يتحدث مع أحد ـ إلى شارع له مفرقان، ليلقي الصرة بين المفرقين من خلفٍ كأنما يتخلص منها.

● لرد الحسد ابتداءً يعمل حجاب منشوري الشكل من القماش ـ أو غيره ـ به قليل من الملح، وقطعة معدنية مثقوبة من وسطها، وربما كان مع هذين ورقة بها بعض الرموز والطلاسم، ويعلق الحجاب على صدر الصبي أو يشد على وسطه.

● تلطيخ الأبواب والجدران بدماء الذبائح، فإذا كانت ثمة مناسبة للذبح كالعيد أو الوفاء بالنذر أو ليلة «لأهل الله» أو ما شابه، لطخ أحدهم كفّه بدم الذِّبح الدافىء، ثم بصم لمدة بصمات على الأبواب والحوائط، دفعًا للحسد، وأملاً أن يدوم ما هم فيه من سعة !!

● تعليق فردة حذاء أو حدوة حمار أو حصان، أو كف من القماش أو المعدن، يعلقونها أعلى الباب. وقد تطور هذا ووضع داخل السيارات العامة والخاصة بعد أن صنع التجار «صيادو القرش» نماذج صغيرة وأنيقة من الأحذية أو الأكف أو العيون أو «المسابح». وربما كان ذلك مرسومًا على لواصق Stickers تلصق على زجاج السيارات.

وقد كتب بيرم ساخرًا ممن يعلقون الحدوة أو غيرها من رموز دفع الحسد على باب الدار:

وفـوقْ عالـبـابْ تشـوف في الـوشّ فوق الـراسْ
حجـابْ وحـدوة حـصـان كانـت في رجله مـداس
وخمـسـة وخمـيسـة .. قال تمنـع عيـون الـنـاس
والبـاب مالـوش أكـره .. واللوح الإزاز مكسـور

● دلك الجبهة بالشبة والفاسوخ سبع مرات.

● إذا كان لأحدهم طفل حسن الهيئة يخشى عليه الحسد، أو كان الصبي وحيدًا ألبسه بعض الأساور حتى يُظن أنه فتاة، وربما ألبسوه خلخالاً صغيراً أو حلقة معدنية في أذنه اليسرى، وربما نادوه باسم فتاة أو باسم قبيح مستهجن كما مر.

● المرأة الولود المذْكِرة تكون مظنة الحسد ممن حولها ـ وبخاصة العقيمات أو اللواتي تكثر في ذريتهن البنات ـ وحتى لا تؤثر فيها عين حسود يؤتى بقطعة من الفاسوخ تلصق بها قطعة

معدنية بهيئة الكف من النحاس أو الحديد ـ أو الذهب أو الفضة ـ وتعلق بناصية المرأة.

● ومن الممارسات الشعبية التي كانت ولا تزال ـ بشيء من التطوير المناسب للزمن ـ أن يرسموا على البيوت ـ والسيارات ـ عينًا اخترقها سهم فأدماها، أو كفًّا بها عين، أو يكتبون رقم خمسة بالعربية أو الإنجليزية.

من الصيغ الشفوية لرد العين:

- امسك الخشب / المس الخشب Touch wood / make fingers crossed .
- التكبير مرتين، وربما أديرت اليد على الرأس .
- خمسة وخميسة / النهاردة الخميس .
- صلّ على النبي / ملحة ـ حصوة ـ فص ملح في عين اللي ما يصلي على النبي .
- الحسود لا يسود ـ تكتب ـ
- يا ناس يا شر بطّلوا أر ـ تكتب ـ
- ماذا يعمل الحاسد مع الرازق .
- ما تبصليش بعين ردية . . وما شابه .
- إذا اشتهر أحد بالحسد ونظر إلى شيء بإمعان قيل له: وراك عقربة، أو: وراك ثعبان، ليلتفت فتقع عين كل شيء بعيد ويبطل فعلها . .

أمـا الحسـد في الإسـلام فهو مرض من أمراض القلوب خبيث يباعد بين صاحبه وربه سبحانه، والإسلام ما جاء إلا لتطهير القلوب من أدرانها وغسل النفوس من أوشابها، وإشاعة الحب والتواد، ومحبة الخير للناس، فلا يكون المرء مؤمنًا حقًا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقد وردت النصوص تثبت الحسد ولا تنفيه، وتقول إنه من أنواع الشر الموجودة في هذا الكون، والتي إذا أردنا أن نميطها ونبطل آثارها وجب علينا **أن نتبع السبل الصحيحة فلا نتعوذ بحجر ولا بفص ملح ولا بحذاء بغلٍ ولا بسنّ ذئب** . . بل نعوذ بالله رب الفلق من شر حاسد إذا حسد.

يقول الله تعالى: **﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾** ـ القلم: ٥١ ـ قال ابن عباس وغيره في تفسيرها: أي يعينوك بأبصارهم.

ويقول النبي ﷺ: **[العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا]** رواه مسلم[٢٩] عن ابن عباس، وفيه عن عائشة رضي الله عنها: **[كان رسول ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين]**.

وروى النسـائي وابن ماجه أن عامر بن ربيعة مر بسهل بن حنيف رضي الله عنهما وهو يغتسل، فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لبط به، فأتي به رسول الله ﷺ فقيل له: أدرك سهلاً صريعًا، فقال: من تتهمون؟ فقالوا: عامر بن ربيعة. فقال النبي ﷺ: **[علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأي أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة]**[٣٠].

وقد حصر بعضهم أسباب الحسد وعد منها:

● خبث النفس وحُبها للشر، وشحها بالخير لعباد الله تعالى، فتجد الحاسد يفرح بالبلايا تصيب الناس، وبفوت مقاصدهم، ويستنير وجهه فرحًا بما يقع بهم من الشر.

---

٢٩ ـ انظر مختصر صحيح مسلم حديث ١٤٥٤ وما بعده.
٣٠ ـ مجموع فتاوى ابن عثيمين، ج: ١، ص: ١٥٧ وكذا فتوى اللجنة الدائمة، ج: ١، ص: ٣٦٦٠

- حب الرياسة وطلب الجاه والحرص على ذلك مما يؤدي إلى الكيد للنظراء أو الفائقين.
- الخوف من فوت مقصد من المقاصد المشروعة أو غيرها .
- الكبر والتعالي اللذين قد يدفعان إلى حسد الآخرين وكراهية الخير لهم .
- العداوة والبغضاء لشخص ما.[٣١].
- وفي حالة وقوع الحسد تستعمل العلاجات الشرعية لا الشركية ولا الخرافية، اتباعًا لأمر المصطفى ﷺ ومن ذلك:

١ ـ **القراءة**، فقد قال النبي ﷺ: [**لا رقية إلا من عين أو حمة**]. وقد كان جبريل يرقي النبي ﷺ فيقول: [**باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**][٣٢].

وفيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل عليه السلام قال: [**بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين**].

فالرقية ـ فقط ـ باسم الله ولا غيره .

٢ ـ **الاستغسال**: وقد ورد أن النبي ﷺ أمر عامر بن ربيعة أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه .

- **والتحرز من العين مقدمًا لا بأس به**، ولا ينافي التوكل بل هو من التوكل، لأن المراد منه الاعتماد على الله سبحانه مع فعل الأسباب التي أباحها أو أمر بها. وقد كان النبي ﷺ يعوّذ الحسن والحسين ويقول: [**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة.**] رواه البخاري[٣٣].

وقد لخص الإمام ابن القيم رحمه الله ـ في تفسيره سورة العلق ـ أساليب أخرى لدفع شر الحسد، وحصرها في عشر وسائل:

---

٣١ ـ موارد الظمآن، ج: ٣، ص: ٣٦٢ بتصرف.
٣٢ ـ انظر مختصر صحيح مسلم: حديث رقم ١٤٤٣ وما بعده.

١ ـ التعوذ بالله تعالى من شر الحسد، والتحصن به سبحانه واللجأ إليه، وهو المقصود بسورة العلق.

٢ ـ تقوى الله تعالى، وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله حفظه.

٣ ـ الصبر على عدوه، وألا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدّث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصر أحد على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه.

٤ ـ التوكل على الله تعالى؛ فمن **﴿يتوكل على الله فهو حسبه﴾**.

٥ ـ فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه.

٦ ـ الإقبال على الله تعالى والإخلاص له.

٧ ـ تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت على الإنسان من أعدائه. يقول تعالى:

﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الشورى: ٣٠

٨ ـ الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع العين.

٩ ـ الإحسان إلى الحاسد والباغي **﴿ادفع بالتي هي أحسن . . .﴾** الآية.

١٠ ـ تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم سبحانه وتعالى[٣٣].



---

٣٣ ـ فتاوى ابن عثيمين، مرجع سابق.

٣٤ ـ الحسد: الداء والدواء، للحارث المحاسبي، تحقيق محمد شاكر الشريف.

القَمَرُ والحوتة وَعُمَرْ

الكسوف والخسوف في ممارسات العامة

حينما يعود المرء بذاكرته إلى الوراء قليلاً، يدرك أن كثيرًا من الممارسات الشعبية التي التقطها من بيئته - إن في القرية وإن في المدينة - فيها شوائب مرفوضة، وأخلاط من عادات ينكرها الإسلام ويحاربها، لأنها ضد العقل، وضد سنن الله الكونية، وضد نصوص الشريعة التي تحارب الخرافية وتقاوم الجاهلية.

ومن هذه السلوكيات موقف العامة من خسوف القمر وكسوف الشمس . . ولنبدأ من أول الطريق.

ما الخسوف وما الكسوف ؟

خسوف القمر Lunar Eclipse هو احتجاب سطح القمر أو جزء منه، عندما تكون الأرض بينه وبين الشمس، وقد يكون هذا الاحتجاب جزئيًا أو كليًّا .

وأما كسوف الشمس Solar Eclipse فهو احتجاب الشمس أو جزء منها حينما يقع القمر بينها وبين الأرض، وقد يكون جزئيًّا أو حلقيًّا أو كليًّا[1].

وعلى هذا فهما سنة كونية، وظاهرة طبيعية تحكمها قوانين وضوابط، لا يحدثان بغيرها . . هذا هو كلام العلم التجريبي، وهو أيضًا كلام الإسلام، كما سنوضح بمشيئة الله تعالى . . فما رأي العقائد العامية في الكسوف والخسوف؟

لقد شخص الفكر الأسطوري القديم القمر، وحاول أن يفسر بذلك تأثيره على الكون والطبيعة والحياة .

---

١ - معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص: ٢٠٤، ٥٨٥

وإذا كانت الأسطورة في أصلها عقيدة وشعيرة فإنها تتحول بفضل التطور إلى عقائد ثانوية وطوائف من المراسيم والعادات والتقاليد[٢] !

● وقـد كان عرب الجاهلية الأولى يعتقدون أن القمر في ضائقة أو أسر، فكانوا يضربون بالمعادن محدثين ضجيجًا وجلبة، ويقولون: يا رب خلّصه [٣].

كما كان بعضهم يعتقد أن الكسوف يمكن أن يحدث لموت عظيم، حتى بدّد رسول الله ﷺ هذا الفهم القاصر غير الصائب.

● ويحاول عوض سعود عوض إيجاد بعد أسطوري موغل في القدم ـ مزينًا فلسفته التي تحرص على رد كل شيء إلى أجداده الكنعانيين[٤] ـ فيقول:

كان للماء أهمية خاصة في الحياة الشعبية، إذ يعتقد العامة أن مجتمع المياه هو الأول، وكانت تضيئه الشمس والقمر، وبعد صعودهما إلى السماء ظلت محاولة إعادتها إلى العالم السفلي قائمة.

إن محاولة رد الحياة إلى العدم هي المحاولة المستمرة التي تقوم بها القوى الشريرة المتمثلة في الحوتة التي تحاول التهام القمر عند كسوفه. والتنين الذي يبتلع الشمس وقت كسوفها.

وهنـا على الإنسـان منـاصرة الخلق عن طريق الأعمال التي تؤدي إلى بقاء الحياة وتجديد الخلق، لأن الإنسان ـ بأعماله ـ يقرر مصير الكون، لهذا كان من همه محاولة استعادة الزمن الأول وتكـرار الأعـمال التي تؤدي إلى ديمـومة الخلق. ومن هذه الأفعال: الأفراح والأعياد والطقوس الدينية التي تنطلق من فكر ميثولوجي «أسطوري».

يعتقـد العـامـة أن الحـوتـة تطارد القمـر باستمرار، وتقترب لحظة انتصارها فيما يسمى الخسوف، فيتدخل الإنسان ليحسم الأمر، فيلجأ الناس إلى إطلاق الرصاص، وقرع الطبول والأواني لإخافة الحوتة وإعادتها إلى عالم المياه. ويظل الاستنفار مستمرًا والناس خائفين حتى تتراجع الحوتة إلى عالم البحار، فينتصر الخلق والحياة وروح الخير . . وينتهي الخسوف.

---

٢ ـ د. عبد الحميد يونس، دفاع عن الفلكلور، ص: ٩٢

٣ ـ حسن الباش وزميله، ص: ٢٩

٤ ـ الماء في التراث الفلسطيني، المأثورات الشعبية، ع ٢٧/١٩٩٢م

عندئذٍ يخرج الناس يغنون ويدبكون احتفالاً باستمرار الحياة والوجود . . فيقولون لحظة الانتصار:

يا حوتة يا مكحوتة
قمرنا أكل الحوتة
والحوتة راحت مكحوتة ـ مطرودة ـ

أما عن **الكسوف وعلاقته بالتنين** الذي تستمر محاولاته للقضاء على الشمس، لكنها تبوء كلها بالفشل منذ الكنعانيين إلى يومنا هذا، فقد أوكل **بعل** ـ الإله الكنعاني ـ مهمة القضاء على طموح التنين في ابتلاع الشمس إلى **كاشر وخاسس**، وهو ـ التنين ـ يحاول العودة بها إلى عالم المياه فيفشل كما فشلت الحوتة . . **هذا في فلسطين**.

فأما في العراق فالأمر بيِّنٌ في رهبة الناس من القمر وسؤالهم إياه، وفي طقوسهم الشركية التي يمارسونها.

وإذا كانت الشعوب قد اجتمعت على أن هناك عفاريت أو كائنات غيبية أو حيوانات تحاول التقام القمر، وإذا كان هذا الإجماع يعيش في أذهان البسطاء في جميع أرجاء العالم، فإن أهل بغداد يعتقدون بابتلاع الحوت للقمر، فتراهم يخرجون عند خسوفه ـ أو كسوفه ـ من بيوتهم فزعين، فمنهم من يقيم الصلاة، ومنهم من **يولول**، وآخرون **يصيحون** وهم يضربون الطبول وقد شخصت أبصارهم نحو القمر هاتفين بالحوت تهديدًا له:

يا حوتة يا منحوتة   **هدّ قمرنا نريده** ـ أي اتركيه لأننا نحتاجه ـ
وإن كان ما تهدينه   **أدق له بصينية**
هدي قمرنا الغالي   **هو علينا غالي**[5]

وفي وصف الكسوف وعادات الناس فيه يقول **عبد الحميد العلوجي**[6]:

وعلى ضفاف دجلة ـ وفي الرحاب المكشوفة ـ وقفت الأمهات المرضعات والأزواج الحبالى

---

٥ ـ التراث الشعبي، ع: ١٩٧٥/٧

٦ ـ التراث الشعبي، ع: ١٩٧٢/٥، ص: ٤٤

باتجاه القمر، وبعضهن يمسك إما بخيوط قصار تتدلى منها كرات من الطين، أو بخرزتين بيضاوين من الخرز المشهور باسم «در نجف»، وكلا الفريقين يزعم أن الطين أو الخرز ينكر لونه الطبيعي في أثناء الخسوف، ويميل إلى زرقة غامقة تنفع الجنين في الرحم، والرضيع في المهد والحضن، وتقيه شر الكبسة، أي المفاجأة الخطرة التي تدهم الوليد.

ولا ينتهي الكسوف والخسوف بهذه الضجة التي تحدث جراء الأصوات المتنافرة، والضرب على الطشوت والصحون، وإنما كانوا يراقبون الألوان التي تصير ساعة الكسوف أو الخسوف، فإذا كان اللون البارز أسود مثلاً لشدة الكسوف ضربوا يدًا بيدٍ وقالوا إن مرضًا في طريقه إليهم، وإن كان اللون أحمر قالوا إن الأحمر يدل على الدم، فلا بد من حرب قادمة تسيل فيها الدماء كما يسيل الماء في دجلة والفرات !!

● ومن عقائد العامة في العراق أيضًا أن الحامل إذا مست بطنها عند خسوف القمر ولد الجنين ونصف وجهه الأسود - كالقمر المخسوف !! - أما إن مستها عند كسوف الشمس فإنها تلد طفلاً أحمر مزرقّ الوجه !

- وإذا ما زاد خسوف القمر على نصف وجهه وجب تلاوة صلوات خاصة، لأن عدم فعل ذلك يؤدي إلى أن أفعى ستدخل قبر الشخص إذا مات، زيادة في عذابه.

- وإذا احمر لون القمر عند خسوفه كان نذيرًا بأن حربًا ستنشب.
- ولمقاومة السحر، فإنهم يضعون طشتًا به ماء - طيلة فترة خسوف القمر - مع قراءة أدعية خاصة، معتقدين أن ذلك يجعل ماء الطست «بطلة» ناجعة في إبطال كل سحر إذا استحمت به المرأة المتزوجة[7].

●● وفي قطر - عند الخسوف - يدق النساء في الهاون «المدق» إلى أن ينجلي، معتقدات في حالتي الكسوف والخسوف أن الحوت أكل نصفه، فيقومون بالضرب والغناء هاتفين:

يا حوته زوعي - أي قيئي وردي القمر -[8].

---

٧ - التراث الشعبي، ع: ١٢/١٩٧٣، ص: ٣١ وما بعدها.
٨ - فاروق العادلي، ص: ٢٠٢

وقد يتقي بعض الناس في المجتمع القطري المصائب التي تحل من خسوف القمر، فيقول بعضهم عند الخسوف إن القمر قد ضل منزله أو إن الحوت التهمه . . وعلى حد تعبيرهم : (تايه من منزله أو الحوت ماكله) ويدقون الهاون حتى يرجع[٩].

●● وفي مناطق أخرى يزعمون أن عمر ـ رضي الله عنه ـ خنق القمر ويخرجون صائحين ليفكوه.

●● أما المصريون فمن عاداتهم ـ وشهدتها صغيراً ـ إنه إذا حصل كسوف للقمر أو الشمس دق الأطفال والنساء على الصفيح والنحاس يصيحون صيحات مختلفة لاعتقادهم بأن «الجن» قد خنقت القمر أو الشمس[١٠].

وربما اعتقدت العامة أن بنات الحور يمسكن به ليمنعن النور عنا، لذا كانوا يدقون الطبول منادين :

يا بنات الحور سيبوا القمر للنور[١١].

فما رأي الدين ؟

من خلال السرد السابق يتضح لنا جنوح التصور العامي في فهمه لقضية الخسوف والكسوف، وسقوطه في شرك تقديس وتأليه ما لا يجوز تقديسه أو تأليهه . .

- فبعض النساء يتوهمن من القمر أو الشمس ـ حال الكسوف ـ قوةً فيسألن نفعًا أو يستجرن من ضر.
- وبعض الناس يتوهمون أن الحوتة تحاول خنق القمر أو التهامه .
- وبعضهم يعتقد أن التنين يخاتل الشمس ليبتلعها لتستحيل الدنيا ظلامًا دامسًا.

٩ ـ الدويك : ٢١٥

١٠ ـ احمد أمين، ص: ٤١٠

١١ ـ د. سامية الساعات ـ السحر والمجتمع، ص: ٦٠ وبنات الحور من سواكن النيل في عقائد العامة وبالذات في النوبة وشمالي السودان، وهن جنيات يتصفن بالجمال والفتنة، ويعملن على إغواء من يقع بصرهن عليه لجذبه معهن إلى النيل.



ـ وبعضهم يعتقد أن الجنَّة وبنات الحور يمسكن به . .

ـ وبعضهم يظن أن عمر ـ رضي الله عنه ـ يخنق القمر !!

وفي شكل الطقس العلاجي . . تجد من الناس من يطلق الرصاص، ومن يصيح ويولول، ومن يدق الهاون، ومن يحدث ضجيجًا بالآنية المعدنية، ومنهم من يرقص، ومنهم . . .

وكلها سلوكيات تدور بين الجهل . . وبين الجاهلية . .

فما موقف الإسلام من ذلك ؟!

إنه من اللحظة الأولى يعلن أن الكسوف والخسوف سنة كونية، وظاهرة مطردة تحدث ـ بأمر الله ـ **إذا وقعت قبلها بعض المقدمات**، وليس لأن عظيمًا مات ـ كما كان يعتقد العرب الأولون ـ ولا لأن بعضهم ـ أيًا كان ـ يخنق القمر.

بل إن الشمس آية والقمر آية . . من آيات الله الخالق البارىء سبحانه:

روى **مسلم** بسنده عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن الشمس كسفت على عهد رسول الله ﷺ وصادف ذلك يوم مات إبراهيم فلذة كبد رسول الله ﷺ . . فسرى في الناس اعتقاد أن ذلك وقع لموته ـ عليه السلام ـ وكان هذا من عقائد الناس قبل الإسلام، فقد سرى على ألسنة المنجمين أنهما لا ينكسفان إلا لموت عظيم.

والنبي ﷺ حريص على سلامة عقائد الناس وفهومهم في قضية الربوبية والألوهية. لذلك فقد ارتفع عليه الصلاة والسلام فوق أحزانه على فقد ابنه، وتسامى فوق جراحه، وصعد المنبر بعد أن صلى بالناس قائلاً :

[إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته . . فإذا رأيتموهما فكبروا، وادعوا الله، وصلوا، وتصدقوا].

إنهما آيتان تسيران وفق سنن لا تنخرم لأن فلانًا مات، أو لأن علانًا ولد له، لذلك فإن انكسافهما لا يحتاج أكثر من تذكر خالقهما سبحانه وتعالى، فهو ـ وحده ـ أهل التقديس وأهل التبجيل والتمجيد . .

وحاشا الإسلام أن تكون به رائحة للوثنية . .

فإذا رأيتموهما فكبروا . . تذكروا أن الله أكبر من كل ما يجري في الكون، وادعوه سبحانه وصلوا له، وليس للقمر ولا الشمس: ﴿**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**﴾ فصلت: ٣٧ ـ لأنهما مأموران مسخران ككل ما في هذا الكون: ﴿**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين**﴾ إبراهيم: ٣٣، بل إنهما عبدان يسجدان لله

ككل الكائنات: **﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض .. والشمس والقمر﴾** الحج: ١٨ وهما زائلان محطمان يوم القيامة: **﴿فإذا برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر، يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر﴾** القيامة: ٦ - ٩.

ومن كان هذا حاله لم يجدر بمكلفٍ أن يسجد له أو يدعوه أو يخافه أو يرقص ويغني له، بل إن الكائن المسلم لله رب العالمين، يرى قدرة ربه سبحانه، فإذا ما هاجت الريح، أو عصف البحر، أو اشتد الحر، أو خسف القمر، أو ادلهم الظلام، لم يلجأ إلى الأشباح ولا الأرواح ولا الجمادات يستغيث بها ويستأمن، بل هُرع إلى رحاب ربه سبحانه ملاذ الخائفين، ومعاذ المستعيذين، ومجيب المضطرين:

[فكبروا، وادعوا الله، وصلوا، وتصدقوا] إنها طاعات كثيرة: مالية وقلبية وبدنية ولسانية فالإنسان كله لله رب العالمين.

فأين هذا ممن يعوذون بالحوتة أو بنات الحور أو التنين ..

لا إله إلا الله .. وحده .. لا شريك له.



الاستمطار رقصًا

الاستمطار هو طلب **نزول المطر عند الجفاف وشدة الجدب**، ولقد سبق أن أشرنا أن المسلم الموحّد يستقبل الظواهر الطبيعية النازلة بالدعاء واللجوء إلى الله تعالى لا إلى الجمادات ولا الأجرام ولا الصالحين ولا غير ذلك.

لكنّ للناس في هذا سبحًا طويلاً.

فالوثنيون يستمطرون في أماكن كثيرة **بالرقص الطقوسي** الذي يبتهلون به إلى آلهتهم ثم يقدمون بعدُ القرابين. وهذا أمر منتشر بين القبائل الوثنية في أفريقيا وبين الهنود الحمر في أمريكا وبين وثنيي أمريكا اللاتينية.

وأذكر أنه قد أشارت الصحف ـ للعجب العجاب ـ أن الحكومة الأمريكية استعانت بسحرة من الهنود الحمر للاستمطار في إحدى السنوات التي أمسكت فيها السماء.

كما **تروّج مسلسلات الأطفال لمثل هذه الأفكار**. وقد شهدت في بعض مسلسلات الأطفال ـ مثل مسلسل **البنادل** وفي حلقات متعددة ـ **الأطفال** يتجمعون ليرقصوا مثل الهنود الحمر ليرسل الآلهة (!!) عليهم السماء مدرارًا؟

ولقد كان عرب الجاهلية الأولى يستمطرون بعقد السَّلع والعُشَرِ بأذناب الثيران، فكانوا إذا أجدبوا أو أمسكت عنهم السماء ماءها عمدوا إلى السلع ـ وهو شجر مر ـ والعشر ـ شجر له صمغ ـ فحزموهما وعقدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيها النيران وأصعدوها إلى جبل وعرٍ داعين مستسقين. وفي إضرام النار تفاؤل بالبرق، وكانوا يسوقونها نحو الغرب من دون الجهات. وهذه النار كانت تسمى **نار الاستسقاء**.. وفي ذلك يقول جاهلي:

يا كحل قد أثقلت أذناب البقر بسلع يعقد فيها وعشر
فهل تجودين ببرق ومطر؟[1].

١ ـ النار في المعتقدات العربية ـ جاسم محمد ـ التراث الشعبي، ع١/١٩٧٤

وفي ذلك يقول شاعر آخر من العقلاء عائبًا على أهل الجاهلية عقيدتهم الخرافية :

لا درّ درُّ رجالٍ خاب سعيهُمُ ... يستمطرون لدى الأزماتِ بالعُشَرِ
أجاعلٌ أنت بيقوراً مسلّعةً ... ذريعةً لك بين الله والمطر؟!

ومما اعتقدت فيه العرب **الأنواء**، إذ رأوها سببًا للمطر «فبالنجوم استخبرت العرب عن الأمطار وعن الرياح لإيمانهم بتأثير الأنواء»[2].

أما العرب المعاصرون فيعتقد بعضهم أنه لكي ينزل المطر يلزم أن **تكشف العذارى عن سوآتهن ومحارمهن**، لأن هذا في زعمهم كفيل بإنزال المطر عند انحباسه في سني الجدب[3].

كما يعتقد العامة في العراق أيضًا أن **عواء الذئب** مما يستنزل به المطر[4].

وفي فلسطين يظهر غيظ الناس من انحباس المطر من خلال مأثوراتهم وأهازيجهم التي يرددونها أيام القحط :

يا رب شو هالغيظة ... نشفت عروق الحميظة
يا رب شو هالكنّة ... نشفت عروق الكرسنة

أم الغيث :

وفي الكويت وبعض مناطق الخليج تنطلق الفتيات مغنيات أغاني خاصة باستنزال المطر بأسلوب فطري باستعطاف **الظواهر الطبيعية** بالدعاء !! فيكونّ مجموعات تحمل كلٌّ منها تمثالاً بدائيًّا من العصي، ويقمن بربطه بالخيوط وإلباسه من الخرق، ويضعن عليه بعض التحسينات من شعر وملابس، ويطلقن عليه **أم الغيث** ـ المطر ـ يطفن به الشوارع، ويقفن أمام كل بيت مرددات :

يام الغيث غيثينه ... (أدركينا يا أم الغيث)
خلّلي المطر ايينه ... (دعي المطر يأتينا)

---

٢ ـ التراث الشعبي، ع ١٠/١٩٧٥

٣ ـ التراث الشعبي، ع ١٢/١٩٧٣

٤ ـ السابق، ع ١/١٩٧٤

خللي العشيبة تنبت (دعي العشب ينمو)
يرعاها طلينا[٥] (ليأكل منها حملنا الصغير)

وإذا كانت مثل هذه الأفكار موجودة في وجدان الكبار وممارسات الصغار فإنها والله لسقطة ما يغسلها إلا تجديد الإيمان. فإن النبي ﷺ لم يأتنا إلا بتوحيد نقي وتجريد صافٍ لا شائبة فيه.

وقد عدّ النبي ﷺ **الاستسقاء بالنجوم من أمر الجاهلية** - كما روى مسلم في الصحيح - والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء - وهي منازل القمر أو النجوم - وكانوا يقولون: **مطرنا بنوء كذا**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أخبر النبي ﷺ أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذمًّا لمن لم يتركه).

فإذا قائل القائل من أهل الجاهلية مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر وهذا شرك وكفر وهو الذي اعتقده أهل الجاهلية، وإما أن يقول مطرنا بنوء كذا مع اعتقاده أن المؤثر هو الله تعالى وحده ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم.. وقد حرم بعضهم ذلك ولو على سبيل المجاز[٦].

وقد أفتى ابن عثيمين بمثل هذا في مجموع فتاواه، ص: ٣٩

فإذا كان هذا في ربط النجم بالسقيا - وهناك علاقة سببية ولا شك بينهما - **فكيف بمن يستغيث بأم الغيث أو بالرقص أو بحجر مراد أو بعواء ذئب؟!**

لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.



٥ - يوسف دوخي، الأغاني الكويتية، ص: ٣٧٤

٦ - فتح المجيد، ٢٨١ باختصار.

تريدين أن يعيش ؟ جرّسيه

عجيب أمر النساء . . وعجيب أمر كثير من العوام الذين يخلطون في مفهوم الألوهية خلطًا جمع كل مساوىء الجاهلية الأولى، وتضاءلت دونه السقطات المهلكة التي سقطها الناس أيام لم يكن بينهم نبي مرسل، ولا كتاب منزل، ولا سنة هادية !

إن من أغرب ما يمكن أن يقرأ المرء عن السلوكيات الشركية ما تفعله النسوة اللاتي يموت أبناؤهن، فهن على استعداد أن يطعن أبالسة الجن وأبالسة الإنس فيما يأمرون ـ حتى لو كان كفرًا بالله العظيم ـ شرط أن يعيش الولد . . فلذة الكبد.

ولقد ورث العامة في ذلك ميراثًا من الجاهلية العربية والوثنيات الأخرى التي ما أنزل الله بها من سلطان . . وإليك بعض المضحكات المبكيات المؤسيات :

● قال الأعرابي : **لما ولدت قيل لأبي : نفِّر عنه** ـ أي اصرف عنه الحساد والجن والشر ـ **فسماني قنفذًا، وكنّاني أبا العداء**[1].

ولا يخفى أن هذا التقليد لا يزال موجودًا حتى أيامنا هذه، ولا تزال الأسماء العجيبة تطلق على الأبناء، صرفًا للعيون الحاسدة عنهم، ومخادعةً لملك الموت أن يغتالهم :

فهناك **جعران وشأوير وطوبة وشقفة**، وهناك **صلاع النبي**، **ودبس وزيت** وهناك الصبي التي يُسمى باسم الإناث حتى يعيش .

وفي الصحراء الغربية المصرية ينادى الذكور بأسماء مثل **عِفِش ومعفّن** دفعًا للحسد الذي يتعرض له الطفل حسن الصورة[2]. وسنفصل هذا في كلامنا عن الأسماء بأمر الله .

● وجاء في كتاب **قطائف اللطائف** المنشور بمصر سنة ١٨٩٤ . أن الذي ينجب أولادًا ولم يعيشوا يقول لامرأته: **جرّسي هذا الصغير**، فيدهنون وجهه سلاقونا، ويلبسونه طرطورًا من

---

١ ـ أديان العرب قبل الإسلام، ص: ٣٧٧

٢ ـ المأثورات الشعبية ، ٤/ ١٩٧٤

ورق أخضر وأحمر، وفيه ريش الفراخ، ويركبونه حمارًا بالمقلوب، ويدورون به البلد والصبيان يصيحون:

يابو الريش إن شالّلا تعيش . .

وربما كان ذلك يتم في الظهر الأحمر. وقد رأينا هذا الطقس في الريف منذ نحو عشرين سنة.

ويبدو هذا التقليد مشابهًا لركوب الملسوع الحمار في وضع عكسي - أيام الجاهلية - لاعتقادهم أن ذلك سيجعل الداء ينتقل إلى الحمار ليبرأ الملسوع. والتقليد في عمومه يتضمن استعانة بالحيوان على داء يصيب الإنسان[٣].

● ومن معتقداتهم الفاسدة أن يلبس الولد خلخالاً من الحديد إذا كان لا يعيش لأمه أولاد[٤].

وربما ألبسوه حلقة في أذنه - كالإناث - لتكون له وقاءً وحافظًا !!

وهذا شكل من الأشكال الشركية التي تعلق قلب الإنسان بقطعة حديد أو غيرها.

● وفي قطر والخليج[٥] طقس غريب أيضًا، فإذا ما ولدت المرأة ولدًا واحدًا فقط - يموت من يأتي بعده من إخوته - يأتي المطوع - الشيخ المشعوذ - ويكوي جبهته في مفرق شعره، ويقال عن ذلك: **الكاشحة**.

ومن عاداتهم أيضًا: أن المرأة التي لا يعيش لها صبيان - ورزقت بولد - تلبسه ثياب البنات.

● ومن خرافات العامة في ذلك - في مصر - وضع هدهد داخل حجاب[٦].

● وكذلك يستخدم الوشم رقية للطفل حتى لا يموت إخوته الذين يأتون من بعده، فتراهم يشمونه على جبهته[٧]. ويشبه هذا حال الذين يعتبرون الشلخ حصانة للتخلص من السحر

---

٣ - سعد الخادم، ص: ١٩ وما بعدها.

٤ - د. كمال نشأت، الخرافات الشعبية، التراث الشعبي، ع ١٢/ ١٩٧٤ وانظر أيضًا: مصرع الشرك والخرافة، ٢١١

٥ - الدويك، ٢١٩

٦ - د. كمال نشأت: المرجع السابق.

٧ - التراث الشعبي، ع ٩/ ١٩٧٨

أو الحسد الموجه للطفل الذي يولد بعد عدد من الأطفال ماتوا في صغرهم، عندها يغير والدم شلخه القبلي تضليلاً لملك الموت !!

- ومن سلوكياتهم أيضًا **التسول على الصغير كي يعيش** - وهذا موجود بمصر والخليج والعراق[8] فالمرأة التي لا يعيش لها مولود تنذر حين يبلغ رضيعها ثلاثة أيام أن ترتدي ملابس رثة قذرة وتستجدي من سبعة بيوت تطرق أبوابها دونها حياء وتشتري بما تحصل عليه من نقود ما يستقيم عشاء تأكله تلك الليلة، وربما نذرت أن ترتدي عباءة وملابس وجوارب بادية الرثة والقذارة وتستجدي ثلاثة أشخاص من جلّاس المقاهي يمنون عليها ببعض النقود تشتري بها قطعة قماش كسوة لطفلها.
- وربما نذر أهل الصبي **ليلة لأهل الله**. فيأتون بالمداحين، ويذبحون ذبيحة باسم أحد الأولياء، ويظلون طوال الليل يخلطون بين الدين والشرك، ومدّاحهم يتسول ويتوسل بسيده علي وبالبدوي وبالحسين وغيرهم.
- وفي السودان يحدث في الأسر التي تظل كثيرًا بلا ولد أن **يسموا ثلاثة من أولادهم أو أكثر** باسم محمد، وللفصل بينهم يعطون الأولاد اسمًا آخر مثل محمد مصطفى ومحمد أحمد ومحمد رفعت.

فماذا يقول الدين؟

يقول الله عز وجل في سورة الزمر - ٣٨ - **﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله: إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟! قل حسبي الله، عليه يتوكل المتوكلون﴾**.

هذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله تعالى في جلب النفع أو دفع الضر. وإن ذلك شرك بالله تعالى. وفي الآية أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله تعالى والرغبة إليه من دون الله. والتوحيد ضد ذلك، وهو ألا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه وكذا جميع أنواع العبادة.

---

٨ - انظر: الدويك، ٢٢٢ والتراث الشعبي ج: ٢/ ١٩٦٩ مقال عزيز الحجية عن النذور البغدادية.

جاء في الحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فسأله: [ما هذا؟] قال: من الواهنة ـ أي وضعها في ساعده لتحميه من المرض وتشفيه ـ وهي ليست دواءً ولا وسيلة صحيحة ـ فقال له النبي ﷺ: [**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**]. فإذا كان هذا في حلقة من صفر فما الظن بما هو أطمّ وأعظم . . ومن هذا ما يفعله الجاهليون من إلباس أولادهم خلاخيل الحديد وغيره، يعتقدون أن ذلك يحفظهم من الموت الذي أخذ إخوتهم قبلهم[٨].

والتسول في ذاته عمل مذموم شرعًا لا يحل لغني ولا لذي مِرة سوي، ولا تعطى «الصدقات» ـ وهي عبادة ـ من أجل اعتقاد هو خارج عن حدود العقيدة والعبادة والدين كله. والذبح لغير الله تعالى مردود، وهو شرك في الاعتقاد ولا يجوز لأنه عبادة لا تكون إلا لله رب العالمين ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ أي لربك وحده لا شريك له.

وأما الآجال فهي مقدورة محصورة لا يقدّمها سبب ولا تؤخرها ذريعة، بل هي محسوبة ثواني وأنفاسًا لا تتبدل، فمهما توسل إنسان بوسيلة ـ أية وسيلة ـ ليؤخر أجل نفسه أو أجل وحيده، أو أجل من يحب، فلن يجديه ذلك، لأن الله تعالى قطع الآمال بمدّ الآجال: ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**﴾ نوح: ٤ ﴿**ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**﴾ الحجر: ٥ ﴿**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ يونس: ٤٩.

وإذا كان شيء يفيد في ذلك فإنه الرضا بأقدار الله تعالى، والتيقن من أنه يتوفى من الذرية من يشاء، ويبقي من يشاء لحكمٍ يعلمها، وأقدارٍ يمضيها.

فأين الإيمان من التجريس؟!

وأين اليقين في الله تعالى من اليقين في أثر سن الذئب أو الاستجداء؟!

﴿وما يستوي الأعمى والبصير

ولا الظلمات ولا النور

ولا الظل . . ولا الحرور﴾.

٩ـ مصرع الشرك والخرافة، ٢١١.

ومن غرائب عقائد العامة أيضًا ما تمارسه بعض النسوة العقيمات اللواتي لم يشأ الله تعالى أن يرزقهن الولد، وله عز وجل الحكمة في ذلك فهو سبحانه **﴿يجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير﴾** ـ الشورى: ٥٠ ـ وهو عليم سبحانه بما ينفع الناس، وهل يناسب أحدهم أن يكون له ذرية أو لا يناسبه، وهو قدير سبحانه أن يرزق الناس جميعًا ما يشاؤون ولا يضره ذلك شيئًا، ولا ينقص من ملكه بذلك شيء.

إن حكمته سبحانه تعطي بعض الناس وتمنع آخرين . .

لكن ابن آدم دائمًا يتشوف، ودائمًا يرغب، ولا جناح عليه إن تمنى وسأل الله تعالى مجيب الدعاء ـ بل هذا دليل الإيمان وعلامة الخير ـ أما أن يسأل أبناء آدم والجن والأولياء والحجر والقمر والشجر أن يرزقوه الذرية فهذا من الجنوح الذي لا يرضاه عقل ولا نقل . .

فماذا في الجعبة من عقائد العامة في ذلك؟

● في أوروبا ظهر **البَيْضُ** في الشعائر المتصلة بالخصوبة، فقد كان من عقائد أهل فرنسا أن تدوس العروس البيض أول دخولها البيت التماسًا للخصوبة.

وفي البلاد الجرمانية والسلافية كانت عجائن من البيض والقمح تهرق على أسنّة المحاريث في أعياد الفصح استثارة لخصوبة الأرض، ومن عادات أهل مورافيا أنهم كانوا يعلقونه مصبوغًا في أشجار عيد الميلاد العميقة الخضرة.

ومن عادات شم النسيم ـ **في بلادنا!!** ـ تناول أطعمة وأنواع من اللحوم والنباتات كان الفراعنة يستخدمونها في أعيادهم الزراعية كتناول البيض المسلوق ولحم الإوز والسمك والخس والملانة وما إليها.

١ ـ أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص: ١٣١

٢ ـ التراث الشعبي، ع ١٢/١٩٧٣ وحزيران ١٩٦٥

وهذه الأطعمة ذات عراقة ـ بل دلالة ـ في الميراث الشعبي لكثير من الأمم، فالبيض يعتبره دارسو الميراث الشعبي متصفًا بالخصائص التي ترمز للأرض أو الحياة أو مستقر الروح[1].

● من عقائد العامة **في العراق** أن مرور العاقر فوق جثة الميت وهو فوق المغسل ناجع في إزالة العقم أو تذهب العاقر إلى المقابر وتمر فوق قبر أحد الغرباء الذين دفنوا في تلك المقبرة، لترزق بالبنين والبنات[2].

ومما يتعلق بالحمل والولادة أيضًا :

● اعتقاد النسوة **في العراق** أن الذئب إذا بال فبالت عاقر على بوله فإنها تحبل، أما إذا بالت ولود على بوله لم تحبل أبدًا !!

وإذا عقد ذنب الذئب باسم امرأة لم يستطع زوجها مضاجعتها[3].

وإذا أريد التنبؤ بنوع جنين ـ أذكر هو أو أنثى ـ فإن امرأة تضع ـ خلسة ـ على رأس الحامل شيئًا من الملح ثم تراقبها، فإن لمست موضع الشفتين أو ما فوقهما قيل إنها تحمل ذكرًا، وإن لمست رأسها أو موضع الجدائل زُعم بأنها تحمل أنثى. وإذا مست الحامل بطنها عند كسوف القمر ولد ابنها ونصف وجهه أسود، أما إن مستها ـ عند كسوف الشمس ـ فإنها تلده أحمر مزرق الوجه[4].

● ومن عقائد العامة **في العراق** ـ وغيرها ـ أن أول سن تقع من الصبي تحفظ كي لا تقع على الأرض، وتتخذ لها الأم عروة من فضة، وتعلقها كي لا تحبل !![5].

● **وفي قطر والخليج** يزعمون أن من لا تحبل تحلب على رأسها امرأةٌ حديثة الولادة من لبنها، فإذا فعلت حبلت العقيم.

وكذا إذا رموا طفلاً لأعلى وتراكبت ساقاه، فإن هذا يعجل بأن تحبل أمه !!

ومن تأكل لحم ناقة تلد بعد سنة، ومن تأكل لحم بقرة تلد بعد عشرة أشهر ويسمونها معشورة[6].

---

٣ ـ التراث الشعبي، ع ١٩٧٤/١

٤ ـ المرجع السابق وكذا عدد ١٩٨١/٨، التنبؤ بنوع الأجنة بقلم عدنان غازي الغزالي.

٥ ـ عجائب المخلوقات، ص: ٣٠٩

٦ ـ الدويك، ص: ٢٢٢

● **وفي قطر** إذا قفزت امرأة فوق أخرى حامل زعموا أنها لن تحبل ثانية[7].

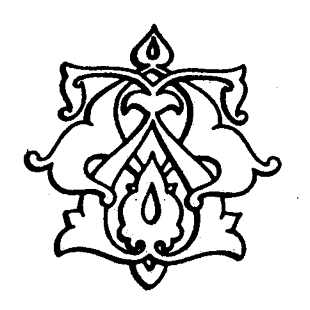
وأما الحجارة التي يظنونها ذات تأثير على الحمل فمنها:

العقرة : وهي خرزة تشدها المرأة على خاصرتيها فتمنع من الحبل .

والكبسة : وهي خرزة مدورة رمادية تغتسل بمائها العاقر لتحبل .

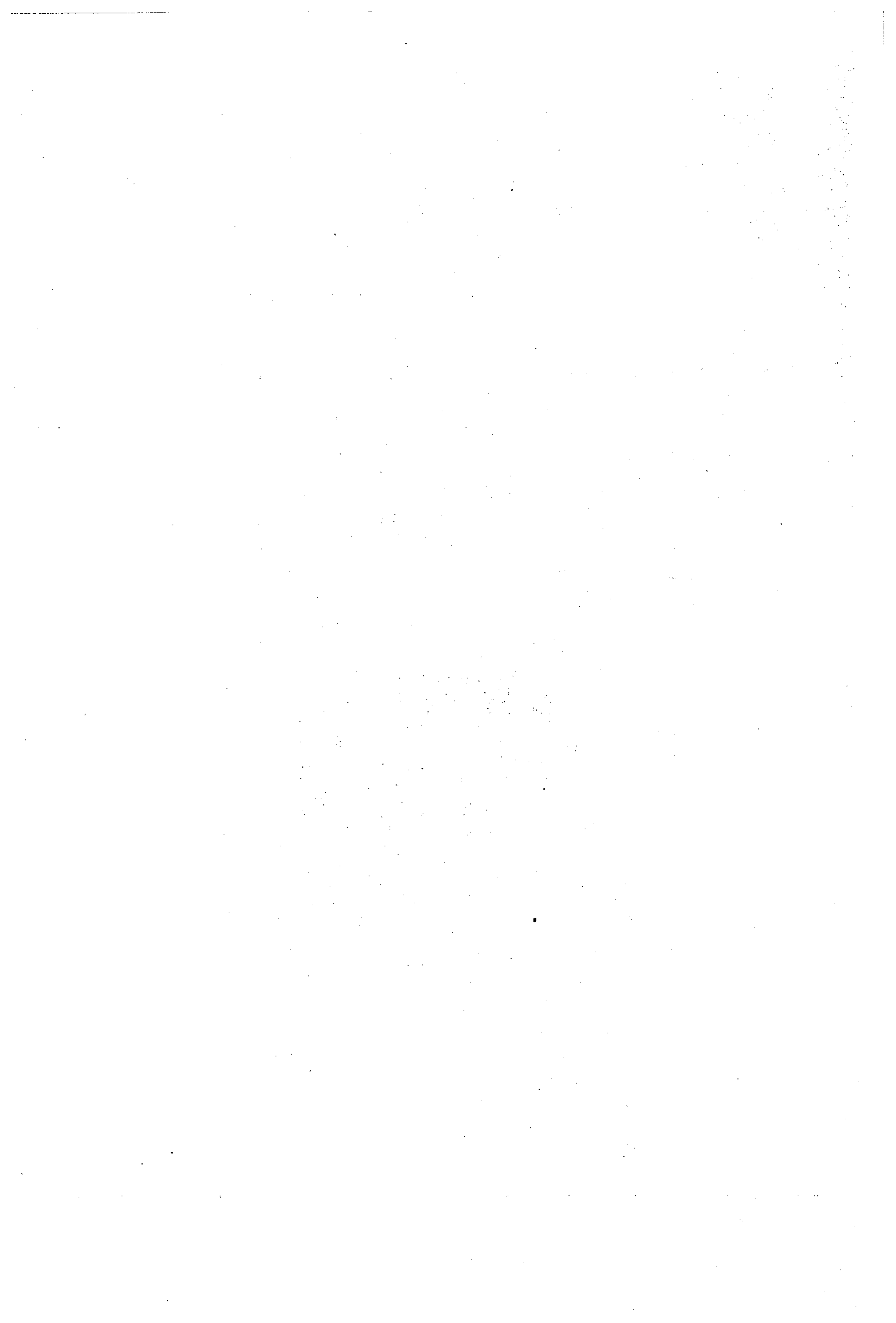
والدرة : وهي خرزة تحملها المرأة لتدر لطفلها اللبن[8].

● **وفي مصر** كانوا إذا أريد للعقيم أن تحبل - في عقائدهم - ذبحت ذبيحة ، ومرت المرأة فوقها سبع مرات ، ثم لطخ «قُبُلُها» بشيء من دم الذبيحة حارًا !!



٧ - الدويك . . مرجع سابق .

٨ - التراث الشعبي ، ع ٨/١٩٨١



الباب الثالث

الأمثال الشعبية :

مرايا الاعتقاد

أن تخوض لجة العادات والتقاليد والأمثال والكنايات العامية أمر شائك ومزعج ، وأن تتحرى البحث عن نظرة للألوهية من خلال ركام المأثورات الشفهية والطقوس التي تتناقلها المجتمعات العربية ـ والإسلامية ـ ابنًا عن أب عن جد، والتي تساعد على نشرها والترويج لها وسائل الإعـلام الحديثة التي وسعت دوائر انتشارها لتدخل كل بيت . . هو أمر بالغ الحساسية، ومـأزق يحتـاج إلى توفيقٍ من الله تعـالى للخروج منه بسلام، لأن السائر فيه عرضة للرماح والحجارة والسهام .

وبداية أزعم أن هناك خطَّين ـ أحدهما يسبق الآخر ويخفيه ويكاد يقضي عليه ـ في نظرة العامة إلى الله عز وجل وإلى النبي ﷺ وإلى أركان الإيمان .

إننـا لو تأملنا جملةً من الأمثال والمأثورات الشفوية لوجدنا في **الخط الأول** ـ وهو صحيّ ورشيد ـ **فهمًا جيدًا وعقيدة حسنة** .

فإنك لتجد **الرضا بقدر الله تعالى** في مثل قولهم: **الخيرة فيما اختاره الله**، أو : **العبد في التفكير والرب في التدبير**، أو **كل اللي ييجي من عند ربنا حلو**.

وتجد **التوكل الصحيح** في مثل قولهم: **خد الدوا من عبد الله، واتكل على الله** .

وتجد **عدم الجزع على ما فات** في مثل قولهم: **الله جاب، الله خد، الله عليه العوض**.

وتجد **حسن تقبل الواقع وفلسفته** في مثل قولهم: **وقت الله يعين الله ـ قبل ما يبلي بيدبر ـ تبات نار تصبح رماد، لها رب اسمه الكريم** .

وتجد **الإيمان بقسم الأرزاق وعدم التلهف على حطام الدنيا** في مثل قولهم: **اجري جري الوحوش، غير رزقك لم تحوش**.

ويشبهه قول أهل الشام: **لو كان رزق الناس على الناس قطعوه**.

وتجد **الدعوة إلى عمل الخير والثقة بفاعليه** بمثل قولهم: **المركب اللي فيه لله ما بيغرقش ـ اللي بيخاف الله لا تخاف منه** .

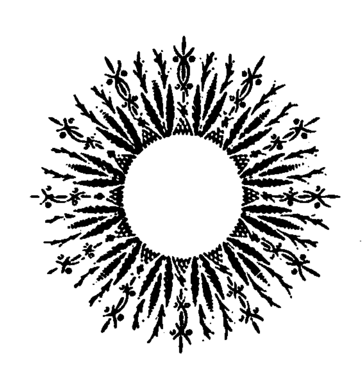
وتجد صحة النظر في مثل قولهم : **ربنا عرفوه بالعقل** .

وتجد التسليم في قضية الآجال وأنها لله تعالى في مثل قولهم : **اديني عمر وارميني البحر** .

وتجد لجوءهم إلى الله تعالى في بدء العمل الجاد : **توكلت على الله - بسم الله - الحمد لله - إن الله مع الصابرين**، فهذا كثير على ألسنتهم، يلحظه من يعيش بينهم، ويتتبع أقوالهم وأفعالهم .

لكنّ هناك خطًّا آخر يخالف - كليةً - الخط السابق ويناقضه، إذ يوهم النقص أو الغياب، أو يلغي المقادير والأسباب، أو يعطي المخلوق ما هو للخالق سبحانه، أو يغلو في تعظيم البشر والحجر والشجر والحيوان والجماد، أو فيه شيء من المخالفة لقضايا شرعية ثابتة بالنصوص؛ وإن لم يتعلق الأمر بالألوهية .

ولنتلمس طريقنا في البحر اللجب .



يراد بالمثل الشعبي: التعبير اللفظي المقتضب والمتداول بغير تبديل أو تغيير في لفظه، ويمثل ما يشبه القواعد والخطوط النظرية للسلوك العملي.

والأمثال ـ وإن لم تتمتع بصفة الإلزام المباشر ـ لها من الواقع النفسي والمعنوي غير المباشر ما يجعل الأفراد ينصاعون لما تقضي به قوة العادة والعرف والمعتقد الشعبي عن رضًا وقناعة[1].

وتعرف سامية عطا الله المثل الشعبي[2] بأنه أسلوب بلاغي قصير ذائع بالرواية الشفهية يبين قواعد الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي.

وإن تتبع الأمثال الشعبية في شعبٍ ما يعكس نفسية هذا الشعب ويبين عن معتقداته ومواقفه. ولقد جمع المركز القومي للبحوث الاجتماعية أغلب الأمثال الشعبية ـ المصرية ـ وقام بتحليلها وتحويلها إلى أرقام، فكانت كما يلي[3].

● الأمثال السياسية:

٢٠,٠٤٪	يعبر عن رأي المصريين في السياسة والسلطة.
٣٦,٠٣٪	يعبر عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم.
٠٧,٠٧٪	يطالب باللامبالاة وعدم إبداء الرأي.
١٨,٠٦٪	يدعو إلى التقرب من الحكومة.

١ ـ حمودي العودي ـ ص: ١٣٠ وما بعدها.
٢ ـ ص: ١٠٦ وما بعدها.
٣ ـ المرجع السابق.

وبالأرقام كان صوت الاستسلام أقوى من صوت المقاومة، والرغبة في نفاق السلطة أكبر من الرغبة في طعنها بسبب الواقع السياسي المتخلف، بما يعززه من قيم وسلوكيات تدفع إلى الخضوع للسلطة.

وبعض الفئات الاجتماعية آثرت الصمت ودعت إلى اللامبالاة السياسية، لأنها كانت تعرف بأنه لا قيمة للإنسان، ولا استجابة للسلطة العليا ولا لأي دور يقوم هو به، فقال هؤلاء، وردد الملايين وراءهم:

الحيطان لها ودان ـ اكتم سرك واشكي لربك ـ اللي يخش بيت الأمارة يحّيط بؤه بدبارة، ابعد عن الشر وغني له ـ السلطان من بعد عن السلطان ـ عادي غفير ولا تعادي أمير ـ لولاك يا لساني ما انسكَيت يا قفايا ـ لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك ـ اكفي ع الخبر ماجور إلخ.

● الأمثال الاقتصادية.

٣٨,٠٠٪	يدعو للطبقية.
٠٢,٠٤٪ ـ	فقط ـ يطالب بالمساواة.
١٧,٠٠٪	يدعو للثروة
١٢,٠٦٪	ـ فقط ـ يحث على العمل.

ومن الأمثال الطبقية التي سادت:

العين ما تعلاش ع الحاجب ـ اللي يبص لفوق يتعب ـ تروح فين يا صعلوك بين الملوك ـ إيش عرف الحمير أكل الجنزبيل ـ أنا أمير وأنت أمير مين فينا يسوق الحمير ـ إيش عرف الفلاح أكل التفاح . . إلخ.

وأما الأمثال التي تفسر سلوكنا الاجتماعي فكانت مقسمة كما يلي :

٢٠,٠١٪	**للخرافات .**
٠٤,٠٧٪	**للفهلوة .**
٢٥,٠٠٪	تطالب بالصبر كمهرب سلبي .
٠٠,٠٥٪	ـ فقط ـ تطالب بالقناعة .
١٢,٠٧٪	إرشادات اجتماعية .
٠٧,٠٥٪	تنادي باحترام الأهل .
٠١,٠٢٪	ـ فقط ـ تنادي باحترام الزوجة .

ومن الأمثال السلبية ذات الدلالة الاجتماعية الانهزامية :

مفيش فايدة ـ احنا مالنا ، هو احنا هنصلح الكون؟ ـ هو انت ربنا عشان تحاسب الناس؟ ها يسخطوك يا قرد ها يعملوك إيه؟ ـ ضربوا الأعور علي عينه قال خسرانة خسرانة ـ يا الله نفسي ـ خدوهم بالصوت قبل ما يغلبوكم ـ معلهش ـ الصبر قفل الدكان وعزّل من زمان ـ ناس تخاف ما تختشيش . . إلخ .

ويهمني في هذا كله أن أعرج على بعض الأمثال والكنايات العامية ذات الدلالات العقيدية لنستكشف **نظرة العامة إلى الألوهية والربوبية** وإلى النبوة والولاية وإلى القضايا الدينية التي يدور حولها ما استطعت تأمله من الأمثال ، وأنا لا أدعي أنني نلت بغيتي أو حصرت كل الأمثال ، وإنما هو طريق يُتِمُّ سالكوه ما يجدونه بعد ذلك .

وقبل الدخول في الموضوع أرجو أن أقدم بعض ما أظنّه مسلّمات تفيد في تناول القضية :

●● **أولى المسلّمات** أن معظم الناس ـ إن لم يكونوا جميعهم ـ **لا ينتبهون للمضامين العقيدية والدينية** المغلوطة في بعض الأمثال المتداولة ، ولو انتبهوا لها لما رددوها ، ولكن شيوع الشيء وانتشاره يجعل المرء غير حساس إزاء معانيه **فالشيوع يولد الإلف** .

مع العلم أنني سمعت بعض الأمثال - التي لي عليها تحفظ - على ألسنة بعض كبار الدعاة الذين لم يتفطنوا لها، ولو بصروا لتبصروا.

●● **ثانية المسلمات أنه ليس معنى حسن النية في فعل الخطأ أو النطق به أن نسكت عنه، فهذا يخالف** سنة رسول الله ﷺ. فالنبي ﷺ حين سأله أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط، وحين قال له أحدهم: ما شاء الله وشئت، وحين قال الآخر: وعندنا نبي يعلم ما في غد - كان يعلم جيدًا أنهم يصدرون عن نية حسنة وقصد نبيل، لكنهم أخطأوا القول، فما سكت - انطلاقًا من حسن نواياهم - بل صوب لهم، لأنه كان حريصًا على تطهير الألسنة والقلوب والجوارح من كل ما يعكر نقاء التوحيد، ويشوب خلوصه وصفاءه.

وقد أصّل العلماء لذلك قاعدة أن **النية الحسنة لا تبرر الحرام**[4]، وذكروا أن الحرام حرام مهما حسنت نية فاعله، وشرف قصده، ونبل هدفه، ولا يرضى الإسلام أبدًا أن يتخذ الحرام وسيلة إلى غاية محمود، لأنه يحرص على شرف الغاية وشرف الوسيلة معًا.

●● **المسلّمة الثالثة أن المثل أو الكناية العامية قد يحتمل معنيين، أحدهما مقبول والآخر مرفوض، وحرصًا على نقاء التوحيد وطهارة الألسنة ندفع المعنيين جميعًا**. ولهذا وجهه في أصول الفقه، ولو من باب اتقاء الشبهات أو اختلاط الحلال بالحرام، مع إقرارنا بحسن نية المتداولين للمثل، وعدم انتباههم للخلط الموجود بمنطوقه. ومع اعترافنا أن الاحتمال لو كان في غير العقائد للزم التأوّل وافتراض حسن النية، وحمل اللفظ على محامله الحسنة.

وسأرتب الأمثال أبجديًا - لا بحسب فحشها وفحش مدلولاتها - تيسيرًا للمتابعة، ويقتضيني الحق أن أنوه بجهدين طيبين في هذا المضمار أحدهما جهد **الدكتور بكر بن عبد الله زيد في معجم المناهي اللفظية**، وإن كان قد ركز على المناهي المأثورة، والعبارات الفصيحة - وهي لا تتداول كثيرًا على ألسنة العوام الذين نوجه إليهم الخطاب - وكذا كتاب الأستاذ **محمد كامل عبد الصمد: الأمثال الشعبية التي تخالف ما جاء في نصوص الإسلام وروحه**، وهو كتاب جيد لم أجد في موضوعه غيره، ويتناول عددًا لا بأس به من الأمثال ذات الدلالات المخالفة شرعًا، لكننا هنا نركز على الأمثال ذات الدلالة العقيدية المنحرفة وهو ما لم يهتم به الأستاذ عبد الصمد.

---

٤ - الحلال والحرام في الإسلام. ص: **٣٣**

● ابن الكبة طلع القبة، وابن اسم الله خده الله

الكبة هي الورم الحادث من الطاعون ـ أو غدة شبه الخراج كما جاء في **الوسيط** ـ والمراد: أن الذي تهمل الاعتناء به يبقى ويعلو شأنه، ومن تحافظ عليه وتحوّطه باسم الله يمت في صباه أو طفولته.

وقد يكون المراد منه أن ابن السفلة الذين لا يستحقون الحياة أو الشرف صار شيئًا مذكورًا، بينما ضاع ابن السادة ولم يعل شأنه بل صار حيًّا كميت[٥].

وهذا مرفوض شرعًا، إذ يتعارض مع الأخذ بالأسباب وعدم الاعتراض على قضاء الله عز وجل. كما أن الناس في الإسلام سواسية ليس فيهم (ابن كبة وابن اسم الله) وإنما هم تتكافأ دماؤهم، ويستوون جميعًا إلا ما كان من تقوى لله تعالى وعمل صالح.

ويشبه هذا قولهم :

● ابن الهبلة يعيش أكثر

والهبلة في العرف العامي هي فاقدة العقل، أو المرأة الحمقاء التي لا تحسن التصرف.

والمعنى قريب من سابقه، لكن طول الحياة وقصرها لا يخضع لرجحان عقل الأم أو بلاهتها، ولا لغناها ولا فقرها، وإنما هو من أقدار الله عز وجل الذي قسم الآجال وفق ما يراه سبحانه. ولا نستطيع أن نفرّ من انتهاء هذه الآجال: ﴿**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ يونس: ٤٩

---

٥ ـ محمد كامل عبد الصمد: الأمثال الشعبية التي تخالف.

● احنا بنقرا ف سورة عبس

إذا تمادى حديثُ لجاجةٍ بين اثنين، وشدد أحدهما على الآخر أن يقبل رأيه، وكرر له ذلك فلم يفهم عنه قال: **احنا بنقرا ف سورة عبس**، أي: إن الكلام واضح والحجة بينة قائمة وأنا لا أروي ألغازًا ولا غوامض كسورة عبس.

وهـذه العبـارة قد توهم عدم تقديس السورة أو الاستخفاف بها، مع العلم أن السورة واضحة بينة، ومعجزة مؤثرة، ولا لبس بها ولا غموض.. فالأولى أن نطهر ألسنتنا من مثل هذه العبارات الموهمة للاجتراء على القرآن أو الاستخفاف بآياته.

● أخسر ديني / ومثلها
أكون بريءْ من دين الإسلام إن كان كذا / ومثلها
أكون يهودي / أكون نصراني.. وما شابه

إذا غضب بعضهم نتيجة تهمة كان بريئًا منها ـ أو غير بريء ـ وإذا أراد أحدهم أن يهدد غيره بأمر عظيم، وأن يغلّظ وعيده، ويؤكد كلامه قال:

أخسر ديني إن لم أفعل كذا.. أو: **أنا بريء من دين الإسلام إن كان كذا**.. إلى آخر هذه المأثورات القبيحة..

وهي عبارات خطرة في حالي الصدق والكذب، وسواء نفذ تهديده أم لم ينفذه. والمقامرة بالإيمان بهذا الشكل الأهوج فيها تسرع وحماقة.

وقـد ورد في ذلـك عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا: [**من قال إنه بريء من دين الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا لم يعد إلى الإسلام سالمًا**] رواه النسائي وأبو داود وأحمد والحاكم، وقال على شرط الشيخين، وأقره الحافظ الذهبي.

وقد عدها ابن عثيمين يمينًا إذا حنث فيه صاحبه كفّر إذا تمت شروط الكفارة(٦).

---

٦ ـ ص: ١٤٣ وانظر: معجم المناهي اللفظية.

إذا اغتاظ أحد من أحد، وتقاولا وتشاجرا، فربما هدد أحدهم أخاه بأنه سيريه (شغل الله)، أي سيفعل به الأفاعيل، ويوقع به الكثير من العنت والمتاعب والإزعاج، وكأن الشر هو من الله، وكأن شغله ـ تعالى عن الانشغال والأذى ـ أن ينزل البلاء تلو البلاء، والشر عقيب الشر.

ونحن المسلمين نؤمن أن أفعال الله عز وجل كلها خير محض، من حيث اتصافه بها وصدورها عنه. وليس فيها شر بوجه، فهو سبحانه يضع الأشياء مواضعها اللائقة بها كما هي معلومة عنده سبحانه وتعالى. وما كان في نفس المقدور من شر فمن جهة إضافته إلى العبد لما يلحقه من المهالك، وذلك بما كسبت يداه جزاءً وفاقًا.

وهذه العبارة منتشرة على ألسنة أهل الخليج فيما لاحظت . . فلينتبه .

● اسم النبي حارسه / اسم النبي حواليه / النبي حارسه وصاينه . . وما شابه

يراد بهذه العبارات تعويذ الصبي ـ أو المتحدث عنه ـ باسم النبي ﷺ حفظًا له، ودفعًا للعين عنه، **وليس النبي ﷺ ـ ولا اسمه ـ حول أحد، ولا حارسًا لمخلوق**، بل هو في قبره الشريف ـ بأبي هو وأمي ـ في روضة يحبر، حتى يحمل لواء الحمد ويسبق العالمين إلى الفردوس الأعلى.

والتعويذ بمثل هذه الصيغ ليس من التعاويذ الشرعية فيما نعلم، فما كان النبي ﷺ يعوّذ أحدًا بذلك، بل كان يعوذ باسم الله تعالى وبكلماته التامة وآياته البينة. أما بالنبي أو باسم النبي فهذا لم يعرف، ولم يؤثر عن الصالحين المتبعين سلفًا وخلفًا، بل هو من أغلاط العامة التي تقع في دائرة العقيدة.

● الأسماء: مستنقع آسنٌ

يسلم كثير من المهتمين بالعلوم الاجتماعية - فيما أرجو - بأن للأسماء دلالات وعللاً تكمن خلفها، على غير ما شاع بيننا ونحن صغار من **أن الأسماء لا تعلل**.

وتتنوع العلل المستكنة خلف الأسماء: فقد تكون سياسية، وقد تكون اقتصادية، وقد تكون اجتماعية أو دينية عقيدية، فأنت تستطيع بسهولة أن تكتشف تيارات ومفاهيم وعلاقات من تأمل الأسماء المنتشرة في مجتمع ما.

ولو أخذنا مجتمعًا - كالمجتمع المصري مثلاً - لوجدنا موجات من الأسماء تتلو إحداها الأخرى - خصوصًا في الطبقة الوسطى والتي تليها - فإذا وجدت اسم هانم وستهم وفوزية وفاروق وحكمت وشوكت فاعلم أن وراءها فلسفة، وإذا رأيت بعد ذلك أسماء أخرى مثل نصر وناصر وجمال ونجيب فلا تظن ذلك عبثًا، خصوصًا وأنها شاعت في مرحلة بعينها ثم انحسرت.

وإذا وجدت في المجتمع المصري المسلم اسمًا كلينين أو نهرو أو تيتو فلا تندهش . .

ثم إذا رأيت تفشيًا وانتشارًا لاسمين كعبد الله وعبد الرحمن، أو عائشة وخديجة فتيقن أن هذا طبيعي جدًّا . . يحدث نتيجة هبّة سياسية أو عقيدية أو اجتماعية.

ولو نظرنا على مستوى الدول لوجدنا الأسماء تعكس خصوصيات لا منازعة فيها. فلن تخطىء عينك النزعة الشيعية بين من يسمون عبد الحسين وعبد علي وعبد الزهراء وعبد الرضا وما شابه، ولن تخطىء عينك النزعة الصوفية بين من يسمون السيد البدوي وسيد أحمد وعبد النبي وعبد الرسول وغيرها.

ولن تخطىء هوية الرجل من شبه القارة الهندية إذا رأيته يتسمى خليل الرحمن وظل الله وقريب الحق وغلام محمد و . . .

وليست هذه القضية عربية أو إسلامية بل هي عالمية، وأعتقد أن قراءة في الأسماء الغربية تكشف لك عصبيتهم الدينية للنصرانية بمجرد النظرة العابرة، فليس من العسير اكتشاف أن اسم كريس أو ماري أو جون أو لويس أو ديفيد - ومئات غيرها - هي أسماء واسعة الانتشار.

وكلها أسماء دينية بحت تعكس عصبيتهم لنصرانيتهم أكثر من عصبيتنا لإسلامنا، فكم بيننا ممن يسمي أبناءه عمر أو البخاري أو مسلمًا أو ابن تيمية أو الشافعي ؟! إنه والله لنادر أو معدوم، لكن الأوروبيين ـ وبطريقة متسعة ـ يتسمون بأسماء قديسيهم ورموزهم المباشرة دون أن يخشوا تهمة الوهابية أو السلفية أو التزمت والرجعية.

وليس غريبًا أن تقرأ في نصارى مصر أسماء صليب وجرجس وصموئيل وغبريال وشنودة وبطرس ولويس وحنا وتريزا وجميانه وهي أسماء تراثية دينية.

كما أنه ليس غريبًا أن تقرأ في أسماء يهود إسرائيل أسماء مثل ديفيد، وبن تسفي، وشيمون وبن زيون وموشيه وشاؤول وغير ذلك.

وأنا لا يعنيني التوسع في تحليل هذه الظاهرة ـ فليس هذا موضوعي ـ ولكن يعنيني تأمل الأسماء المنتشرة بين المسلمين، والتي تحمل دلالات مرفوضة عقيديًا وتحتاج إلى تنبيه ولفت نظر، إعذارًا إلى الله تعالى.

فلا شك أن ثمة من يسمي أبناءه وبناته بأسماء محتقرة محقِّرة من أجل دفع العين أو من أجل أن يطول عمر «المحروس» كهذا الذي يسمي ولده جحشًا أو جحشة، أو يسميه بمثل طوبة، أو: شأوير، أو زنجر، أو: عواطلي !

واعتقاد أن الاسم ـ بمجرده ـ له دخل في دفع العين أو إطالة العمر هو اعتقاد باطل لا يليق بمسلم يوحد ربه، ويحترم عقله، ويؤمن بالأسباب.

ولعلنا أشرنا فيما مضى إلى أن هذا الأمر متسرب من مرحلة ما قبل الإسلام، فقد كان العرب إذا أرادوا أن يعوّذوا أبناءهم سموهم بأسماء مثل: قنفذ.

كما كانوا يفعلون ذلك أحيانًا إرهابًا لأعدائهم، فكانوا يتسمون بأسماء مثل كلب، وحجر، وحزن، ومرة، وحذافة، وطلحة لما تحمله من القسوة وإلحاق الأذى. ولما سئل أحدهم عن سر هذه التسميات قال: **إننا نسمي أبناءنا لأعدائنا، ونسمي غلماننا لأنفسنا،** أي إنهم كانوا يسمون العبيد بأسماء مثل رباح ويسار ونجاح وبشير تفاؤلاً .. إذا ما استخدموا العبد.

ومما يلفت النظر انتشار تسمية المحلات والشركات والميادين في كثير من الأحيان بأسماء غير إسلامية، فترى من يسمي شيري، أو دارلنج، أو بلاي بوي !! أو بريك دانس ـ مثلاً ـ أعلامًا لمحلات في قلب عواصم الدول الإسلامية !

وأدهى من ذلــك أن تجد أن الشـــاب صاحب الاسم العــربي المسلم يقلبـه إلى اسم «خـواجـاتي»، فترى الشبـان ينادون جمالاً باسم جيمي (!!) أو ينادون يوسف باسم جو، وينادون شيرين باسم شيري، أو بسمة باسم بوسي . . وهكذا.

وهذا نابع في المقام الأول من الانبهار بالغرب ـ بعجره وبجره وحلاله وحرامه ـ ومحاولة التشبه بأهله ـ ولو في الأسماء ـ انطلاقًا من قول الشاعر:

فـتـشبـهـوا إن لم تكـونوا مثلهـم   إن الـتـشبـه بالـرجـال فـــلاح

فالغرب الآن هو اليد الطولى، والحكمة البالغة، وميدان الانطلاق والتحضر . . ولا شك أن التقليد أمر محتقر إذا كان في مثل هذه الأشياء، لأسباب كثيرة منها: **أن مجرد التشبه لا ينقل الإنسان من حالة الارتكاس الحضاري والهزيمة النفسية إلى الانتصار والتفوق والتحضر**.

ومنها أن الواقع الأخلاقي والنفسي والعقيدي في الغرب واقع منحط لا يختلف في ذلك اثنـان، على الأقـل في الجانب الذي يصدّر إلينا ويروج بيننا، وابتلاع طُعم التقليد خيانة للأمة، وبيع للهوية بثمن بخس، واستئسار وتسليم للنفس لمتربص له تاريخه في انتهاشنا حتى العظم.

وأهم من ذلك كله **أن التشبه بغير المسلمين أمر مرفوض شرعًا**، فالإسلام حريص على تميز أبنائه في أخلاقهم وأزيائهم وعوائدهم وسلوكهم كما تميزوا في دينهم، والنبي ﷺ قال: [**خالفوا المشركين**] متفق عليه. وقال: [**من تشبه بقوم فهو منهم**] أبو داود وصححه. وقال: [**المرء مع من أحب**] متفق عليه.

وقد تكون عدوى التقليد بين طبقة وطبقة في المجتمع ذاته، فإذا سمى الأغنياء أبناءهم ـ أو كلابهم ـ سوسو أو زوزو أو لولو، وجدت مَنْ دونهم يسارعون إلى التسمي بمثل هذه الألفاظ التي لا معنى لها. وإذا سموا أبناءهم بأسماء لا توجد في المعاجم لأنها مفبركة أو محرفة مثل رانيا أو داليا أو ناديا أو راشا، وجدت مَنْ دونهم يسارعون إلى التسمي بمثل ذلك تقليدًا وإعجابًا، رغم كون هذه الألفاظ ملحونة أو بلا معنًى أصلاً.

وعلى كل حال فإننا في هذا الموقف نحتاج إلى تسجيل بعض المعاني باختصار:

● **الأسماء ذات المخالفات العقيدية لا يجوز التسمي بها** كعبد الرسول أو عبد الحسين أو عبد الزهراء، وقد صح أن النبي ﷺ غيَّر الأسماء الذميمة إلى أخرى حميدة.

● الأسماء التي يتسمى بها لرد العين أو إطالة العمر - على قبحها وسخفها - يحرم التسمي بها ولا بد من تغييرها شرعًا .

● الأسماء التي فيها تشبه بالكفار لا يجوز التسمي بها ولا بد من تغييرها، نجاةً وإفلاتًا من وعيد رسول الله ﷺ .

● إحسان التسمية من سنة رسول الله ﷺ . وخير ما نحييه سنة النبي ﷺ بالتسمي بعبد الله وعبد الرحمن وما شابه، وكذا التسمي بأسماء الصحابة ، والأئمة، وكذا بالألفاظ ذات الدلالة العربية الفصيحة والرقيقة، ففي ذلك إحياء للسنة، وبعث لأمجاد الصحابة، واستمساك بالعربية لغة القرآن الشريفة.

وأخيرًا نقول ما قال الله تعالى: ﴿**هل يستوى الأعمى والبصير؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟!**﴾ الرعد: ١٦

● أعطاك عمره البقية في حياتك . . وما شابه مما لم يؤْثَرْ

لغة الناس في التعازي متفاوتة، لكن يكثر على الألسنة - في بلادنا - قولهم : **البقية في حياتك**.

ولا أدري ماذا يقصدون بالبقية - وقد انتهى العمر واستوفى الميت دقائقه وثوانيه على الأرض.

● ● هل هي بقية من عمر من مات؟!

ذلك لا يكون أبدًا فإن للناس آجالاً إذا جاءت ﴿**لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ فليس ثمة بقية من العمر.

● ● هل هي بقية من عمل كان يؤمّل أن يعمله ؟!

لا أحد يعرف ذلك، فهو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل . وعمل الناس محسوب حتى انتهاء آجالهم، وقد قال ﷺ فيما أخرجه مسلم : [**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**] مسلم .

●● هل هي بقية من تأثير تركه الميت ويؤمّل أن يقوم به المعزّى ؟

ذلك أيضًا لا يكون ولا يجدي الميت، فكل امرىء بما كسب رهين.

والأولى أن نعزّي بما أثر عن النبي ﷺ في مثل هذه الأحوال، وأن ندعو للميت جهدنا مخلصين الدعاء ـ وعلى الأخص عند الصلاة عليه وعند قبره ـ كما صحت بذلك السنة.

ويشبه هذا قول بعضهم : **أعطاك عمره**.

● المس الخشب / امسك الخشب

Touch wood

Make fingers crossed . . وما شابه

كلمات شائعة ـ حتى في الأغاني ـ تقال لشخص يُظن أنه يحسد غيره على نعمة، حتى يقع حسده على الخشب لا على الآدمي أو الشيء المحسود، وهي شائعة عالميًا، نقلناها ـ كما ننقل الكثير من الخبث ـ عن الغرب.

وبعض المتفرنجين منا يترفعون ـ حتى ـ عن نطقها بالعربية، فيلوون ألسنتهم بها بالإنجليزية : Touch wood .

ولمس الخشب لا يدفع حسدًا، ولا يردع عينًا، ولا يغير من الأقدار شيئًا، بل هو اعتقاد في تأثير الجماد تأثيرًا في غير موضعه.

كما أن الشرع الشريف لم يثبت شيئًا من هذه الخرافات المنقولة إلينا مع القمامات الفكرية والعقيدية المستوردة نتيجة ولع بعضنا بتقليد الغربيين ذوي الفهوم الساقطة والعقائد الدهرية التي تؤله الحجر أحيانًا، بينما تنكر وجود الله تعالى، أو تعطل صفاته العلى.

وقد يستدفعون الحسد بكلمة أخس وأحقر، وهي Make fingers crossed أي ارسم الصليب بأصبعيك، وبعضهم يرسم الصليب فعلًا بجعل إصبعيه أحدهما فوق الآخر.

وعقيدة المسلم أرفع من السقوط في شرك تأليه الصليب أو الخشب والجمادات. وعلى من فعل شيئًا من ذلك أن يجدد إيمانه ويبرأ إلى الله تعالى مما أركسه فيه الشيطان لعنه الله.

● اللي يعتقد في حجر ينفعه

عبارة خطرة، ومفهوم شركي يشابه ما كان يفعله أهل الجاهلية الأولى من استحسانهم لحصاة أو لحجر يتخذونه إلهًا، ويشبه أيضًا ما يفعله جاهليو أوربا المعاصرة من استحسانهم لحجر أو قوقعة أو قطعة معدن فيتخذونها «حظاظة» جالبة للفأل.

وهذا المفهوم سخرية من الشيطان، وتلعّب منه بعقول بعض أبناء آدم الذين أكرمهم الله تعالى بإنزال دينٍ خاتم يحرص على تنقية التوحيد، ويختارون أن يكونوا من الأكثرية التي ليست على شيء.. وصدق الله العلي العظيم: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ ويستغل المشعوذون وسدنة الأضرحة مثل هذه التعابير لمخادعة العامة واستحلاب أموالهم وصالح أعمالهم، فتأمل.

● إن دخلت بلد تعبد العجل حشّ له

منطوق المثل يعني أن الرجل الحصيف لو كان بين قوم فإنه يقلدهم في عوائدهم وعقائدهم وأخلاقهم، فحتى لو كانوا وثنيين يعبدون العجل فلا عليه أن يقلدهم، بل أن يغلو في تقليدهم ويتمادى حتى يصير خادمًا للعجل المعبود، فذلك يجعله كالناس، وييسر له تسيير دفة حياته.

وهو مثل يدل على الانتهازية وسوء الأخلاق ومثله:

ارقص للقرد ف دولته - إن جاك طوفان حط ابنك تحت رجليك - إن كان لك عند الكلب حاجة قولّه يا سيد - حلال كلناه حرام كلناه - اللي تغلب به العب به - اللي ما تقدر توافقه نافقه.. إلخ.

والمسلم لا يسيّر حياته بالحرام ولا بالتسلق والوصولية.

ومنطوق المثل المذكور أخسّ من غيره لأن فيه توسلاً بالشرك إلى المنافع الدنيوية، فهو بيع للدين بالدنيا، واستبدال الذي هو أدني بالذي هو خير. والمؤمن يتحرى في أمور العقيدة،

ويتقي الشرك جهده، لعلمه أن الله تعالى: ﴿لا يغفر أن يشرك به﴾ النساء : ٤٨ ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ المائدة : ٧٢

● أنا اصطبحت بوش مين

يتشاءم العامة برؤية بعض الوجوه. فإذا صادف أحدهم في يومه ما لا يحب تضايق وتشاءم وردد: **أنا اصطبحت بوش مين**، أي: من هو الرجل المشؤوم الذي لقيت صباح يومي هذا، والذي جلبت طلعتُهُ الشر إليّ والنحس؟

وهذا اعتقاد باطل يذهب إلى أن رؤية بعض الوجوه جالبة للنحس، محدثة للمصائب.

وقد نهانا ﷺ عن التشاؤم والتطير كما مر.

● أنا باعبد فلانة / باحبها حتى العبادة / معبودة الـ . .

هذا تجوّز في اللفظ قبيح، وإن كان صاحبه لا يقصد العبادة بمعناها الاصطلاحي أو على الأقل يجهل خطورة التلفظ به.

لكن السكوت على مثل هذه العبارات الخسيسة جعلها تنتشر على ألسنة الناس، وزاد الشعراء الأمر، فترى مثل هذا الكلمات كثيرًا في غزلهم وتشبيبهم حتى قال قائلهم:

وتعبد ربًّا بأعلى السماءِ وقبلةُ وجهكَ في الأرض نجوى

وقد عرّف علماء الشريعة العبادة بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده[7].

ولا شك أن التعلق بفلانة من النساء ـ وهي عادة ليست زوجة كما نشهد في الواقع ـ ليس عملاً يحبه الله ورسوله، بل هو اجتراء على الحرمات وتطاول على الأعراض، فكان الخطأ هنا مركبًا: خطأ في المصطلح العقيدي وخطأ بالاجتراء على الأعراض . . فتأمل.

---

٧ ـ أعلام السنة المنشورة ـ ص: ١٣٦

وقد علل الأستاذ علي الطنطاوي[8] **- من باب التخفيف -** هذا التجوز اللفظي باستخدام لفظ العبادة في موضع شدة الحب بأن عاطفة الحب دليل على أن الإيمان فطرة في النفوس، فالحب صورة مصغرة للإيمان، ونوع من أنواع العبادة. **والفرنسيون لما غلب عليهم ترك الدين استعملوا كلمة العبادة Adorer** في الحب، وقلدهم في ذلك بعض المتفرنجين منا.

ووجه الشبه بين العبادة والحب أن المحب يطيع محبوبه وينفذ كل رغبة له.

وكذلك يكون المؤمن مع الله تعالى.

والمحب لا يبالي أن يسخط عليه الناس كلهم إن رضي المحبوب.

وكذلك يكون المؤمن مع الله تعالى.

والمحب يخاف المحبوب ويخشى غضبه ويرضى بكل ما يكون منه.

وكذلك يكون المؤمن مع الله تعالى.

فالحب - أي العشق - دليل على أن الإيمان فطرة في النفوس. وليس معنى هذا أن حب الله تعالى من جنس حب المعشوق، لأن الله تعالى لا يماثل شيئًا من المخلوقات ولا يماثله شيء.

• أنا عملت اللي عليّ . . والباقي على الله

يريد القائل بذلك أنه أخذ بالأسباب، وأن ما وراء الأسباب هو لله تعالى. والمعنى يبدو صحيحًا ومقبولاً، لكننا نعتقد أن كل شيء - حتى الأسباب - بيد الله عز وجل، فهو سبحانه يملك إمضاءها أو تعطيلها. والغلو في تحكيم الأسباب ينم عن خلل في الفهم وتعطيل لصفات الله تعالى، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يربط الناس بين الأنواء والأمطار.

وقد انتبه العامة إلى قضية الأسباب في موضع آخر حين حكوا عن جحا أنه أراد أن يشتري حمارًا، فقالت له زوجه: قل إن شاء الله. فقال: وما دخل إن شاء الله بما أريد؟ فلوسي في جيبي والحمير بالسوق. فلما خرج ضاعت نقوده وعاد إلى زوجه نادمًا ناويًا أن يقول إن شاء الله في مرة تالية.

---

٨ - تعريف عام بدين الإسلام - بتصرف واختصار، ص: ٤٧

● أنا معتمد على الله وعليك / ومثلها البركة فـ ربنا وفيك / ومثلها أنت لي في الأرض وربنا فـ السماء / ومثلها مالناش إلا أنت وربنا . . وما شابه

في هذه العبارات وما يشبهها خلط واضح، وتسوية بين الخالق عز وجل وبين مخلوقاته، ومقارنة بين الغني عن العالمين سبحانه وبين الضعفاء الفقراء المحتاجين.

وهـو خلط نهى عنه النبي ﷺ نهيًا واضحاً؛ فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: [**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**] رواه أبو داود بإسناد صحيح

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[9]:

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها. وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته سبحانه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن

وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض، فجعل هذا يحسن إلى هذا، ويدعو له، ويشفع فيه . . ونحو ذلك، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود كله من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه الرب ـ تعالى ـ ويخافه.

ولهـذا قال النبي ﷺ: [**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعـظم المسـألـة، فإنه لا مكره له**] وفي رواية لمسلم: [**ولكن ليعزم وليعظم الرغبة، فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه**].

وقد أشار الحكمي في أعلام السنة المنشورة ـ ٣٩ ـ إلى ذلك فقال:

قال النبي ﷺ للذي قال له: ما شاء الله وشئت: [**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**] ـ ابن ماجه وغيره ـ ومنه قول بعضهم: **لولا الله وأنت، ومالي إلا الله وأنت، وأنا داخل على**

---

٩ ـ رسالة: الواسطة بين الله تعالى وبين عباده ـ مجموعة التوحيد ـ ص ١٣٦

الله وعليك ونحو ذلك .

قال أهل العلم: **ويجوز لولا الله ثم فلان، ولا يجوز لولا الله وفلان، لأن العطف بالواو يقتضي المقارنة والتسوية،** فيكون من قال: ما شاء الله وشئت قارنًا مشيئة العبد بمشية الله تعالى، مسويًا بينهما، **بخلاف العطف بثم المقتضية للتبعية.** فمن قال: ما شاء الله ثم شئت فقد أقر بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى لا تكون إلا بعدها كما قال الله تعالى:

﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ ـ الإنسان: ٣٠ ـ

● من الأمثال التونسية المرفوضة دينًا

● **إيش دخل بسم الله في عشانا:** (١٠)

ويضرب عند إقحام موضوع في موضوع آخر. وهو على كل حال من سوء الأدب وقلة الفهم. فالمسلم يستفتح كل شيء باسم الله تعالى ويختمه بحمده عز وجل، اعترافًا بأنه سبحانه واهب الحياة، والموفق للخير، والذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد أمر النبي ﷺ بالبسملة عند تناول الطعام طردًا للشيطان، وتثبيتًا للبركة في الزاد.

ففي مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: **[إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء].**

وفي الترمذي بسند حسن صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال النبي ﷺ: **[أما إنه لو سمى لكفاكم].**

من هنا أمر رسول ﷺ بالتسمية عند الطعام، لأن لها دخلاً في البركة وطرد الشيطان ـ كما مر ـ فقد روت أمنا عائشة الصديقة رضي الله عنها حديثًا مرفوعًا أخرجه أبو داود والترمذي بسند

١٠ ـ التراث الشعبي، ع ٣/١٩٨٠

حسن صحيح : [إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره][11].

● الباب المردود يرد القضا المستعجل - تيمور ٢٢٧ -

يراد به الاحتياط والأخذ بالأسباب، لكن المنطوق يتجاهل أنه لا ينجي حذر من قدر، وأن القضاء (المستعجل) لا يرد، وأن مشيئة الله عز وجل نافذة واقعة ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ الواقعة : ٢ ﴿وكان أمر الله قدرًا مقدورًا﴾ - الأحزاب : ٣٨ [يا أبا هريرة : جف القلم بما أنت لاقٍ] - البخاري في النكاح -

● باسم كذا: الشعب - الحرية - الحب - العروبة - الوطن . . إلخ

لا تسوغ التسمية بغير اسم الله تعالى في موضع البدء والاستعانة أو القسم.
ومع تقديرنا للعروبة والوطن والشعب والحرية - التي تكتنفها تشريعات الله تعالى وتعليماته السامية - مع تمجيدنا لها، ودعوتنا لنصرتها، لا نرى التسمية بها سائغة لما فيها من خدش التوحيد الذي هو ركن الدين الشديد وعماده الأقوى، وهو أعظم مطلوب ابتعث الله عليه كل نبي مرسل[12].
وفي فتاوى ابن عثيمين أن الإنسان إذا قصد بذلك أن يعبر عن الوطن أو الشعب أو العروبة مثلاً فلا بأس، أما إن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع من الشرك[13].

---

١١ - انظر رياض الصالحين - كتاب أدب الطعام - باب التسمية في أوله والحمد في آخره - ص: ٣١١
١٢ - معجم المناهي اللفظية، ص: ٩٥
١٣ - ص: ١٤٣

● البساط أحمدي / خللي البساط أحمدي

يربط هذا المثل بالسيد أحمد البدوي. ويزعم المتحدثون عن كراماته وخوارقه أنه كان **له بساط صغير يجلس عليه، وأن هذا البساط الصغير كان يسع كل مريديه وأحبابه ممن يريدون الجلوس معه**[١٤].

وهذه الخرافة تحاول أن تسرق بعض معجزات النبي ﷺ وتنسبها لكل أحد، فإذا كان النبي ﷺ قد كثّر الطعام حتى صار كافيًا لنحو مائة وثلاثين شخصًا[١٥] فإن الأولياء يستطيعون أن يفعلوا أكثر من هذا، فالبساط الأحمدي يسع كل المريدين المتولعين، على صغر مساحته. كما أن شعرة من لحيته سقطت فغطت كذا وكذا، وإبريقه «الصغير» إذا امتلأ سقى الأحباب والمريدين جميعًا .. فتأمل.

● بالرفاء والبنين

الرِّفاء دعاء للمتزوج بالالتئام والاتفاق وجمع الشمل، واستيلاد البنين[١٦].

وقد نهى النبي ﷺ عنه لأنه كان من دعاء الجاهلية التي كانت تؤثر البنين على البنات والنساء شقائق الرجل في ديننا، لا فضل لهم عليهن إلا بالتقوى أو عمل صالح، ولا عبرة بالذكورة أو الأنوثة في رضا الله تعالى أو دخول الجنة بل: ﴿**كل امرىء بما كسب رهين**﴾.

ولا يزال هذا الكلام سائرًا على ألسنة العامة - والخاصة - في بلاد كثيرة، حتى إن الصحف لا تعرف في التهاني إلا هذه الصيغة. وأحيانًا يتداولون جملاً عامية مثل: **تغلبها بالمال وتغلبك بالعيال - بالصبيان** - أو بعبارات مماثلة في الأردن وفلسطين وسوريا والعراق والخليج وغيرها.

ويمكن الرجوع بسهولة إلى مجاميع الأمثال الشعبية وأساليب التحية للتأكد من ذلك.

---

١٤ - فوزي العنتيل: بين الفولكلور والثقافة - ص: ٣١٦

١٥ - انظر صحيح مسلم - رقم ١٥٣٣ وما قبله وما بعده.

وقد نهى النبي ﷺ عن هذه التهنئة لأنها من عمل الجاهلية. ومن ذلك ما رواه الحسن أن عقيل بن أبي طالب - رضي الله عنه - تزوج امرأة من جشم، فدخل عليه القوم فقالوا بالرفاء والبنين، فقال: لا تفعلوا ذلك، فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، قالوا: فما نقول يا أبا زيد؟ قال قولوا [بارك الله لكم وبارك عليكم] إنّا كذلك كنا نؤمر

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال: [بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير - أو قال: على خير][17].

● بحق جاه النبي / بحق فلان / والنبي / وحياة النبي / ورسول الله / والأمانة / والنعمة / بالذمّة وتربة أمي / ورحمة أبي يا رسول الله - يا سيدي فلان - يا حضرة النبي .. إلخ

هذه العبارات من التوسل والقسم غير المشروعين. وهي واسعة الانتشار على ألسنة العامة وبعض المتعلمين.

فالحلف بغير الله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته أمر غير جائز، لنهي النبي ﷺ عن الحلف بغير الله تعالى

وقد عنون الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين بابًا بعنوان: النهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة - وهي من أشدها نهيًا - ثم روى أحاديث في ذلك عن النبي ﷺ منها حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا: [إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت] متفق عليه.

وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال له: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: [من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك] - الترمذي بسند حسن -

---

١٦ - الوسيط - رفأ - ج: ١، ص. ٣٥٨ - واللسان - ج: ١ مادة: رفأ.

وفسّر بعض العلماء قوله: كفر أو أشرك على التغليظ - وأنه من باب كفر دون كفر - كما روى أن النبي ﷺ قال: [الرياء شرك] أ. هـ.

كما نهى علماء السنة عن التوسل بحق فلان وبركة علّان أو ما شابه من الأقسام والتوسلات، فإن الله تعالى من عباده قريب، لا يحتاج إلى وسائط ولا إلى شفعاء. وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا: **لا إله إلا الله**، فإن الله هو الذي تألهه القلوب بكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف، حتى قال لهم: لا تقولوا: **[ما شاء الله وشاء محمد]** وقال لابن عباس رضي الله عنهما: **[إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله]**[18].

● حاجة تقصر العمر / عيشة تقصر العمر / تموتني - هاتموّتني - ناقص عمر / ما كانش يومك . . وما شابه

يسلم المسلم أن الآجال محدودة، وأن الأنفاس معدودة، وأن الدقائق والثواني تجري لأجل مسمى. يقول الله تعالى: **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** - الأعراف: ٣٤ - وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **[إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب]**.

فترى في الآية أن الأجل إذا جاء لم يتقدم الإنسان ثانية واحدة ولم يتأخر عن موعد خروج روحه. وكذا الحديث الشريف يؤكد على أن ابن آدم لن يموت حتى يستوفي أمرين:

رزقه - كله - وأجله بالدقيقة وبالثانية وبالنّفس والحركة والنأمة.

فليس ثم شيء يقصّر العمر أو ينقصه - كما يشيع على ألسنة العامة - وإنما يسبق إلى علم الله تعالى أن فلانًا سيبلغ أرذل العمر، وأن فلانًا سيموت شابًا أو صبيًا، وأن علانًا سيموت حتف أنفه، بينما سيموت غيره بالسرطان أو القلب مثلاً.

ونسأل الله تعالى أن يختم لنا بالصالحات، وأن يتوفانا على الإيمان وهو راضٍ عنا . . آمين.

---

١٧ - الألباني - آداب الزفاف في السنة المطهرة، ص: ٥٦ وحديث أبي هريرة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وغيرهم بسند صحيح على شرط مسلم. وحديث الحسن البصري عن عقيل يرتفع بطرقه إلى درجة الحسن كما أشار المحدث الألباني، وأخرجه ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

حاضر ناظر / حضرة النبي

يعتقد المبتدعة من البريلوية الغلاة في شبه الجزيرة الهندية أن الرسول ﷺ لم يمت بل هو حي يرزق، وأنه حاضرٌ ناظر في كل مكانٍ، يشهد محافل البدع وحلق الذكر غير الشرعية التي يتمايلون فيها مغنين: **سلامًا يا رسول الله عليكا .. تشفّع يا رسول الله فينا**.

ولاعتقادهم بأنه حاضر ناظر فإنهم يتركون في وسط المحفل كرسيًا خاليًا يضعونه وسط الحلقة مدعين أنه يجلس عليه «**حظرة مصطفى كريم**» ويضيفون إلى هذا المعتقد جملة معتقدات تشبه عقيدة النصارى في «المسيح الحي» على حد قولهم.

ولا يقول مسلم واعٍ دينه إن الرسول ﷺ لم يمت، أو إنه مات ثم بعث ثانية وإنه يدور على المحافل الشركية يبارك سدنتها والقائمين عليها، بل لقد أثبت القرآن الكريم والسنة المشرفة موته عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ - الزمر: ٣٠ - وقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾ - الأنبياء: ٣٤ - وما صحت به السنة المشرفة من أن **وفاته كانت يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام أحد عشر من الهجرة** كما ورد بالبخاري، وقد أنكر عمر رضي الله عنه خبر وفاته ﷺ حتى دخل الصديق فكشف عن وجهه الشريف - ﷺ - ثم أكبّ عليه يقبله ويبكي قائلاً: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، **أما الموتة التي كتبت عليك فقد متّها**.

ثم خرج إلى المسجد وأعلن خبر وفاته عليه الصلاة والسلام قائلاً:

أما بعد: من كان منكم يعبد محمدًا **فإن محمدًا قد مات**، ومن كان يعبد الله **فإن الله حي لا يموت**، قال: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزى الله الشاكرين**﴾ - آل عمران: ١٤٤ -[١٩].

---

١٨ - اقرأ في ذلك رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معنى الواسطة بين الله تعالى وعباده من مجموعة التوحيد - ص: ١٢٧ - واقرأ في كتب التوحيد تفصيلاً عن التوسل والحلف.

والبريلوية غلوا غلوًّا فاحشًا في رسول الله ﷺ كما فعل بعض غلاة الصوفية معه عليه الصلاة والسلام حين قالوا إنه هو الله لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية، وهم اسم الذات الإلهية من حيث هي هي - أي المطلقة - وأن شأنه في جميع تصرفاته شأن الله، فما في الوجود إلا محمد .. إلخ هذا الهذيان الغالي الذي لا يصدر عن عاقل يؤمن بالله تعالى ربًّا واحدًا لا شريك له[٢٠] .. فترى بعض البريلوية يذهبون إلى **أن الله هو محمد** - تعالى الله - مستدلين بمثل قوله تعالى: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾** وسنورد - إن شاء الله تعالى - تفصيلات في جزء تالٍ من هذا الكتاب - إذا أعاننا ربنا عز وجل على إتمامه - حول الانحراف في تصور الرسول والرسالة.

ومما تجدر الإشارة به أن كلمة **حضرة النبي** الشائعة بين العامة فيها رائحة التصور البريلوي في كونه ﷺ موجودًا بين الناس - أو هكذا أتخيل - فلينتبه.

● حوش يا حواش

عبارة تشيع على ألسنة بعض العوام في مصر. وقد ذكر **أحمد أمين**[٢١] أن **الحواشين فريق من الأولياء يحوشون البلايا عن الناس** أي يمنعونها ويدفعونها.

ولعل هؤلاء الحواشين هم **النجباء** الذي يتحدث غلاة الصوفية ومنحرفوها أنهم يسكنون مصر، وعملهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم وأن عددهم سبعون[٢٢]، أو لعلهم **الطيارون** الذين يعتقد الجزائريون أنهم يطيرون لمساعدة المأزومين في كل العالم (!!) وعدتهم ستون طيارًا.[٢٣]

---

١٩ - البخاري ٥/١٤٣ عن: رحمة للعالمين، ج: ١، ص: ٢٨٩

٢٠ - انظر: هذه هي الصوفية - ص: ٧٥ وما بعدها.

٢١ - قاموس العادات والتقاليد، ص: ١٨٣

٢٢ - هذه هي الصوفية، ص: ١٢٧

٢٣ - طوالبي - ١٣٥

واعتقاد أن هناك كائنًا ـ أيًا كان ـ يستطيع أن يمنع قدر الله تعالى ويعترض إرادته كفر بينٌ.
وأصحاب العقيدة الصحيحة لا يؤمنون بأن في هذا الكون متصرفين مع الله عز وجل، بل يؤمنون أنه سبحانه غني عن العالمين، وأنه رب كل شيء ومليكه **﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذًا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾** ـ المؤمنون: ٩١ ـ

والكون كله بما فيه ومن فيه ـ من صالح وطالح، ومؤمن وكافر، وإنسان وحيوان ـ محتاج إلى بارئه ومنشيه سبحانه وتعالى: **﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد. إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز﴾** ـ فاطر: ١٥ ـ ١٧ ـ فما شأن هؤلاء الحواشين الذين لا يحوشون عن أنفسهم ولا يملكون من أمرها شيئًا؟! **﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير﴾** ـ فاطر: ١٤ ـ

● دا العشق حلال والله !!

قد مات شهيدًا من مات فداءً للمحبوب ـ على دين المحبوب ـ
القبلة .. ياخد بدال الواحدة ألوف .. إلخ.

تعمل وسائل الإعلام على نشر كثير من الأشياء المرفوضة شرعًا، ويتسع انتشار الأمر بحسب اتساع الوسيلة الإعلامية.

وتمتلىء الأغاني بفتاوى جريئة تخالف العقل والشرع، وتعمق مفاهيم منحرفة غير مرتضاة ومعظمها يدور حول الحب بمعناه الجنسي الهابط الذي يمجد القدود، ويسبح بحمد الخدود والنهود، ويمنح الشهادة لمن مات على دين محبوبه، وتبيح له الوصال والتماسّ والارتكاس بكلمات من مثل: **حلال، وحرام، ودين، وذنب، وشهادة** .. وما شابه.
وكأن أولئكم يريدون أن يضفوا المشروعية على الممارسات المحرمة والعلاقات التي لا يقرها الشرع بنفس الألفاظ الشريفة التي استعملها علماء الأمة وفقهاؤها في الأمور الجليلة المعتبرة.
والناس في تلك إما أن يكونوا ساخرين مستهزئين، أو يكونوا مجترئين، أو يكونوا مستبيحين .. وكل ذلك عند الله عظيم .. فتأمل.

● دستور يا سيادي / من غير إحم ولا دستور

اعتاد العوام استئذان الشياطين أو الجن حين يدخلون أماكن مما يُعتقد أن الجن يستوطنونها، فتراهم إذا أرادوا أن يريقوا بعض الماء الساخن في المرحاض، أو دخلوا مكانًا خاليًا ليلًا، أو اصطدم أحدهم بحيوان داجنٍ في الظلام، أو كانوا في جلسة زار . . أو ما شابه استأذنوا الجن قائلين:

● **دستور يا سيادي**

ولعل معناها أن بيننا وبينكم ميثاقًا وعهدًا ألا تؤذونا إذا استأذنّا، ونحن نستنجزكم الوعد، فكفوا عنّا شركم.

ومن الكنايات العامية أن أحدًا لو أقحم نفسه في مكان أو حديث أو نحو ذلك قيل إنه جاء: **من غير إحم ولا دستور !!**

وقد مر بنا أن عرب الجاهلية كانوا يعوذون برجال من الجن، وكان أحدهم إذا نزل واديًا خاف جنه استأذن عظيم الوادي . . كما قال أحدهم:

قد بتّ ضيفًا لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي

راحلتي في جاره وزادي

وقد جاء الإسلام بإبطال الاستعاذة بكائنٍ من كان - جنيًا أو وليًا أو شيطانًا أو غير ذلك - وجعل الاستعاذة بالله تعالى وحده، وإلا وقع الإنسان في الشرك والعياذ بالله تعالى . . فتأمل.

● فلان: ربنا افتكره

إذا مات شخص وأراد أحد الترحم عليه والرثاء له فإنك لواجدٌ على ألسنة كثير من الناس - أميين ومتعلمين - مثل قولهم: **ربنا افتكره** - تعالى الله.

ولكن المنطوق إبليسيٌّ مهلك، فإن الرزق إنما هو بيد الله تعالى وحده، يؤمن بذلك كل مسلم موحد: **﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز﴾** - الشورى: ١٩ -

وعبارة **ربنا افتكره** ـ وإن قيلت بلا فهم ولا إدراك ـ لو أريد ظاهرها لكفر الناطق بها والعياذ بالله تعالى، إذ تجيز على الله عز وجل النسيان وهو القائل:

﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ ـ طه: ٥٢ والقائل: **﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾** سبأ: ٣ ـ وهذه العبارة السيئة منتشرة في كثير من الأقطار العربية كما لاحظت، حتى على ألسنة بعض المثقفين والمشايخ. والسنة في ذلك أن يترحم على الميت وأن يدعى له بالرضوان. وحبذا الأدعية المأثورة مثل ما ورد عن النبي ﷺ في الصحيحين لما عزّى النبي ﷺ **فاطمة** رضي الله عنها: [**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى**] وكذا الدعاء له كما صح من دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة رضي الله عنه: [**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه**].

ولذلك وجب التنزه عن مثل هذه العبارة وتطهير اللسان منها ومن أمثالها، وإجراء المأثورات النبوية على اللسان بدلاً من المأثورات الشعبية، أو على الأقل ما لا يتعارض مع الشرع منطوقًا أو مفهومًا.

وقد أفتى الشيخ **ابن عثيمين** في مجموع الفتاوى ـ ج: ٣ ـ ص ١٣٨ ـ بأن من قال هذه العبارة قاصدًا كفر، أما من قالها جاهلاً ولا يدري ما معناها، ويقصد بقوله إن الله افتكره، أنه أخذه فقط أنه لا يكفر، **ويجب عليه أن يطهر لسانه عن هذا الكلام، لأنه موهم لنقص رب العالمين سبحانه وتعالى.**

● رزق الهبل ع المجانين

ويشيع على ألسنة العوام أيضًا جملة سارت مسار المثل، ألقاها الشيطان على الألسنة، فهم يقولون في معرض التعجب من رزق سهل: **رزق الهبل ع المجانين**، أي إن رزق البله والمعتوهين ناقصي العقول يوفره وييسره لهم من هم أنقص عقلاً، وأكثر بلاهة، وهم ربما يقصدون بذلك الإهانة والسخرية ممن تسبب في خير لمن حوله.

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ ـ الرعد: ٢٦ ـ ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ ـ الذاريات: ٥٨ ـ

ووصف من يرزق البله أو غيرهم بالجنون إن قصد ظاهره أكفر صاحبه وأورده النار وبئس الورد المورود، وما أعجب ابن آدم الذي لا يمسك لسانه، ولا يتحرز في منطقه فيجلب حتفه بكفه .. نعوذ بالله من الخذلان.

• زي طور الله ف برسيمه[٢٤]

نسبة الأشياء إلى الله تعالى دون دليل لا يجوز. والمسلم الموحد يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه العلية، وينفي ما نفاه الله عز وجل عنها، من خلال النصوص الصحاح الثوابت. أما أن يضيف امرؤ «أشياء» إلى الله عز وجل ـ جهلاً أو اجتراء أو سخرية ـ فهذا مما ينافي التوحيد.

وهذا التعبير لا يورد ـ عادة ـ إلا في موارد السخرية والاستهزاء من شخص ما. فإذا كان ذلك استهزاءً بالبشر، فكيف بخالق البشر سبحانه وتعالى؟!

• ساعة لقلبك وساعة لربك / ساعة الحظ ما تتعوضش ..

هذا التعبير من التعابير المغلوطة التي يجريها الشيطان على ألسنة العامة. ونحن نؤمن أن الساعات كلها والأحوال كلها لله رب العالمين ـ أو هكذا ينبغي أن تكون ـ ﴿قل: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾ ـ الأنعام: ١٦٢ ـ

وحتى ساعات اللهو والمزاح فيها ـ في الإسلام ـ أجر وثواب إن أريد بها الترويح عن النفس والتخفيف عن الأهل، بل إن الشهوة البدنية جعل الله الكريم ـ سبحانه ـ للبشر بها صدقة إن قصد أحدنا بها وجه الله تعالى بأن يَعف ويُعف.

---

٢٤ ـ المثل شائع حي رواه تيمور في الكنايات العامية، وسعد الدين المصري، على رأس المثل، ص: ٨٣

ومقصد العامة من هذا التعبير أن يجم الإنسان نفسه بالباطل وبالمحرم، فإذا كلّمته قال: **يا أخي: ساعة لقلبك وساعة لربك !!**

وإذا نظرنا في المفهوم الإسلامي للترويح والمزاح لوجدنا الأمر - ككل شيء - مضبوطًا بإطار شرعي لا مخرج لنا عنه ولا محيد.

«فلا بأس على المسلم أن يتفكه وأن يمزح بما ينشرح به صدره، ولا حرج عليه أن يروح نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح، على ألا يجعل ذلك ديدنه وخلقه في كل أوقاته، ويملأ به صباحه ومساءه، فينشغل به عن الواجبات، ويهزل في موضع الجد، ولذا قيل: **أعط الكلام من المزح بقدر ما يعطي الطعام من الملح**.

كما أنه لا ينبغي للمسلم أن يجعل من أقدار الناس وأعراضهم محل مزاحه وتندره، ولا يجره إضحاك الناس إلى اتخاذ الكذب وسيلة[٢٥].

أما ساعة القلب التي تكون بشرب الخمر أو بالزنا أو باللهو المحرم فهي ممنوعة في الإسلام، فساعة القلب ينبغي أن تكون في رضا الرب، ولعل مقصد المثل: **ساعة للشيطان وساعة للرحمن** . . فلينتبه.

ومثله تمامًا: **ساعة الحظ ما تتعوضش**

ويراد بالحظ: الأنس والانغماس في اللهو والشراب والعربدة . . وهذا إن كان حظًا فهو حظ الشيطان من عمل ابن آدم ومن آخرته، يتوسل إليه بالشهوات.

● سايق عليك النبي

استشفاع برسول الله ﷺ لدى شخص ما. ولا أعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم ولا من بعدهم من سلفنا الصالح استشفعوا بمثل هذه الصيغة فيما بينهم.

---

٢٥ - الحلال والحرام في الإسلام باختصار، ص: ٢٨١ وما بعدها.

● سب الدين/سب الله تعالى

ومن الفـواقـر التي انتشرت بين العـامة على نطاق واسع قضية سب الدين عند الرضى والغضب، وعند الجد والمزح.

فهم يلعنون الدين: يلعن - يحرق .. إلخ.

بل سمعت بأذني من يسب الله تعالى بصيغة اللعن - وهي في اللبنانيين والشوام أكثر ما تكون - ومهما حاول إنسان أن يتأول لهؤلاء أو يجد لهم عذرًا أو مخرجًا شرعيًّا فإنه ينقلب حاسرًا عاجزًا عن إيجاد عذر.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وعلى كل حال فالغالب على هؤلاء أنهم لا يصلون ويفطرون رمضان جهرة، وقلَّ منهم من يعرف شيئًا عن دينه، أو يفعل شيئًا من واجباته.

وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية - ج: ٢ - ص: ٥ - ١٥ بأن سب الدين كفر بواح بالنص والإجماع، وكذا سب آيات القرآن والأحاديث الثابتة. وأن فاعل ذلك يستتاب شرعًا.

● سب الصليب / سب الأديان الأخرى

وقـد تدفـع العصبية بعضهم إلى ادعاء الفروسية والعنترية، ليتطاول على غير المسلمين فيسب صليبهم أو دينهم - وهـذا أيضـا منتشر - الأمر الذي يؤدي بهم إلى سب الله تعالى والتطاول على الإسلام.

وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك صراحة في سورة الأنعام - ١٠٨ - في قوله تعالى: **﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم﴾**.

لقد وجه القرآن المؤمنين إلى أن يكون هذا الإعراض عن المشركين في أدب ووقار وترفع يليق بالمؤمنين، خصوصًا وأن أولئكم لا يعلمون جلال قدر الله تعالى وعظيم مقامه، فيكون سب المؤمنين لآلهتهم المهينة ذريعة لسب الله الجليل العظيم.

إن الطبيعة التي خلق الله تعالى الناس بها: أن كل من عمل عملاً فإنه يستحسنه ويدافع عنه، فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها، وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها، وإن كان على الهدى رآه حسنًا، وإن كان على الضلال رآه حسنًا كذلك، فهذه طبيعة في الإنسان.

فإذا سب المسلمون آلهة غيرهم اندفع هؤلاء وَعَدَوْا عما يعتقدونه من ألوهية الله عز وجل، دفاعًا عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم؛ فليدعهم المؤمنون لما هم فيه ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانـوا يعملون﴾ وهو أدب يليق بالمؤمن المطمئن لدينه، الواثق من الحق الذي هو عليه، فإن سبّ آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى ولا يزيدهم إلا عنادًا، فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه وإنما قد يجرهم إلى سماع ما يكرهون من سب المشركين لربهم الجليل العظيم؟!![26].

● السخرية بالإسلام ورموزه
وضع الآيات والأحاديث موضع الهزء والتحقير..

كثيرًا ما يساء إلى الدين ويسخر منه ومن رموزه المعظمة بأساليب مختلفة، فمن الناس من يسخر من الله تعالى ذاته، ومن النبي ﷺ، ومن الأحكام الشرعية الثوابت، ومن الملتزمين المستمسكين به وبأحكامه.

● فلقد نشرت إحدى المجلات المتخصصة في الكاريكاتير في عددها الثاني تعليقًا يقول - وأستغفر الله - إن الله فتحْ على واحد.. **لقاه**..

● وسخر آخرون من النبي ﷺ ورسموه في هيئة ديك معه أربع فرخات.

● وفريق يسخر من المتدينين والمتدينات فيصورهم جميعًا منحلين أو إرهابيين أو معقدين حتى إن أحدهم رسم ملتحيًا يحمل مسجلاً يسمع منه أغنية: **عورة فوق وعورة تحت**.

● ورسم بعضهم الشيخ متلوف راكبًا حماره بالمقلوب.

---

٢٦ - الظلال، ج: ٢، ص: ١١٦٩

والتدليل على هذا الأمر واسع، لكنّ النقل يسيء للمشاعر وللدين فأكتفي بالإشارة.

وقد أفتى دارسو العقيدة الإسلامية وعلماؤها أن السخرية بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول أمر مكفّر مخرج عن الملة، وقد أمر الله تعالى باعتزال المستهزئين بآيات الله تعالى أو دينه كما جاء في قوله تعالى ـ النساء: ١٤٠ ـ ﴿**وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذًا مثلهم**﴾[٢٧] سواء كان الاستهزاء صريحًا، أو غير صريح كالرمز بالعين وإخراج اللسان ومدّ الشفة والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الحكم في سورة التوبة حين حذر أن ينزل الله تعالى قرآنًا يكشف خبيئتهم، ويتحدث عما في قلوبهم، لما سخروا من بعض المسلمين قائلين: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء ـ والقراء من الصحابة كانوا حفظة القرآن والعلماء به ـ فلما نما الأمر إلى النبي ﷺ جاؤوا معتذرين بأنهم كانوا يلهون ويلعبون فقال لهم الله تعالى: ﴿**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾.

هذه الآيات نزلت في قوم وصفوا الصحابة بالكذب وعظم البطون، أو وصفوهم بأنهم جبناء في الحرب، فكيف بمن يسخر من الله تعالى أو من النبي ﷺ، أو من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة؟!

إنها والله لإحدى الكبر، وإحدى القواصم الحوالق التي تفشت بين علمانيينا تفشي الإثم والشرك في قلوب اليهود والنصارى.. نسأل الله السلامة.

● شنح الله بفلان

كلمة سائرة على ألسنة البدو في الجزيرة العربية كما بلغني. ويستخدمونها في حالة موت صبي أو شاب فتي، فيقولون: **شح الله به** ـ سبحانه وتعالى ـ أي: ضنّ وبخل، فلم يدعه لأهله، فاستأثر به لنفسه.

٢٧ ـ مجموعة التوحيد، ص: ٣٠٥، ٣٣٧، ٤٠٨ وغيرها ويمكن الاستفصال من أي كتاب من الكتب التي تهتم بالعقيدة.

وهي كلمة قبيحة شديدة القبح . ونسبة الشح إلى الله تعالى من الجهل وسوء الأدب، ومتعمدها كافر خارج عن الملة، فإنه عز وجل [**يمينه ملأى سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة . أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ؟! فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض ـ أو القبض ـ يرفع ويخفض**] الشيخان وابن ماجه .

وهو سبحانه الكريم الغني المغني، والمعطي الوهاب الجواد. يقول سبحانه في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم في الصحيح : [**يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**] .

وصدق رسول الله ﷺ الذي يقول : [**ما أحد أصبر على أذىً يسمعه من الله عز وجل**] ـ رواه مسلم فاحفظ لسانك وكيانك أيها الكريم من مثل هذه المهاوي المهلكة، فإنه لا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .

● الشهيد جرجس

من أسوأ ما يمر به المسلم المعاصر قضية الخلط بين المصطلحات وعدم إدراك النسب، فيستوي أحيانًا عنده الواجب والمباح، والجائز والحرام .

ومن المصطلحات التي يخلط فيها المسلم المعاصر خلطًا عجيبًا : مصطلح الشهادة والشهيد، وأستطيع أن أزعم أن الناس يطلقون لفظة الشهيد على كل شيء وعلى كل إنسان .

وإذا كانت الشريعة قد حدّت الشهيد بأنه من مات محتسبًا مجاهدًا لتكون كلمة الله هي العليا، وألحق به الرسول ﷺ ـ على نقص في الدرجة ـ من مات من المسلمين دون عرضه أو دون ماله ـ مسلم رقم ١٠٨٦ ـ ومن مات مطعونًا أو مبطونًا أو حريقًا أو غريقًا أو صاحب هدم ـ مسلم ١٠٨٣ ـ أو مهاجرًا في طلب العلم ـ دون إلحاق اسم الشهيد بهؤلاء ـ فإن البخاري بوّب في صحيحه بابًا عنوانه : **لا يقال فلان شهيد** . . أي لا يجزم لأحد بشهادة .

وقد روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد . . حتى مروا على رجل **فقالوا : فلان شهيد، فقال النبي**

ﷺ : **[كلا، إني رأيته في النار في بردة غلّها ـ أو عباءة ـ].**

فالصحابة قالوا ـ في تمنٍّ ورجاء ـ إنهم شهداء حتى نفى النبي ﷺ الشهادة عن الغال، لذلك فإن الجزم ممنوع، والتمني وارد وجائز.

وليس هذا محل كلامي، لكن غير المقبول هو إطلاق لفظة شريفة إسلامية المنبع والمنطلق ـ كالشهادة ـ على غير المسلمين. وقد قرأت بنفسي إطلاق اللفظة على غير المسلمين من النصارى أو الشيوعيين والملاحدة، وهذا من العجب.

وقد رأيت على بعض النصب اسم الشهيد جرجس والشهيد صموئيل، وقرأت إطلاق اسم الشهيد على بعض الملاحدة: فهذا شهيد الوطنية، وهذا شهيد القلم، وهذا شهيد اللغة .. إلخ قائمة الشهداء المنحولين.

ومن العجب أنني رأيت أضرحة لشهداء اللغة في بنجلاديش، وشهداء حرب الاستقلال في صف الشيوعيين ضد المسلمين، وغير ذلك من الخلط العجيب؛ فعلينا أن نحفظ للمصطلحات الإسلامية الخالصة نقاءها، ولا نقع في الخلط والتجوز.

● شيطاني أم رحماني؟!

كثيراً ما ينمو عشب أو نبات طفيلي على أطراف الحقول وبين المزروعات يطلق عليه العامة صفة «**شيطاني**» يقصدون أنه لم يزرعه أحد، وإنما نبت بذاته.

ونسبة الفعل إلى الشيطان ـ عليه لعائن الله ـ نسبة خبيثة، فإن الله تعالى هو الفاعل والمؤثر. ولا يعتقد أن للشيطان تأثيراً في الكون إلا بعض الفئات الوثنية المقيمة بالتبت وشمالي الهند وأوروبا وأمريكا ـ كما مر ـ وبعض النحل الثنوية الضالة.

ولقد صرح الله تعالى بنسبة أفعال الربوبية كلها إلى ذاته العلية. وكان مما امتن الله به سبحانه: **﴿أفرأيتم ما تحرثون؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ لو نشاء لجعلناه حطامًا فظلتم تفكّهون﴾** ـ الواقعة: ٦٣ ـ

● الكذب دائمًا أسود

يستبيح بعد الناس ـ جهلاً وادعاءً ـ بعض الكذب، مدعين ـ إذا ما جوبهوا ـ بأن ما زعموه إنما هو كذبة بيضاء لا تضر، وأن الكذبة الخفيفة لا بأس بها خصوصًا في المزاح والتظارف.

واستباحة الكذب أمر عظيم، لأن النبي ﷺ ذكر أن الكذب ـ كله ـ يهدي إلى الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار.

وإن الرجل ربما استهان الكذب مرة بعد مرة حتى يصير من المنافقين، فإذا حدث كذب حتى يكتب عند الله كذابًا.

ولم يرد في الشرع تقسيم الكذب إلى أبيض وأسود، أو غير ذلك من الألوان، وإنما الكذب شر كله، ولم يرخص فيه الشرع إلا في مواضع هي ضرورات تباح بها المحظورات كما في حالة الحرب أو في الصلح بين متخاصمين من رجل ينمي خيراً ويحاول التقريب، أو فيما بين الزوجين في شؤون التودد والمجاملة ـ لا مطلقًا كما يفهم بعضهم ـ

والغريب أن الكذابين جعلوا للكذب موسمًا عالميًا هو أول إبريل من كل عام، يستبيحون فيه الكذب بعضهم على بعض، ويرون ذلك أمرًا جائزًا وظريفًا.

وهذا من الباطل، لأن النبي ﷺ نهى عن الكذب، وعده من خصال النفاق ..

فتذكر أخي الكريم أن:

- **الكذب دائمًا أسود .**
- **عيد الكذب في أول إبريل هو فعل الكفار وليس من دين المسلمين.**
- **لا يستباح الكذب إلا في ضرورات ملجئة.**

● صباح الخير ـ صباح النور
مساء الخير ـ مساء النور /
هاي .. هالو .. سعيدة .. إلخ

(جاء في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر - ٦٨/٢٥ - مقال ممتع للأستاذ عمر فروخ - الأديب والمؤرخ والمفكر المعروف - قال فيه:

(ومعظم الناس إذا حيا بعضهم بعضًا قالوا: **صباح الخير أو مساء الخير**، والرد على هذه التحية هو: **صباح النور - مساء النور**.

وهذه التحية هي التحية المجوسية، إذ يعتقد المجوسي بقوتين: الخير والشر، يمثلهما النور والظلمة. وللمجوسي إله الخير أو النور، وإله الشر أو الظلمة، وهما يتنازعان السيطرة على العالم، فكان من المعقول أن يحيي المجوس بعضهم بعضًا بقولهم: **صباح الخير - صباح النور**.

ومع أن الإسلام قد أمر بأن نأخذ تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مكان كل تحية أخرى فلا يزال العرب في معظمهم - من المسلمين وغير المسلمين - يتبادلون التحية بقولهم: **صباح الخير . . صباح النور**)[٢٨].

ولا يقتصر العامة على صباح الخير والنور الآن، بل فشت فيهم صنوف من التحيات بلغات متعددة بحسب مستواهم الاجتماعي:

فمنهم من يحيي أخاه بالسباب في بعض الأحيان: **ازيك يا ابن . . .**

ومنهم من يحييه بمثل **هاي**، **أو هاللو**.

ومنهم من يقول: **سعيدة** - وهي التحية الشائعة على ألسنة النصارى -

وأخشى في المستقبل القريب أن يحيي أحدهم أخاه بقوله: **شالوم . . أو بوكيرتوف**.

وقد أمر الله تعالى بإفشاء السلام - تحية الإسلام - حين قال عز من قائل: **﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركة طيبة﴾** - النور: ٦١ - أي ليسلم بعضكم على بعضكم بتحية من عند الله، وهي السلام.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: [**لما خلق الله تعالى آدم ﷺ قال: اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله**].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: [**هذا**

---

٢٨ - معجم المناهي اللفظية، ص: ٢٠٨

جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته][29].

• لا بيرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل

ومن الكنـايات العامية الشائعة على ألسنة الناس في بعض المواقف - كما لو حرم إنسان شخصًا من شيء، أو لم ييسر له الحصول عليه ولم يسع في جلبه - مثلاً - قولهم:

فلان لا بيرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل - تعالى الله -

والمعنى المباشر لهذا الكلام الفاسد: أن فلانًا هذا لا يرحم الناس ولا يدع رحمة الله - تعالى - أن تنزل على الناس، أو هو يمنعها من النزول.

وهذه جملة خبيثة - وإن قيلت بحسن نية وعدم إدراك - فالله تعالى لا يؤوده شيء، ولا ينازعه في سلطانه منازع. يقول سبحانه: **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل من بعده وهو العزيز الحكيم﴾** - فاطر: ٢ - ويقول سبحانه وتعالى: **﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله: إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾** - الزمر: ٣٨ - فرحمة الله تعالى ينزلها على من يشاء: **﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾** - الشورى: ٢٨ -

والـواجب إعفـاف اللسـان وصونه عن السب والتكلم عن الناس وحفظ غيبتهم، فإن الاجتراء على أعراض الناس هو الذي يوقع في كثير من هذه المحاذير.

• الله بالخير

تحية خليجية سائرة، لا معنى لها لغة، ولم تؤثر شرعًا، ولو قالوا: صبحك الله بالخير، الله يصبحك بالخير أو يمسيك بالخير - بعد السلام - لم ينكر[30].

---

٢٩ - اقرأ تفصيلاً نبويًا معجبًا في رياض الصالحين، كتاب السلام، ص: ٣٤٢

٣٠ - معجم المناهي اللفظية، ص: ٦١

● الله موجود في كل مكان / الله ليس له مكان . .

عقيدة العامة في العلو عقيدة مضطربة، **فلو سئل أحدهم أين الله تعالى؟ لقال: في كل مكان، فإذا راجعته ورددت عليه قوله قال: ليس له مكان . . من النقيض إلى النقيض مباشرة.**

وعقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه الطاهرون ومن تبعهم من سلف صالح هي أن الله تعالى عالٍ أعلى: **﴿على العرش استوى﴾** وأن علوه سبحانه له معان:

- **علو الفوقية والبينونة عن الخلق: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾** ـ النحل: ٥٠ ـ
- **علو القهر والغلبة: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾** الأنعام: ١٨
- **علو الشأن:** وهو مفهوم من الأسماء الحسنى: القدوس السلام الكبير المتعال وما في معناها: **﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾** ـ الروم: ٢٧[٣١]

واعتقاد أن الله تعالى موجود في كل الوجود أو في كل مكان ـ ويعنون بذلك ذاته العلية العظيمة ـ ضلال مأخوذ من القول بوحدة الوجود الذي يذهب إليه غلاة الصوفية الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق، والذين يقولون: كل ما تراه عينك فهو الله، تعالى الله عما يصفون علوًّا كبيرًا[٣٢].

● الله يلعن . . ينعل بو غيرك ملعون . . هو كافر ـ هو مرتد . . . إلخ

٣١ ـ للاستفصال في ذلك راجع: أعلام السنة المنشورة ـ ص: ٥٨ وما بعدها.

٣٢ ـ معجم المناهي اللفظية، ص: ٦٤

من أسوأ ما يجري على الألسنة: اللعن والتساهل فيه، رغم أنه عظيم رائع، حرمه رسول الله ﷺ وغلّظ عاقبته حين قال: [**لعن المؤمن كقتله**] - متفق عليه - وحين قال: [**إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لعن، فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها**] - أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه -

ويشبه هذا أيضًا: **السباب والبذاءة في الكلام**، وقد نبه النبي ﷺ أن السباب يمس دين المسلم: [**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**] - متفق عليه - وفي الترمذي بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه: [**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**]

وأشد من هذا كله تكفير المسلم بغير مكفّرة بائحة أو حجة فائحة، لذا يقول رسول الله ﷺ فيما أخرجه البخاري: [**لا يرمي رجل رجلاً بالفسق - أو الكفر - إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**].

● اللهم قني شر أصدقائي، أما أعدائي فأنا كفيل بهم

هذه عبارة خبيثة، ففوق أنها تدعو إلى الشك وسوء الظن بأقرب الناس بينها الإسلام ينهانا عن ذلك: ﴿**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ الحجرات: ١٣ [**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**] متفق عليه، ورغم مخالفة العبارة للأمر بتطهير القلوب نحو المؤمنين: ﴿**ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا**﴾ - الحشر: ١٠ - رغم هذا فإنها تحمل خطأ عقيديًّا، إذ توهم أن الإنسان يمكنه أن يستغني عن عون الله تعالى ونصرته في مواجهة أعدائه، وأنه يطيق التصدي لهم والتغلب عليهم وحده دون فضل الله، ولا يدري المسكين أن أعداءه كثر لا قبل له بهم، منهم من يعلم ومنهم من لا يعلم، ومنهم من يراه ومنهم من لا يراه.

والرسول ﷺ كان يدعو ربه مستنصرًا مستنجدًا: [**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**] - مسلم ١١٥٨ - ودعا ﷺ ربه أن ينتقم من كفار قريش: [**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة** . . الحديث] مسلم: ١١٦٧.

ومنزلة الصاحب والصديق سامية، لأنه في الإسلام ينتقى بعناية: **[الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل]** أبو داود والترمذي بإسناد حسن. واختيار الصديق يكشف عن معدن الإنسان ودخيلته لأن الطيور على أشكالها تقع، ولأن الطيب لا يصاحب إلا طيبًا **[لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي]**.

فإذا ما اجتهد المسلم في اختيار صديقه فإنه ينبغي أن يكون أبيض السريرة نقي القلب في التعامل معه، وإلا فيا ضيعة الإنسانية، ويا خيبة ابن آدم إذا شك في إخوانه وخلصائه وظنَّ أنه وحده قادر على مواجهة أعدائه.

أليست هذه حياة الضباع والثعابين؟!

● ليه يا رب!؟
ما يستاهل!.. وما شابه

كثير من الناس - إذا نزلت بهم نازلة أو حل بهم مكروه - يجزعون ولا يستقبلون قضاء الله تعالى بما ينبغي أن يقابلوه به من الصبر والاحتساب والرضا، بل تراهم يتلفظون بألفاظ فيها نبوٌّ وسوء أدب، فتراهم يقولون مثلاً:

- لماذا يا رب؟ **أنا لا أستحق هذا، أنا طيب ولا أضر أحدًا فلماذا كل هذا؟**
- **ليه يا رب..**
- **فلان ما يستاهل..** وما شابه من تعبيرات تحوم حول هذا المعنى.

والمسلم يسلم أن من قواعد الإيمان: الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره خيره وشره حلوه ومره كل من عند الله تعالى.

كما أن المسلم يؤمن أيضًا أن الله تعالى: **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾** - الأنبياء: **٢٣** فهو سبحانه يتصرف في ملكه كيف يشاء: يعزّ من يشاء، ويذل من يشاء، يقبض ويبسط، ويرفع ويخفض.

وإن المسلم ليشكو إلى الله تعالى لكنه لا يشكو الله.

وقد شكا النبي ﷺ بلغة العبد الضعيف الراضي بالقضاء:

[اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . . يا أرحم الراحمين: أنت رب المستضعفين وربي . . إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟

إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك][33].

فأنت ترى أن النبي ﷺ يستقبل تنكّر الدنيا له، وضيقها بدعوته وبه، والأذى والنكال اللذين تعرض لهما، يستقبل ذلك كله بالرضا، ويعده عتبى من الله تعالى، ويسأله العافية والسلامة [ولكن عافيتك هي أوسع لي]

فلم يقل: ليه يا رب . . وأنا رسولك وصفيّك . .

ولم يقل: أنا لا أستاهل هذا وأنا أدعو لك . .

ولكن قال: [لك العتبى حتى ترضى] . . ﷺ

وعلى كل حال فإن من يقول مثل هذه الألفاظ إنما يتلفظ بها عن قلة فهم وحسن نية، لكن حسن النية لا يبرر الخطأ، ومن واجبنا ألا نسكت عما نراه مخالفًا أو منكرًا.

● ما صدقت على الله

من الكلمات القبيحة التي تدور على الألسنة في دول الخليج ـ وسمعتها بنفسي غير مرة في وسائل الإعلام ـ قولهم: ما صدقت على الله كذا . .

ومعناها أنه يستعظم أن يحدث شيء من الأشياء كان يتمناه، فخلصت له زيادة على ما يتوقع، أو إنه يريد أن يبقى الخير بيديه فيقول: ما صدقت على الله أن حصل كذا . . يقولونها وكأن الله تعالى يؤوده شيء أو يكرثه، وكأنه سبحانه يتعاظم عليه شيء، وهو القائل: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الأنعام: ١٨ ﴿وهو على شيء قدير﴾ الملك: ١ ـ ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ العنكبوت: ٦

٣٣ ـ رواه الطبري في تاريخه: ٢/ ٢٣٠ وكذا ابن هشام وابن الأثير . . انظر: رحمة للعالمين، ج: ١، ص: ٦٩

وفي حديث الاستخارة الذي رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: **[اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا تقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب . .]** الحديث

فكيف يقول قائل مثل هذه العبارة الخطيرة التي يمجها قلب المؤمن وضمير الموحد؟

وقد أجازها ابن عثيمين إذا كان قصد قائلها: ما توقعت وما ظننت أن يكون هكذا . . وقال إن تجنب هذا اللفظ أحسن لأنه موهم(٣٤).

● ما لها إلا النبي

من العبارات الشائعة التي يرددها العامة حينما يكون أحدهم في ضائقة، يريد أنه سيستغيث به ﷺ أو سيستشفع به ليفك الله كربته ويفرج ضائقته.

ونحن نعتقد أن التوجه القلبي واللساني لا يكون إلا لله رب العالمين، وأنه لا يجوز لنا أن نسأل غيره عز وجل ـ من نبي أو ولي، أو صالح أو طالح، أو إنسي أو جنى ـ فكل هذا من الشرك ومن التوسل غير المشروع.

وقد نص النبي ﷺ على ذلك في حديث ابن عباس الذي أخرجه الترمذي بسند حسن صحيح: **[إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله]** وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **[احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز]** كما أمرنا ربنا سبحانه في الحديث القدسي بأن نسأله وحده فيما أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا إلى رب العزة: **[فاستهدوني أهدكم . . فاستطعموني أطعمكم . . فاستكسوني أكسكم . . فاستغفروني أغفر لكم . .]** الحديث.

فما أحسن اللجوء إلى الله تعالى القريب من عباده، السميع لأنينهم، المطلع على ضراعاتهم ودخائل قلوبهم.

---

٣٤ ـ مجموع الفتاوى والرسائل، ص: ٢١٩

● مدد يا رسول الله / مدد يا بدوي . . يا سيدي فلان

من الكلام الشائع على ألسنة العوام ـ والصوفية ـ طلب المدد من الرسول ﷺ أو من الأولياء الصغار والكبار، ويراد بالمدد المعونة والغوث والشفاعة وإجابة السؤل وكشف الكرب وغير ذلك مما يطلبه العامة من الأولياء.

وهذه العبارة من الفواقر، فإن الاستعانة أو الاستغاثة بغير الله تعالى مما يمهد لصاحب المدد ـ سائله ـ سواء الجحيم . . والعياذ بالله .

وقد أفتت **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** بأن قول: مدد يا حسين أو يا سيدة أو يا شيخ العرب أو يا أولياء الله وما ماثل ذلك هو أشد نكرًا وأفحش وزراً، فإنه شرك أكبر يخرج قائله من ملة الإسلام والعياذ بالله، لأنه نداء للأموات ليعطوهم خيراً وليغيثوهم وليدفعوا عنهم. ومعناها: أمدّنا بعطائك وخيرك واكشف عنا الشدة وادفع البلاء . . وهذا شرك أكبر لقوله الله تعالى: **﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ ـ الأحقاف: ٦ ـ**

● وشه يقطع الخميرة م البيت قطع الحليبة والرايبة وجهه يقطع الرزق

انظر : **أنا اصطبحت بوش مين .**

● يا أهل الله عليك

تساق للتعجب على ألسنة أهل الخليج ، وفيها نوع استغاثة أو استعانة وفيها تعظيم للموتى ـ أهل الله ـ

انظر : **ما لها إلا النبي ﷺ.**

● يا حنين يا رب

لفظ حنينّ تصغير لحنّان، ومعناها الرحيم، وهو صفة من الحنوّ، ومن معانيها أيضًا: من يقبل على من أعرض عنه[35].

وقد كره **الإمام مالك الدعاء بنحو يا حنان** لأنه ليس من أسماء الله تعالى.

وحنين تصغير حنان، وهي شائعة على ألسنة عوام المصريين. **وتصغير اسم الله تعالى** - أي اسم - **أمر غير جائز، فكيف ولم يثبت اسم الحنان**[36].

● يدّي الحلق للي بلا ودان - مصر
ربي كي يعطي الفول للي بلا عقول - السودان
ربي كي يعطي الفول اللي ما عندو سنان - المغرب

من المأثورات الشعبية الذائعة على ألسنة العوام قولهم: يعطي الحلق للي بلا ودان، أي إنه سبحانه يرزق من لا يستحق، ويعطي غير الجدير - تعالى الله وتنزه -

وهذا المعنى قبيح، وفيه إساءة أدب مع رب الكون العظيم.

فالله سبحانه يرزق من يشاء، وهو الذي يحدد جدارة المرزوق وأحقيته، والدنيا يسبق إليها من يأخذ بالأسباب - وهي ليست كل شيء، في قضية الرزق - كما أنه سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ويرزق الكافر والمؤمن، والعاقل والمجنون، والإنسان والحيوان..

وقد صدق القائل:

لو كانت الأرزاق تجري على الحجا ... لماتت - إذًا - من جهلهن البهائمُ

وقد ضل قوم نظروا بهذا المنظار الخبيث لتقسيم الأرزاق، ومنهم ابن الراوندي المتهم بالزندقة، والذي قال محتجًا:

---

35 - الوسيط: حنن، ج: 1، ص: 203

36 - معجم المناهي اللفظية: 347

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه	وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأفهام حائرة	وصيَّر العالم النحرير زنديقا

والرزق ليس مالاً فقط: فالصحة من الرزق، والزوج الصالحة الموافقة من الرزق، والجاه من الرزق، كما أن أضداد هذه أيضًا من الرزق الذي ينبغي أن يقابل بالرضا والصبر والدعاء.

والمال ليس دائمًا خيرًا وبركة، فكم من أناس أغناهم الله عز وجل فكان أن طغوا، وتبطروا، وظلموا عباد الله فضربوا أبشارهم، واستحلوا محارمهم، وظنوا أنهم قادرون مكينون، فكانت وفرة المال وسعة الرزق سببًا لهلاكهم والعياذ بالله.

ورب فقير هو عند الله تعالى خير من ملء الأرض موسرين منتفخين متجبرين.

وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما صح عنه: **[قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنّعه الله بما آتاه]** مسلم.والله أعلى وأعلم.



المراجع

د. إبراهيم بدران : دراسات في العقلية العربية: الخرافة - ط: دار الحقيقة ، بيروت، ١٩٧٤م

إبراهيم شعراوي : الخرافة والأسطورة في بلاد النوبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م

ابن أبي العز الحنفي : العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، ط: ٩ - ١٩٨٨ بتخريج المحدث الألباني.

ابن الحاج التلمساني المغربي : شموس الأنوار وكنوز الأسرار، صححه أحمد سعد علي، من علماء الأزهر ١٩٣٨، ط: ٢، مصطفى البابي الحلبي.

ابن منظور : لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ط: لسان العرب.

أبو الوفا محمد درويش : صيحة الحق، الدوحة، ١٩٨٩م

أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية.

أحمد تيمور باشا : الأمثال العامية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

أحمد تيمور باشا : الكنايات العامية، الشرقية للنشر والتوزيع، بيروت.

الشيخ أحمد بن حجر : تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين، ١٩٨٣، الدوحة.

أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط: ٣/١٩٧١م

أحمد رشدي صالح : فنون الأدب الشعبي، ج: ٢، دار الفكر، ط: ١/١٩٥٦م

أحمد بن عبد الرازق الدويش : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ٤ مجلدات، مكتبة المعارف بالرياض.

برنارد الأسطه : السحر والقوى الخارقة في الإنسان، ط: دار ميوزيك، بيروت.

د. بكر بن عبد الله زيد : التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط: ١/١٩٩١م، السعودية.

د. بكر بن عبد الله زيد : معجم المناهي اللفظية، دار ابن قيم الجوزية ١٤١٠هـ، السعودية.

القس جرجس داود : أديان العرب قبل الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢

الحارث المحاسبي : الحسد: الداء والدواء، تحقيق محمد شاكر الشريف، دار طيبة بالرياض، ١٤١١هـ

حافظ أحمد حكمي : أعلام السنة المنشورة، تحقيق شميم أحمد خليل السلفي، ١٩٨٩، دار الأقصى بالدوحة.

حسن الباش ومحمد توفيق السهلي : **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل

حمودي العودي : **التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية**. عالم الكتب، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء .

خالد محمد الحاج : **مصرع الشرك والخرافة** ـ إدارة الشؤون الدينية بقطر. ١٩٧٨م

رابطة العالم الإسلامي : **قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي** من الدورة الأولى حتى الثامنة، مطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

راجي الأسمر : **المعتقدات والخرافات الشعبية اللبنانية** .

رياض العبد الله : **الجن والشياطين بين العلم والدين**، دار الحكمة بدمشق، ١٤٠٦هـ

زكريا بن محمد ابن محمود القزويني : (٦٠٠ ـ ٦٨٢هـ) **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**. دار الشرق العربي ببيروت .

د. سامية حسن الساعاتي : **السحر والمجتمع** ، دار النهضة العربية، بيروت

سامية عطا الله : **الأمثال الشعبية العربية**، ط : ١ ، الوطن العربي ببيروت، ١٩٨٤

سعد الخادم : **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، الألف كتاب، رقم ٤٨٦، ط مكتبة النهضة المصرية، إشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، مصر.

سعد الدين المصري : **على رأي المثل**، دار الكتاب الحديث.

سعيد حوى : **الرسول ﷺ**، ط : ٣ ـ ١٩٧٤م .

د. سليمان عبيدات : **دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني**، الأهلية للنشر والتوريع، عمان .

د. السيد عبدالعزيز سالم : **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، ١٩٧١، دار النهضة العربية .

العلامة سيد قطب : **في ظلال القرآن** ، دار الشروق بالقاهرة، ط ١٩٨٢/١٠م .

سيمون حمصي : **الحكم والأمثال الشعبية**، دار طلاس بدمشق

شوقي عبد الحكيم : **موسوعة الفولكلور والأساطير العربية**، دار العودة ببيروت .

د. صابر طعيمة : **الصوفية معتقدًا ومسلكًا**، دار عالم الكتب بالرياض، ط ١٩٨٥/١م

د. عبد الحميد يونس : **دفاع عن الفلكلور** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ .

د. عبد الرحمن عيسوي : **سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي**، دار النهضة العربية ببيروت ١٩٨٤م

الشيخ عبد الرحمن الوكيل : **هذه هي الصوفية**، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١٩٨٤/٤م .

عبد القادر سيلا : المسلمون في السنغال، ط ١، الدوحة ١٤٠٦، كتاب الأمة (١٢)
عبد الهادي عباس : المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ٣ أجزاء، دار طلاس بدمشق، ١٩٨٧.
علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الإسلام، ج: ١ في العقيدة، ط ٧، دار الرائد بدمشق، ١٩٧٥.
د. علي عبد الواحد وافي : غرائب النظم والتقاليد والعادات، دار نهضة مصر، القاهرة.
د. علي العلياني : التبرك المشروع والتبرك الممنوع (غير المشروع) دار الوطن بالرياض، ١٤١١هـ.
د. فاروق العادلي : دراسة أنثروبولوجية في المجتمع القطري، دار الكتاب الجامعي بالقاهرة، ١٩٨١.
فوزي العنتيل : بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨
مجلة التراث الشعبي : بغداد، أعداد مختلفة مشار إليها في الهوامش.
مجلة الفنون الشعبية : القاهرة، أعداد مختلفة مشار إليها في الهوامش.
مجلة المأثورات الشعبية : الدوحة، الأعداد كاملة حتى آخر ١٩٩٢م.
مجلة مركز بحوث السنة والسيرة : العدد: ٥، ١٩٩١م.
مجلة الهلال : القاهرة، مايو ١٩٩٢، عدد خاص عن التصوف.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط، إدارة إحياء التراث الإسلامي بالدوحة، قطر، ١٩٨٥م.
مجموعة مؤلفين : مجموعة التوحيد، المكتب الإسلامي بدمشق، ط: ١٩٦٢/٢م.
العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط: المدني، ١٩٦٥م.
الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : طريق الهجرتين وباب السعادتين، الدوحة ١٩٧٧، ط إدارة الشؤون الدينية.
د. محمد الجوهري : علم الفلكلور، جزءان، دار المعارف بالقاهرة.
محمد سعيد المبيض : الحكم والأمثال الشعبية، دار الثقافة بالدوحة.
محمد سليمان المنصور فوري : رحمة للعالمين، تعريب د. مقتدى حسن الأزهري، الدار السلفية
محمد صالح العثيمين : مجموع الفتاوى والرسائل، ٣ أجزاء، ط: ١٤١١/٣هـ.
د. محمد طالب الدويك : القصص الشعبي في قطر، ج: ١، ط مركز التراث الشعبي، الدوحة ١٩٨٤م.
محمد الغزالي : عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، ط: ١٩٨٧/٦م.

محمد كامل عبد الصمد — الأمثال الشعبية التي تخالف ما جاء في نصوص الإسلام وروحه. المركز العربي للنشر. الإسكندرية

محمد ناصر الدين الألباني — اداب الزفاف في السنة المطهرة، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع

محمد ناصر الدين الألباني — مختصر صحيح البخاري: المكتب الإسلامي، ط ١٣٩٩/١هـ

محمد ناصر الدين الألباني — مختصر صحيح مسلم: المكتب الإسلامي، ط ١٩٨٢/٤ بيروت

محمد ناصر الدين الألباني — تلخيص أحكام الجنائز، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ

مركز التراث الشعبي — ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي. الدوحة، ١٩٨٤م

مركز التراث الشعبي — ندوة التخطيط لجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية الدوحة، ١٩٨٥م

مصطفى عاشور — عالم الجن أسراره وخفاياه، مكتبة القران بالقاهرة. ١٩٨٦م

منير البعلبكي — المورد ـ ط ١٩٨٦/٢٠، دار العلم للملايين. بيروت

د. نبيلة إبراهيم — الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، دار المريخ، ١٩٨٥م

د. نور الدين طوالبي — الدين والطقوس والمتغيرات، منشورات عويدات. باريس بيروت، ١٩٨٨م.

الإمام يحيى بن شرف النووي : رياض الصالحين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.

يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت

يوسف فرحان دوخي : الأغاني الكويتية، مركز التراث الشعبي، ط: ١٩٨٤/١، الدوحة

د. يوسف القرضاوي — الحلال والحرام في الإسلام، المكتب الإسلامي. ١٣٩٨م، بيروت

الجرائد — أعداد متفرقة من الراية والشرق والعرب، مشار إليها في الهوامش



الفهرس

صفحة

للمؤلف

★ العقلانية : هداية أم غواية .
★ في فقه الواقع .
★ اليسار الإسلامي : خنجر في ظهر الإسلام .
★ التلفزيون : السمّ اللذيذ .
★ حرية الرأي بين الإسلام والقوانين الوضعية .
★ الذئبة التائبة : ديوان شعر .
★ مكانك تحمدي : تحت الطبع .
★ المرأة المسلمة في كتابات غير الإسلاميين : تحت الطبع .
★ طروحات جديدة لتصحيح العقيدة :
١ ـ الألوهية في العقائد الشعبية .

رقم الإيداع ٨٣٠٣ / ٩٣
ISBN ٩٩٧ـ ٥١٩١ ـ ١٦ ـ ٥

من أحدث منشورات دار الإيمان بالإسكندرية

الناشر
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩